جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس

إعداد

آلاء عزّام عبد الوهّاب عودة

إشراف

د.عبد الخالق عيسى

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين.

2014

الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس

إعداد

آلاء عزّام عبد الوهّاب عودة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2014/9/18، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
- د.عبد الخالق عيسى/مشرفاً ورئيساً	....
- أ.د. مشهور حبازي/ ممتحناً خارجياً	....
- أ.د. وائل أبو صالح / ممتحناً دخلياً	....

الإهداء

إلى من نَسجوا من خُيوطِ الأَمَلِ شراعَ الحرّيَةِ

إِلى أَرواحِ الشّهداءِ الذين جادوا بدمائِهم لِيغدوَ ترابُ الوطنِ أكثر خصبًا

إلى مَنْ عَلَتْ تكبيراتُ انتصارِهم على أنَّاتِ جِراحِهم

إلى مَنْ حملَ لواءَ العلمِ ، وتكبّدَ في سبيلهِ المشاقَّ ، والصّعاب ، فليس يستوي الذين يعلمونَ ، والذين لا يعلمون

إليكم جميعًا أُهدي هذا البحثَ المتواضِع

الشكر والتقدير

الحمد والشّكر لله على فَضْلِهِ وَهداهُ، فما توفيقي إلا بِه، وما اعتمادي إلا عليه، ولولا رضاه لما تمّ هذا البحث .

كما أُجمل بالشُّكر والثّناء كلَّ من ساهم في إنجاز بحثي وإتمامه، ابتداءً بالدّكتور المشرف عبد الخالق عيسى، على ما بذله من جهدٍ في تقويم أخطائي، وتشجيع إحساني، بحسن أُسلوبه ولباقة تعامله، فقد كان خير مُشرفٍ ومُوجّه.

والشكر موصولٌ إلى الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح، والدّكتور مشهور حبّازي على تكرّمهما بقراءة بحثي، ومناقشتهما لي .

وأقدّم شكري وامتناني لكلّ من شجّعني، ودعمني ليتمّ هذا البحث فلكم جميًعًا كلّ الشّكر والتّقدير.

الإقرار

أنا الموقع/ة أدناه، الرسالة التي تحمل العنوان:

الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس

أُقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنّما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة كلّها ، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة، أو لقب علميّ، أو بحثيّ لدى أية مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name: | **اسم الطالبة :**

Signature: | **التوقيع :**

Date: | **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس

إعداد

آلاء عزّام عبد الوهّاب عودة

إشراف

د.عبد الخالق عيسى

الملخص

وقفت هذه الدراسة على مواطن الانقلاب المعرفي، والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس، وتناولتها بالتحليل والنّقد، فقد برع أبو نواس في قلب الحقائق والمفاهيم، وثار على العادات والأعراف والتّقاليد التي درج عليها المجتمع ، وفسّرها بما يوافق منطقه المعكوس، وينسجم مع ذاته المتمرّدة، فكان فنّه ذا طابع مختلفٍ غير مألوف .

وقد اشتمل هذا البحث على: مقدمة ، وتمهيد، وثلاثة فصول ،وخاتمة؛ تحدّثت في الفصل الأول عن مظاهر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس في الموضوع الدّيني. وعرضت في الفصل الثاني مظاهر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في الموضوعين السياسيّ والاجتماعي، وفي الفصل الثالث تحدثتُ عن أثر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية على لغة أبي نواس، وأسلوبه الشعري .

المقدمة

الحمدُ لله حمدًا طيّبًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصّلاة والسلام على نبيّنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

فقد أسس أبو نواس مذهبًا فنيًّا مبتكرًا، لا يخضع لسلطة، ولا يطوّق بقيود، وأطلق العنان لذاته الخلّاقة لتفيض شعرًا ينسف ثوابت في الحياة الاجتماعية،ويؤسس لثوابت أخرى، متكئًا على العبث والمجون، وما تضفيه ألحان قيثارة الخمر، ليثبت منهجه ويؤكّد اختلافه.

فالتّمرد سمة لا ينازعه عليها أحدٌ من سابقيه أومعاصريه من الشّعراء، فقد بثّه في أشعاره، واعتمده أسلوبًا لحياته، دون أن يلقي بالًا للقوانين التي سنّتها السلطة الدينية أو السياسيّة أو المجتمعيّة، بل تحدّاها مجاهرًا بالخطيئة، مستبيحًا المحرّمات، متخطّيًا الأسس والقواعد الدينية والأخلاقية.

وقد أثارت شخصيّة أبي نواس كثيرًا من الباحثين والدّارسين، واستثارت اهتمامهم؛ بوصف الشّاعر علمًا للتمرّد والثّورة في عصره، ولذا تكمن أهميّة هذه الدّراسة في تفصيل جوانب الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية عند أبي نواس، ودعمها بما يندرج تحت أطرها من أشعارٍ نظمها الشّاعر لأجلها، وما كان لهذه الآراء من أثر على لغته، وأسلوبه الشّعري. وقد ارتأيتُ أن ينتظم عقد هذه الدّراسة في مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

حيث تحدّثت في التّمهيد عن مولد الشّاعر ونشأته، وثقافاته، ووقفت على بواعث الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية لديه، والمتمثّلة في: طفولته الشّاذة، ومرافقته والبة وعصبة المجّان، وحبِّه لجنان.

فيما تناول الفصل الأول مظاهر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في الموضوع الدّيني، واحتوى هذا الفصل على مبحثين، عرضت في أوّلهما لملامح الحياة الدّينية في العصر العباسي الأول، فيما تحدّثت في الآخر عن موضوعات الانقلاب المعرفي والمواجهة الدّينيّة عند أبي نواس.

وفي الفصل الثاني تحدّثت عن مظاهر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في الموضوعين السياسيّ والاجتماعي، وكان هذا الفصل في مبحثين، عرضتُ في أوّلهما لمظاهر الانقلاب

المعرفي والمواجهة السّياسيّة، وتحدّثت في المبحث الثاني عن الانقلاب المعرفي والمواجهة الاجتماعية.

وتحدّثت في الفصل الثّالث عن أثر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثّقافيّة في لغة الشّاعر، وأسلوبه.

وقد تمثّلت المشكلة التي اعترضت هذا البحث في كثرة الدّراسات التي سلّطت الضّوء على أبي نواس؛ حياته، وشعره، وفنّه، ولكنّني لم أجد دراسةً علميةً شاملةً مستقلّةً ركزّت على الانقلاب المعرفي والمواجهة الثّقافيّة، التي تزعمها، وتفرّد بها عن غيره.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج التّكاملي، فاستعنتُ بالمنهج التّحليليي ، والمنهج النّفسيّ، والمنهج الوصفيّ لرصد أسس الانقلاب المعرفي ، وأبعاده في الإبانة عن قدرة الشّاعر في مواجهة مجتمعه.

وكان ديوان أبي نواس بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، وكتابا ابن منظور: "أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه"، و"ملحق الأغاني"، من أهمّ المصادر التي رفدت هذا البحث في بيان صورة أبي نواس المنقلبة، والمواجهة للمجتمع .

وقد أفدتُ من عددٍ من المراجع، ومنها: كتاب "أبو نواس الحسن بن هانئ" لعبّاس العقاد، وكتاب "نفسية أبي نواس" لمحمد النّويهيّ، وكتاب" أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد "لأحلام الزعيم، وكتاب" أبو نواس بين التّخطّي والالتزام" لعلي شلق، فضلاً عن عدد من الدوريّات، والرسائل الجامعيّة، والمواقع الإلكترونية .

وخاتمةُ القول: فما في هذا البحثِ من إجادة ففضلٌ من الله ومنّه، وما فيه من تقصيرٍ ونقص فمن الشيطان ،وحسبي أنّي اجتهدت ما استطعت.

والله وليُّ التوفيق

التمهيد

شهد العصر العباسي صراعًا حضاريًا وتمازجًا فكريًا توغلت آثاره في نسيج مجتمع مترف، خالطه العنصر الأجنبي ، وساده الفرق والأحزاب ، واتسعت فيه الهوة بين الطبقات ، فشكل تربة غنية بالأفكار الثائرة التي أذكت روح العصر وثقافته ، وأفرزت جيلًا متميزًا من الشّعراء تزعّموا قيم التجديد والتغير ، وبرعوا في تصوير الواقع، فكانت أشعارهم انعكاسًا صادقًا لما اعترى مجتمعهم من تطور وانحلال .

وقد رفع لواء هذه النزعه التجديدية شاعرٌ عبقريٌ ، ضمّ إلى جانب موهبته الشّعرية شخصية فذة قادرة على امتلاك زمام القصائد ، وتطويعها شكلًا ومضمونًا؛ لترجمة أفكاره، وآرائه، فعمد إلى تسجيل أحوال عصره عن كثب ، وألم بواقعه ورصد جوانبه ، حيث أسرته ألوان الحضارة وضروب الفتنه فتأثر وأثر ، وامتاز بشعر الخمر ، وأغرق في غزل الجواري والغلمان ، فذاع صيته وعلت شهرته وقد قيل فيه : " أبو نواس في المحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ودلّهم على المعاني ، وأرشدهم إلى طريق الأدب، والترف في فنونه " [1] .

مولده ونشأته

تجمع معظم التراجم على أن الحسن بن هانئ، المكنّى بأبي نواس، وُلد في الأهواز في العشرية الرابعة ، أو بداية العشرية الخامسة من القرن الثاني للهجرة ، مع اختلاف بين الرواة في تحديد سنتي ميلاده ووفاته ، واتفاق بينهم على أنّ أباه كان يعمل في جند الخليفة الأموي مروان بن محمد وأنّ أمه كانت فارسية [2] .

---

[1] ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم : **أبو نواس في تاريخه وشعره وعبثه وجونه** ، ط2 ، من التراث العربي ، 1969 م ، ص48 .

[2] اختلفت آراء المترجمين لحياة أبي نواس حول سنة مولده ، فكانت بين عامي (130 – 145 هـ) ، وكذلك اختلفوا حول تاريخ وفاته ، فكانت بين عامي (195– 200 هـ) . ينظر : أبو هفان ، عبد الله بن أحمد المهزمي : **أخبار أبي نواس** ، تح : عبد السّتار فراج ، مكتبة مصر ، ص 108 – ص109 . ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله بن محمد : **طبقات الشعراء** ، تح : عبد السّتار فراج ، ط4، دار المعارف ، القاهرة ، ص 139. ابن خلّكان ، شمس الدين بن محمد : **وفيات الأعيان** ، تح : إحسان عباس ، م 2 ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ص95 . ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 20 – 21 . الحنبلي ، عبد الحي بن العماد : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ج1 ، ص 345 . البغدادي ، عبد القادر بن عمر : **خزانة الأدب** ، تح: عبد السّلام هارون ، ج1 ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، 1979 م ، ص347 . الزركلي ، خير الدين : **الأعلام** ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ج 2 ، ص225 .

وقد توفي والده عندما كان طفلًا صغيرًا ، فانتقلت به والدته الى البصرة [1] ، وشكل ذلك منعطفًا في حياته ، ولا سيما أن أبواب البصرة فتحت له ، وهي حاضرة من حواضر العلم والأدب ، ومصدر إشعاع فكري متوقد [2] ، وفيها نشأ الشاعر ، واختلف إلى حلقات الدرس في المساجد ، واستقى العلم على يد كوكبة من علماء اللغة والشعر ، إضافة إلى عمله لدى برّاء كان يبري أعواد العطور [3] .

ثقافاته

شبّ أبو نواس في صفوف طلّاب العلم فأحاط بعلوم القرآن والحديث واللغة، واطّلع على نحو سيبويه ونهل من معين أبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي حاتم السجستاني والأصمعي وحفظ عنهم، فازدادت معرفته بأخبار العرب وأيامهم ، ونوادرهم وطرق الكلام لديهم[4]، وقد قال فيه الجاحظ : "ما رأيت أحدًا أعلم باللّغة من أبي نواس ، ولا أفصح لهجة، مع حلاوة، ومجانبة للاستكراه"[5].

صحب أبو نواس خلفاً الأحمر ، فدرّبه على نظم الشعر [6] ، ولكنه استطاع أن يُكوّن رؤية شعرية خاصة به ارتكزت على سرعة بديهته وقدرته على الارتجال، وإحاطته بالتراث الشعري القديم، وما اكتسبه من كثرة حفظه وروايته .

---

[1] ينظر : أبو هفان : **أخبار أبي نواس** ، ص108 . ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص194 .

[2] ينظر : شلق ، علي : **أبو نواس بين التخطي والالتزام** ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ، 1982 م ، ص39 .

[3] ينظر : أبو هفان : **أخبار أبي نواس** ، ص108 ، 109 . ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص194 . ابن خلّكان ، شمس الدين بن محمد : **وفيات الأعيان** ، ص95 . ابن منظور : **أبو نواس** ، ص21 ، 22 .

[4] ينظر : ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص 201 . الخطيب البغدادي ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي : **تاريخ بغداد** ، م7 ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ص436 . البغدادي ، عبد القادر عمر : **خزانة الأدب** ، ص347 .

[5] الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، ص437 .

[6] ينظر : ابن منظور : **أبونواس** ، ص33 . زكي ، أحمد كمال : **الحياة الأدبية في البصرة** ، دار المعارف بمصر ، ص481 .

وقد أتاح له عمله في دكان العطارة فرصة التّعرف إلى والبة بن الحُباب[1] الذي وافق أهواءه، ودلّه على حانات الخمر، وجلسات السمّار، ولكنّه لم يبخل عليه بتعليمه الشعر، وإرشاده إلى طرق الابتكار والنّظم ، وقد أغراه بمصاحبته حتى يخرّجه شاعرًا معروفًا بعد أن رأى علامات النجابة والفلاح [2] . وكان لا بدّ لشاعرٍ نجيبٍ كأبي نواس من أخذ اللغة من مظانّها، وتعلم شواردها وغريبها ، ومذاهب الإعراب فيها ، فارتحل إلى بادية بني أسد في الكوفة ، وأقام فيها سنة يتلقى الفصاحة من موئل اللغة، وموطن العرب الأقحاح ، فحفظ الشعر، حتى روى لأكثر من ستين امرأة شاعرة ، دون الرجال [3] .

وألمّ الشاعر بثقافات عصره فتفتّحتْ أمامه آفاق الاطّلاع على حضارات مختلفة ، وأفكار متباينه ، " فأخذ يتفنّن بالعلم ، ويضرب في كلّ نوع منه بنصيب " [4] ، فتعلم الفارسية واستغلّها في فنه ألفاظًا، ومذاهب، وحكمًا، وأمثالًا ، وكان شعره شاهدًا على تقديره لتاريخ الفرس وحضارتهم ، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد كان لعلوم الهند وفلسفة اليونان، وحكمتهم حضور في شخصية الشاعر، وتراثه الفني الزّاخر بالمعطيات [5] ، المقبل على الحياة دون خضوع لقيم أو انقياد لثوابت ؛ ؛ ولم يكن الشاعر إلّا ربيب عصره في شتى جوانب المدنيّة والانفتاح .

---

[1] والبة بن الحُباب :" أبو أسامة الشاعر من بني نصر بن قعين بن الحارث ..... ، وهو كوفي ، وكان من الخلعاء المجّان " كان له دورٌ بارزٌ في إفساد أبي نواس، وإخراجه عن جادة الحق والصواب، ينظر: الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، ج13، ص487 . وينظر في ترجمته وقصة تعرّفه إلى أبي نواس : ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص86 – 89 . و ابن منظور : **أبو نواس** ، ص22– 26 .

[2] ينظر: أبو هفان :**أخبار أبي نواس**، ص138، 139، ابن منظور : **أبو نواس**، ص23– 26 . و صدقي، عبد الرحمن : **أبو نواس قصة حياته في جدّه وهزله** ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص25– 27.

[3] ينظر: ابن منظور : **أبو نواس** ، ص26 ، 50 . و خليف ، يوسف : **تاريخ الشعر في العصر العباسي** ،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة ، ص61 ، صدقي ، عبد الرحمن : **أبو نواس قصة حياته في جده وهزله** ، ص42– 43 ، مهنّا، علي جميل: **الأدب في ظل الخلافة العباسية** ، ط 1 ، 1981 م ، ص264 .

[4] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**، تح: أحمد محمد شاكر، دار التراث العربي للطباعة، ج2، ص802.

[5] ينظر: عيد ، يوسف : **دفاتر عبّاسية** ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان ، 2008 م ، ص57 .

كما خالط أبو نواس طوائف المتكلّمين ، واستقى كثيرًا من طبائعهم وأفكارهم ؛ فقد كان للمعتزلة في عصره ريادةٌ فكريةٌ ، ومنهجٌ منظّم تمثّله الشّاعر في بعض قصائده وامتعضه في قصائد أخرى [1] .

بواعث الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية لدى أبي نواس

أولاً :- الطفولة الشّاذة

رسمت طفولة النواسيّ لوحة بائسة ؛ فقد كان لوفاة والده أثر كبير في حرمانه الرعاية والاهتمام ولا سيّما أنّ والدته (جُلّبان)[2] تخلّت عنه ، وقذفته في خضم أمواج الحياة يواجه قسوتها وحده ، ولعلّها حاولت العناية به في صغره، وأسرفت في دلاله على نحو جعل قلبه متعلقًا بها [3] ، إلا أنّها ما لبثت أن شُغلت عنه بطلب الرزق ، ودفعتها شدة الحاجة إلى أن تسلم ولدها إلى عطّار، ليعمل عنده، فيما جعلت بيتها موئلاً لروّاد المتعة وطلّاب اللّذة من الرجال والنساء ، يجتمعون فيه ليقضوا مآربهم من لهوٍ، وشربٍ، وقصف على مرأى ومسمع من صغيرها [4] ، ففتحت بذلك عيونه على طريق الغواية ، وأتاحت لتلك المشاهد أن تترك في نفسه أثرًا سيئًا إلى حدٍّ بعيد ؛ فاتسمت حياته بالقسوة ، و العبث معًا [5] . فكَرِهَ أبو نواس أمه وطاردته سُمعتها السّيئة ، وزاد على ذلك زواجها الجديد الذي أدّى إلى انقطاع صلته الضئيلة بعائلته ، واتباعه هواه ، وحرمانِه من ملاذه الوحيد في طفولته العاجزة حرمانًا نهائيًا [6] ، ولذلك لم يملك أبو نواس وسيلة لمواجهة إغراء الحياة لما رُكّب في نفسه من ميلٍ إلى اللّعب ، ومن غريزة جنسية سبَبُها حبُّ الاستطلاع [7] ، إضافة إلى

---

[1] ينظر : سعيد ، فوزي : **في الأدب العبّاسي** ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندرية ، 2003 م ، ص 106 – 107 .

[2] قيل : " إنّ أمّه كانت تدعى شحمة من قرية من قرى الأهواز تدعى بباب آذر ، وكانت تعمل الصّوف وتنسج الجوارب والأخراج " ، ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 20 .

[3] ينظر : النّويهي ، محمد : **نفسيّة أبي نواس** ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ، ص 79 .

[4] ينظر : أبو نواس : **ديوان أبي نواس** ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت– لبنان ، 1982 م ، ص ط .

[5] ينظر : دكاش ، نضال الأميوني : **ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم** ، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2009 ، ص219 – ص220 .

[6] ينظر : النّويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص 80 . و أبو نواس : **الديوان** ، ص ط .

[7] ينظر : **أبو نواس** ، الديوان ، ص ي .

ما أورثته إياه أمه من عقدٍ نفسية أفرغت ظلّها في حياته وعلاقاته وشعره ، وساهمت في شذوذه وجعلته ينساق وراء شهواته دون رادع .

وليس ذلك فحسب فقد شكّلت غيرته الشديدة على أمه من زواجها دافعًا قويًا لديه لكره النّساء والنّفور منهنّ جميعًا ؛ فعاف الزّواج، وبدا مشمئزًا من التفكير به ، واندفع وراء رغباته ليعيش المحارم عمومًا [1]، في محاولة لالتماس ما يعوضه عن حرمانه العطف والرعاية .

فمضى باحثًا عن فراغ الأمومة في مجتمع خلا من القيم التي تدعو إلى حماية الطّفولة ورعايتها ، ولم يجد أمامه غير الخمر ، فتمثلها بأمٍ ترضعه لبانَها ، وتظلّه بظلّها فتقيه قيظَ الحَر ، وتشعره بالرّاحة والاكتفاء [2] ، فكانت الخمر أمّه، ومعشوقته، ورفيقة أيامِهِ ومؤنسته في ليالي وحشته وغربته. ولم يقتصر الأمر على ذلك فصورة الأمّ الخائنة طبعت في ذهن أبي نواس ، وكان يرآها في كلّ أنثى يلقاها ، فإذا به يمتنع عن إقامة علاقات حبٍّ نسائية مستوية ، وينصرف عنها إلى تعشق الغلمان، وقد رأى بعض النّقاد في التّكوين الجسدي لأبي نواس عاملًا مساعدًا على شذوذه وانحرافه، فالنّواسيّ كان جميلَ المحيّا، ألثغَ الصّوت ، وفيه من الرّقة، والنّعومة، وبياض اللون ما جعله أقرب إلى الأنثى، فتقرّب منه نظراؤه، وزادوا في غوايته [3] .

---

[1] ينظر : الحنفي ، عبد المنعم : **موسوعة الطّب النّفسي** ، ط 2 ، م 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999 م ، ص 478 .

[2] ينظر : دكاش، نضال الأميوني : **ظاهرة الزمن في الشّعر العربي القديم** ، ص 173 .

يقول أبو نواس :

{ المنسرح }

نُقُطْرُبُلٌ مرْبَعي ولي بقرُى ال   كَرْخِ مَصِيفٌ وَأُمّيَ العِنَبُ
تُرْضِعُني دُرَّها وَتَلْحَفُني   بظلِّها، والهجيرُ يَلْتَهِبُ
فَقُمْتُ أَحْبُو إلى الرَّضاع ، كما   تَحامَلَ الطِّفلُ مَسَّه سَغَبُ

أبو نواس : **الديوان** ، ص 4 .

[3] ينظر : هلال ، ريم : **الدّرس النّفسي لأبي نواس ما بين العقّاد والنّويهي** ،مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث الإنسانية،سوريا،م28 ،ع1، 2006 ، ص 50 . و النّويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص 77 – 78

ثانيًا – والبةُ وعصبةُ المجّان .

تعد حقبة التقاء أبي نواس بالشاعر الماجن والبة بن الحباب، حقبة انتقالية بسطت أثرها في حياة الشاعر وأدبه ، فقد كان والبة شاعراً خليعًا ، ينظم في الغزل والشراب ، وكان فاحشًا في أخلاقه وسلوكه ، ما يبالي ما قال و لا ما صنع ، وله في المجون والفتك والخلاعة ما ليس لأحد[1]، حتى أن الخلفاء كرهوا منادمته [2] ، إلا أن هذا كان محبباً عند النواسيّ الذي قاده إعجابه به وبشعره إلى أن يلتمس فيه المثل الأعلى والقدوة المفقودة [3] .

اهتم والبة بإرشاد أبي نواس إلى طريق الحانات، وأراد أن يخرِّجَه إلى المجتمع ماجنًا فاسدًا لا يعرف للهداية سبيلًا ، وزاد في غوايته حين قدّمه إلى رفقائه من عصبة المجان بوصفه بشارة إبليس [4] ، فامتلك أبو نواس بهذه البشارة أحاسيسهم وسيطر على عواطفهم، ولا شك في ذلك ؛ فقد كان النواسيّ جميلًا ، وسوق الجمال رائجة [5] ، وكان فكهًا ظريفًا ، كثير الدعابة، والهزل، حاضرَ البديهة ، فاستثار اهتمامهم، واستحوذَ محبتهم، وكان ذلك قاعدة لتفوقه عليهم حتى غدا زعيمهم بلا منازع [6] .

أذكت مجالس والبة ورفقائه قريحة النّواسي ، فقد مكنته من الاستماع إلى ما يرتجلون من شعر في: الغزل، والخمر، والهجاء المقذّع ، والاطلاع على ما يتناقلون من أخبار حول ما يدور في حانات الكوفة من قصص الجواري والغلمان ، وأحاديثهم الشائعة ، ونوادرهم الممتعة ، إضافة إلى ما ضمته تلك المجالس من طبائعَ ونماذجَ متباينة من النّفوس فهؤلاء الشعراء كانوا أهل الفن

[1] ينظر : الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، ج 13 ، ص 488 . و ابن المعتز : **طبقات الشّعراء** ، ص 87 ، 88 .

[2] ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص 89 .

[3] ينظر : خليل ، السيد أحمد : **في الأدب العباسي والأندلسي** ، ص86 .

[4] صدقي ، عبد الرحمن : **أبونواس قصة حياته في جدّه وهزله** ، ص41 – 42 . و هاشم ، علي محمد : **الأندية الأدبية في العصر العباسي حتى القرن الثالث الهجري** ، ط1 ، دار الآفاق ، بيروت ، 1982 م ، ص143- 144 .

[5] ينظر : عبود ، مارون : **الرؤوس** ، ط5 ، دار مارون عبود ودار الثقافة ، 1972 م ، ص131 .

[6] خفاجي ، محمد : **الحياة الأدبية في العصر العباسي** ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004 م ، ص142 . والخوسيكي ، زين كامل : **في الأدب العباسي والأندلسي** ،دار المعرفة الجامعية ، بيروت ،2006 ، ص 199 .

في ذلك الزمان، وكان منهم: الزّنديق، والشّعوبيّ، والشّيعيّ ، ممن لا يستطيعون إغفال اهتمامهم بما يدور في بلاط الدّولة من فتنٍ وثورات على الخلافة والحكام [1] .

إن تلك المجالس كانت أشبه بمدرسة تعهدت أبا نواس بالتثقيف والتّخريج ، فعلى الرغم من كونها " أفسدت أخلاقه، وعلمته أفانين الفسق إلّا أنّها هيّأت له تجويد النّظم وترطيب الكلام وأسلست له قيادة الشعر ، فتغلب على ما كان يشعر به من استحياء حين يحاول شعرًا أو يطلب منه أن يقول شعرًا فظهر على من حوله ، وبزّ كل من يحاول محاكاته ومساجلته " [2] .

ثالثًا- حبّهُ لِجنان

لم تكن (جنان)[3] فتاة عابرة في حياة النواسي ؛ فقد كان لحبها سطوة أسرت قلبه وأفقدته لبه ، وبثت في نفسه أمل الخلاص من عقده النفسية التي أصابته بها أمه ، فحاول جاهدًا التوصل إليها[4] ؛ لأنه رآى فيها مثالا للطّهر والعفة ، ولكنه كان يقابل بالصّد في كل مرة ، ولم يكن الحاحه في حبها ، وإصراره على قربها إلا بوابة للخيبة التي يمنى بها أي عاشق لا يروق لمعشوقه .

تغاضى أبو نواس عن سبّ جنان وشتمها له ، وشكايتها منه ، وكان يرد على ذلك بشعر فيّاض بمعاني الحب واللوعة ، مظهرًا رهبة منها تمنعه من التمادي في فسقه ومجونه الذي كان العائق الأول في نفور جنان منه ، ورفضها إياه [5] ، يقول :

---

[1] ينظر : خليل ، السيد أحمد : **الاتجاهات الأدبية في العصر العباسي** ، ص87 . وخريس ، حسين : **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 م ، ج1 ، ص45 . و أبو نواس : **الديوان** ، ص ل .

[2] ينظر : أبو النصر ، عمر : **أبو نواس في مباذله** ، ط1 ، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا – بيروت ، 1955 م ، ص 33 .

[3] جنان هي : " جارية آل عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثّقفي المحدث ، وكانت حلوة جميلة المنظر ، أديبة تروي الأشعار وتعرف الأخبار ، وكانت مقدودة الحسن والقوام ، شغف أبو نواس بها ، وقال فيها الكثير من الشّعر حتى قيل : " إنّه لم يصدق في حبّ امرأة غيرها " . ينظر : الأصبهاني ، أبو فرج : **الأغاني** ، م18 ، القسم الأول ، دار مكتبة الحياة ، دار الفكر ، بيروت ، 1956 م ، ص 3 . وابن منظور : **أبو نواس** ، ص 149 ، 151 .

[4] ينظر : ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 151 ، 152 .

[5] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 م ، ج2 ، ص 114 .

{ الوافر }

جِنـــانُ تَسُـــبُني ذُكِـــرَتْ بِخَيـــرٍ وَتـــزْعُم أنَّنــــي مَـــذِقٌ خَبيـــثُ
وأَنَّ مَـــــودَّتي كَـــــذِبٌ وَمَــــيْنٌ وأَنّــــي لِلَّــــذي أَهـــوى بَثـــوثُ
وَمــــا صَــــدقَتْ ولا رَدٌّ عَليهـــــا وَلكــــنَّ المَلـــولَ هُـــو النَّكــوثُ
وَلــــي قَلــــبٌ يُنــــازِعُني إِلَيْهـــــا وَشَــوْقٌ بَــينَ أَضْــلاعي حَثيــثُ
رَأَتْ كَلَفــــي بِهـــا وَدوامَ عَهـــدي وَكَرْهَتْنــي كَــذا كــان الحَــديثُ[1]

ويقول :

{ مجزوء الكامل }

لَـــــوْلَا حِـــــذَاري مِـــــنْ جِنَـــانِ لَخَلعْــــتُ عَــــنْ رَأْسِــــي عنَــــاني
وَرَكِبْـــــت مَــــا أَهْــــوَى وَكـــــمْ أَجْفُــــو مَقالَــــةَ مَــــنْ نَهَــــاني
وَخَرجْــــــتُ أخـــــبِط سَــــــادرًا لــــمْ أغْـــنَ عَـــنْ حُـــبِّ الغَـــواني[2]

أعيا الشاعر نفسه في تتبع جنان ، وملاحقتها منتهزًا أيّ فرصةٍ تجمعه بها ؛ ليعبر عن كلفه بحبها وما يعانيه من وجده بها ، محاولًا استعطافها واستمالة قلبها علّها ترق لحاله . فيقول :

{ المتقارب }

حبيبِـــي ظلـــومٌ علـــيَّ ضَـــنينُ بربّـــي علـــى ظُلْمِـــه أَســـتَعينُ
يعــــــزٌّ علـــــيَّ ، ولكنَّنـــــي بحمْـــدِ إلهـــي عليـــه أَهُـــونُ
فياليـــتَ شـــعْري أمِـــن صَـــخْرةٍ فـــؤادُكَ هـــذا الـــذي لا يلـــينُ [3]

ويقول :

{ المنسرح }

جِنـــانُ إن جُـــدْتِ يـــا مُنـــايَ بمـــا آمَـــلُ لـــمْ تقْطُـــر السّـــماءُ دَمـــا
وإنْ تَمــــادَيْ ولا تماديْــــتُ فـــــي مَنْعِـــك أُصْـــبِحْ بِقَفْــــرَةٍ رِممـــا
عَلِقْـــتُ مَـــنْ لـــو أَتـــى علـــى أنْفُـــس الماضـــينَ والغـــابرينَ مـــا نَـــدِما

---

[1] ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 155 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 289 .

[3] **المصدر السابق** : ص 292 .

لَـــوْ نَظَـــرَتْ عيْنُـــهُ إلـــى حَجَـــرٍ   وَلَّـــــدَ فيـــــه فتورهــــا سَـــــقَما[1]

ولكن محاولاته باءت بالفشل ؛ فقد بات وصل المحبوبة أمرا مستعصياً لا سبيل له إلا بالعزوف عن نهج تبناه ، وطريق رصفه بالشذوذ والانحراف ، وقد أرادت مولاة جنان أن تهبها له بشرط تخليه عن اللواط [2] ، فكان هجره لمحبوبته أكثر هوانًا عليه من تخليه عن شذوذه الذي مثّل مسارًا لنفسه ، يقول :

{ الوافر }

يُشـــاطِرُني الحبيـــبُ علـــى الشُّـــروطِ   ولســـتُ بمـــا يُشـــاطِر بالسَّـــخُوطِ

أرى تــــرك اللّـــواط علـــيّ عـــارًا   لأنـــي واحـــدٌ مـــن قـــومِ لُـــوطِ [3]

أيقن أبو نواس أنّ مطلب جنان عسير، وأنّ فراقها سيغدو قدراً حتمياً ؛ ولا سيما أنّ جنان تركت البصرة مُخلّفةً وراءها عاشقاً مضطرمَ الشّعور ، حائرَ النّفس فقد شكل غيابها هزّةً نفسيةً عنيفة ؛ فهو مرفوض مجددًا من امرأة أخرى كان في نظره مثالًا لعذرية الحب وعفة الجسد . فمضى يجر أذيال الخيبة ، وينفض عن نفسه غبار الذّكريات ليعود مواجهًا مجتمعه بفسق وفجور، فقارع الخمر وعاشر الغلمان وتغزل بهم ، وغاصَ في بحر اللّذات والمتع الحسية ، وسكب في شعره صوراً التقطها لذاته وهو يمارس عقده النّفسية التي زاد من وطأتها رحيل جنان عنه . ولئن كان حب جنان باعثاً للتفكير في الحياة من زاوية مفعمة بالتجدد والإنطلاق وإخماد جذوة الحيرة والتساؤل التي غدت هاجساً يؤرقه ، فقد أودت به إلى يقين سلبيّ جعله يكفر بالدين والحياة وما وراءها [4] . فلم يكن انسياقه وراء المجون وإقباله على صخب الملذات بشكل مستمر وإدمانه على الخمر إلّا محاولةً لإسكات الصراخ العاطفي الحبيس في أعماقه ، ونسيان هموم تعتلج صدره [5].

---

[1] الأصبهاني : **الأغاني** ، م 18 ، ص 6 ، 7 .

[2] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد** ، ج 2 ، ص112 .

[3] ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1992 م ، ج 25 ، 137 .

[4] ينظر : حاوي ، إيليا : **فن الشعر الخمري** ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، 1960 م ، ص 212 – ص 213 .

[5] ينظر : أبو نواس : **الديوان** ، ص س ، ص ع .

الفصل الأول

الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في الموضوع الديني

المبحث الأول- الحياة الدينية في العصر العباسي الأول

المبحث الثاني - موضوعات الانقلاب والمواجهة الدينية عند أبي نواس

الانقلاب في المفاهيم الدينية لدى أبي نواس

أولاً- المجون

ثانيًا- الزّندقة

ثالثًا- الزّهد

الفصل الأول

الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في الموضوع الديني

المبحث الأول– الحياة الدينية في العصر العباسي الأول

اتّسم عصر أبي نواس بتآلف الحضارات واختلاف المعتقدات ؛ فقد غرس الامتداد الفارسي جذوره في شتى نواحي الحياة العباسية ، محاولاً زعزعة أركان الدولة الإسلامية التي أوقعت بالنظام الفارسي وقوّضت أركانه ، فأراد بعض الفرس أن يكون الحكم العباسي فارسيًا مظهرًا وحقيقة ، وسعوا لتحقيق ذلك جهارًا وخفية بدس المانوية [1] ، والزرادشتية [2] ، والمزدكية [3] ، في زوايا المجتمع العباسي الذي نعم بالأمن والاستقرار، واتّسع فيه تيار اللهو والمجون ، وازادات عدد الخمارات والديارات والدساكر، وانتشرت فيه الجواري والغلمان انشارًا كبيرًا ، فعلى الرغم من كون ذلك العصر قريبَ عهدٍ بزمن ظهور الإسلام وتحريم تلك المظاهر [4] .

فكان المجتمع العباسيّ عرضةً لموجة فساد وانحلال خلقي وديني واجتماعي ؛ لما شاع فيه من أدوات لهو ومجون ورثها عن المجتمع الساسانيّ الفارسيّ ، إضافة إلى حرية مسرفة منحت للأفراد إبان الثورة العباسية [5]، فأقبل الناس على الشّهوات والملّذات دون رداع ، وتفشت (الزندقة)[6]

---

[1] المانوية : من الديانات الفارسية القديمة ، التي جمعت بين الدّيانة النّصرانية ، وأضيف إليها بعض تعاليم الديانة البوذية ، والديانة الزرادشتية ، وهم أتباع ماني . ينظر : بهجت ، مجاهد مصطفى : **التيّار الإسلامي في العصر العباسي الأول** ، ط1 ، 1982 م ، ص 107 .

[2] الزرادشتية : هم أتباع زرادشت بن بورشف ، وهم من المجوس ، أتاهم زرادشت بكتاب فيه أمرٌ ونهي ووعدٌ ووعيد وشرائع وعبادات و معجزات تبهر العقول ، وأخبرهم بالغيبيات . المسعودي : **مروج الذّهب ومعادن الجوهر** ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، 1982 م ، م 10 ، ص 196 ، 197 .

[3] المزدكية : " من فرق الغلو ممن انتحلوا التّشيع ونفوا الرّبوبية عن الخالق تبارك وتعالى وأثبتوها في بدن مخلوق باعتبار البدن مسكنًا لله وأنّ الله تعالى نورٌ أو روح ينتقل في الأبدان ، وأحلّوا الشهوات والزّنا وشرب الخمر والميتة ونكاح الرّجال " الحنفي ، عبد المنعم : **موسوعة الفرق والجماعت والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية** ، ط 2 ، مكتبة مدبولي ، 1999 م ، ص 584 .

[4] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ط 2 ، مطبعة الاعتماد ، 1934 م ، ص 139 – ص141 .

[5] ينظر : ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، ط 6 ، دار المعارف بمصر ، ص65 .

)[1] بمذاهبها وعقائدها في أوساط الطبقة المترفة من حاشية الخلفاء وشعرائهم ومنشديهم الذين كانوا يجاهرون بتهكمهم ، ويفرطون في دعوة الناس إلى مبادئهم في فجور وإباحة واستهتار ، وتعرض ساخر للدين وأحكامه ، وانجراف للكفر والإلحاد [2] .

وعلى الرغم من كل المحاولات التي قام بها الخلفاء العباسيون لقمع تلك الظواهر بالتعذيب والقتل [3]، فقد ظل التّيار الماجن طابعاً يمثل ذلك العصر . ولكن تنازعه تيار مضاد دعا إلى التمسك بالعقيدة والرجوع إلى الدين الصحيح ، وتجنب الفحش الناجم عن معاقرة الخمر والعبث بالجواري والغلمان ، مستمدًا قوته من تعدد الروافد الإسلامية ومعتمدًا على نشاط الفرق والأحزاب الدينية التي تزعمت حركة الجهاد الداخلية والخارجية [4] ، وعلى طائفة من العلماء والوّعاظ والنّساك الذين لم يعرفوا مجوناً ولا زندقة ؛ لانتمائهم إلى طبقة العامة وبعدهم عن مظاهر الترف والفساد ، وعيشهم في ضنك وبؤس بعيدًا عن النّعيم فرفعوا لواء الزهد والتصوف والتشيع ودعوا الناس إلى العبادة وسلوك السبيل الواضحة إلى جنة الآخرة [5].

هذا الواقع الّذي يعجّ بالتناقضات أوقع كثيراً من الشعراء في مسّلة الاتهام بالزّندقة ؛ لأنّ كلمة زنديق أصبحت تطلق على كلّ ماجنٍ خليعٍ مستخفٍ بالدين ، وعلى كلِّ ملحدٍ منكر للبعث والنشور[6] ، والحقّ أن الدافع وراء زندقة بعض الشّعراء كان دافعاً علمياً ؛ حيث آمنوا بسلطان العقل العقل ورفضوا الإيمان بكل ما لا تراه العين ، وليس لحكم العقل فيه مجال ؛ وربّما كان السبب في ذلك اقتران العصر العباسيّ بالجدل الدينيّ والبحث الفلسفيّ الذي دار بين فرق المتكلمين ، ومذاهب المعتقدين بالفلسفة الفارسية [7] .

---

[1] الزندقة : الزنديق هو : القائل ببقاء الدّهر ، فارسيّ معرّب ، وهو بالفارسية زندكاي ، يقول بدوام الدّهر ، والزنديق معروف ، وزندقته أنّه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق . ينظر : ابن منظور : **لسان العرب** ، (مادة زَندقَ) . و ابن دريد : **جمهرة اللغة** ، ط 1 ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتّوزيع ، القاهرة ، ج 3 ، ص 504 ، ص 505.

[2] ينظر : ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، ص 82 – ص83 . و أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ص184 . وبهجت ، مجاهد مصطفى : **التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول** ، ص 107 .

[3] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ص140 – ص141 .

[4] ينظر : بهجت ، مجاهد مصطفى : **التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول** ، ص 841 .

[5] ينظر : ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، ص84 .

[6] حجاب ، محمد نبيه : **معالم الشعر في العصر العباسي الأول** ، دار المعارف ، القاهرة ، 1972 م ، ص 161 .

[7] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ص131 ، ص155 .

فأظهر أولئك الشعراء الإسلام وأبطنوا ما يدينون به حقيقة من تعاليم المجوسية ، وكان بعضهم ينزع إلى أصله الفارسيّ وانتمائه إلى الموالي ، وبعضهم الآخر عربيّ أوقعته الخصومات السياسية في شَرَك الاتهام بالزّندقة [1].

وهناك دافع آخر للزندقة ، مثلته طائفة من الشعراء الذين أخذهم حبّ الحياة ، وكان همّهم تحقيق الشهوات والسّير وراء الملذات ، وإظهار خفة الروح في إطار اللهو والمجون ، فكان كل ما يعرض مجونهم ولهوهم ويحدّ من لذاتهم موضع إنكارهم وبغضهم ، ومجال سخريتهم وعبثهم .

ولم تكن زندقة هذه الفئة إلا ضرباً من ضروب التّهتك والفجور ، واستعباد اللّذات في كثير من الأحيان [2] .

في حين آثرت فئة أخرى من الشعراء اتباع التّيار الزاهد ؛ بإصغائهم لما تمليه عليهم فطرتهم من خوف من الموت وما يتلوه من ثواب وعقاب ونبذ الملذّات التي تتنافى والسلوك السويّ للإنسان فاصطبغ شعرهم بمعاني الإيمان والتوبة ، ودعوة الناس إلى خشية الله وحسن العمل التماسًا لأجر الآخرة ، وعدم الاغترار بنعيم الدنيا الزائل [3] ، وقد تواجد أولئك الزّهاد في المساجد ، والتفوا حول حلقات النّسك والوعظ ، صارفين أنفسهم عن ملذات الحياة ، ومحاولين السموّ بأرواحهم إلى مصافِ النور والهداية ، وحجب ظلل الكفر والإلحاد [4] .

---

[1] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ،ص151 .

[2] ينظر : إسماعيل ، عز الدين : **في الأدب العباسي الرؤية والفن** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1975 م ، ص262 .
وأمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ص156 .

[3] ينظر : إسماعيل ، عز الدين : **في الأدب العباسي الرؤية والفن** ، ص309 .

[4] ينظر : خليف ، يوسف : **تاريخ الشعر في العصر العباسي** ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981 م، ص 36 .

مهّد التيار الزاهد بأفكاره وآرائه لنزعة تصوف مثّلها كثير من من الشيوخ والنّساك واستطاع أن يكون ميدانًا نشطت فيه الفرق والأحزاب، كالمعتزلة [1]، والشيعة [2]، والمرجئة [3]، والجبرية [4] .

وكما ارتبط العصر العباسيّ بتيّار المجون ، ارتبط بتيار الزهد ارتباطه بتيار المجون ؛ فكان ذلك سببًا في تذبذب بعض الشعراء بين التيارين أمراً طبيعياً ، فترى أنّهم قد عرفوا بزهدهم بعد رميهم بالزّندقة غير أنّ ذلك التذبذب تعلّق بعوامل أخرى كالنشأة والظّروف الاجتماعية والاقتصادية [5] .

---

[1] المعتزلة هم : " أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية وبالعدلية ، وأصول مذهبهم هو التّوحيد والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بن المنزلتين والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فمن خالفهم في التوحيد سمّوه مشركاً ، ومن خالفهم في الصّفات سمّوه مشتبهاً ، ومن خالفهم في الوعيد سمّوه مرجئًا ، ومن اكتملت له وتحققت فيه الأصول الخمسة فهو المعتزليّ حقاً. الحنفي، عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية**، ص589.

2 الشيعة هم : " الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه ، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّة ، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ... " **المصدر السابق** : ص 414 .

[3] المرجئة : الإرجاء بمعنى التأخير ، والمعنى الآخر إعطاء الرّجاء ، وتقول : أرجيت فلاناً تريد أنّك أعطيته الرّجاء . ويجوز أن تكون تسمية هذه الفرقة بالمرجئة مأخوذة من المعنى الأول لأنّهم كانوا يؤخرون العمل عن النّية وعقد القلب ، فالعمل عندهم لا يضر ما دامت العقيدة صحيحة فهي تهتم بالعقيدة وتهمل ، أي تؤخر الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة حتى ينفذ الله ما يريد ، إما أن يعفو عنه ، وإما أن يعاقبه على معصيته ، ويجوز أن تكون مأخوذة من المعنى الثاني لأنّهم كانوا يقولون : " لا تضرّ مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة " ، فقد كانوا يعطون المؤمن العاصي الرّجاء في ثواب الله والنّجاة يوم القيامة . ينظر : **المصدر السابق** : ص 577 . و مزروعة ، محمود محمد : **تاريخ الفرق الإسلامية**، ط 1، دار المنار، 1991 م ، ص 100 .

[4] الجبرية هم : الذين " قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال وأنكروا الاستطاعات كلّها ، وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنّما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، أفعال الإنسان مخلوقة لله وما الإنسان إلّا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يدي الإنسان ، والكسب هو تعلّق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدر المحدث من الله على الحقيقة " . الحنفي ، عبد المنعم : **موسوعة الفرق والجماعات المذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية** ، ص 189 .

[5] كانت تهمة الزندقة مشتركة بين المجان والزّهاد على السواء ، ولذلك طالت التهمة أبا العتاهية ، أكبر دعاة الزهد في ذلك العصر ، حيث قيل إنّه لا يؤمن بالبعث وإنّه ولا يذكر الجنّة والنّار وإنّما يذكر الموت فقط . ينظر : إسماعيل ، عز الدّين : **في الأدب العباسي الرؤية والفن** ، ص 269 .

المبحث الثاني– موضوعات الانقلاب والمواجهة الدينية في شعر أبي نواس

الانقلاب في المفاهيم الدينية لدى أبي نواس

اصطبعت شخصية أبي نواس بطابع دينيّ ميزه عن شعراء عصره ، تمثل بتأرجحه بين الكفر والإيمان والشّك واليقين ، فبات أمر تصنيفه على دارسي شعره صعباً إلى حد ما [1] ؛ فتارة يحمل شعره صفة التطّرف والمجون ، أو صفة الزّندقة التي تصل إلى الإلحاد ، وتارة يسمو إلى مراتب الزّهاد والمتصوفين . ولا شكّ في أنّ جذور ذاك التأرجح تمتد إلى أعماق شخصية أبي نواس الّذي اعتاد التّقلب والجمع بين المتناقضات ؛ في سبيل خلق رؤية ثائرة على جميع السّلطات والقيود.

التحق أبو نواس في مقتبل عمره بحلقات المسجد ، وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي، الذي أجازه بأقرأ أهل البصرة [2]، فنشأ " عالماً فقيهاً، عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيرًا بالاختلاف صاحب حفظ ونظر، ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه ومتشابهه"[3]، ثم انضم إلى مجالس اللّغويين طالباً العلم ، وراغباً في الأدب والشعر ، ولعلّ هذا يعكس جانبًا جديًّا في حياة النواسيّ وإرهاصاً لبروز شخصية أثارت جدلًا دينيًا فيما بعد ؛ فلم يلبث الشاعر أن سعى إلى مجالس اللهو والمجون ، وعاشر الخلعاء والمتهتكين ، وتخلّق بأخلاق المتكلّمين ، وقادته فلسفته إلى الاهتمام بالزّندقة والإلحاد ، واخْتُلِف في تفسير مذهبه الدينيّ، فعدّه بعض الدارسين من المرجئة، ومنهم من رآه من الجبرية ، ونسب إليه آخرون الكفر، والإباحية[4] ولم تكن تلك الاتهامات

---

[1] ينظر : خليل ، ياسين عايش : **قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة** ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ،2011 م ، ص67 ، ص 69 . ومجموعة من المؤلفين : **المفيد في الأدب العربي** ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1964 م ، ج2 ، ص 486 .

[2] ينظر : ابن منظور : **أبو نواس** ، ص21 .

[3] ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص201 .

[4] الإباحية هم : " فرقة من المتصوفة أو المندسين في الصوفية أو المتشبهين بهم ، دخلوا التصوف ظاهراً وقالوا : إذا كانت السعادة والشقاوة قد كتبت علينا والأعمال في الأصل لا تراد إلّا لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، فإن الأولى أن توجه العبادة إلى مساعدة المقدور على الوقوع ، بأن نترك النفوس على سجيتها ، ولا نمنعها عن ملذوذ مقدورٍ لها تحصيله، وقالوا : إن الله مستغن عن أعمالنا فلنترك إذن أنفسنا على سجيتها ، بحسب ما هو ميسر له كل منّا ... وقيل : إنّهم كانوا يستحلون المحرمات " . الحنفي ، عبد النعم : **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب الحركات الإسلامية** ، ص 23 .

عبثاً ؛ فقد غصّ كثيرٌ من شعره بمعاني المنكر ، وأغرق بالدعوة للفحش، والحضّ على الإباحية والمجون ، على نحو يجعل المتأمل في شعره يظنّ أنّه سار في طريق ضلال لا هداية بعده ، وأنّ آثامه لن تغفر ، وأنّ لهفته على اللّذة قد امتلكت عليه نفسه ، فغدا إماماً للفسق ، وعلماً من أعلام الفجور ، ولكنّ المتأمل سيفاجأ لدى قراءته لمقطوعات شعرية أخرى بشاعر منقلبٍ على ذاته، قادر على إثبات إيمانه العميق ، وكشف النّقاب عن ذنوبه ، غير متوانٍ عن الاعتراف بخطاياه إذا تعرّض للومٍ أو مساءلة ؛ فهو موقنٌ بأنّ التّوبة تجبّ ما قبلها ، وأنّ تماديه بالخطايا يقابله عفو الله ومغفرته ورحمته الواسعة .

ولذلك تنازع أبو نواس في نفسه نشوتان [1] ، إحداهما نشوة دينية يحاول من خلالها الارتقاء إلى منازل العبّاد والمتقين ، فيتشح ثياب التّوبة والإنابة ، ويعلن انقطاعه عن المعاصي والزّلات ، وأخراهما نشوة حسّية تعلي شأن اللذة وتدفعه إلى اتباع الشّهوات واقتناص فرص نيلها ، فيخلع عذار التّوبة ويتأسف على ما فاته من متع ، ويحدوه سعي حادٌ لتعويضها ، خاضعاً لسطوة الخمر وتعشّق الغلمان ، ومغفلاً خوفه من عذاب الله ، ومجاهراً بآثامه .

وقد ظلّ النواسيّ في هذا الصّراع حتّى دنا أجله واحتضرته سكرات الموت ، فبدا متحسراً على ما فرّطه في جنب الله طالباً الصفح والغفران ، بعد أن نال منه البلاء وأثقله المرض[2] ، فغلّب الحق على الباطل وقال :

{ الرمل }

دَبَّ فـــيَّ الـــبلاءُ سُـــفْلًا وعُلْـــوَا   وأرانـــي أمـــوتُ عضْـــواً فَعُضْـــوَا
لـــيس مـــن ســـاعةٍ مضَـــتْ لِـــيَ إلّا   نقَصَـــتني بمرِّهـــا بـــيَ جُـــزْوَا
ذهبَـــتْ جـــدَّتِي بطاعَـــةِ نفْسِـــي   وتـــذكّرْتُ طاعـــةَ اللهِ نِضْـــوَا
لهْـــفَ نفْسِـــي علـــى ليـــالٍ وأيَّـــا   مٍ تملَّيْـــتهُنَّ لِعْبـــاً ولهْـــوا
قد أسأْنَا كلَّ الإساءَةِ فاللَّـهُمَّ صفْحاً عنّا وغَفْرًا وعفْوَا [3]

---

[1] ينظر : النويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص119 .
[2] ينظر : ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 254 – ص 255 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 580 .

وأثبت أبو نواس سعيه إلى مجاهدة نفسه لخلق توازن بين مطالب الروح وحاجات الجسد، متحديًا نفسه ومجتمعه وكلّ عاذل يهدف إلى تعكير صفو ذاته المحبّة للحياة بمسراتها وملاهيها، وكلّ من يحاول نفي استحقاقه للمغفرة ، وإنذاره بحتمية العذاب . فضمّن شعره ما يؤكد إدراكه لحقيقة الشعر بإظهاره معاني الإبداع والخلق المرتبط بعمق الشّعور دون تقيّد بحدود أو إذعانٍ لقواعد . وأهمّ الموضوعات التي ظهر فيها الانقلاب في المفاهيم الدينية عند أبي نواس هي:

أولاً- المجون

المجون في اللغة مأخوذٌ من مَجَنَ الشيء يمْجُن مجوناً إذا صَلُبَ وغَلُظَ ، ومنه اشتقّ الماجِنِ لِصلابةِ وجهِه وقلّة حيائه ، وفي الاصطلاح : المجونُ خلطُ الجدِّ بالهزل[1] ." والماجن عند العرب من يرتكب المَقابِح المُرديَة والفضائحَ المُخزية ولا يمضه عذلُ عاذله ولا تقريع من يقرّعه " [2].

وقد حملت هذه اللفظة طابعاً خاصاً في العصر العباسي ؛ نتيجة لطبيعته التي أباحت وسائل اللذة، ووفرت أسباب المتع ، فهيأت الفرص لكلّ ماجنٍ للمجاهرةِ بأقواله وأفعاله دون خوف من رقيب أو حسيب ، وارتبطت بصفة التّظرف [3] ، فكانت سمةً لكل ظريف يسعى للاشتهار بين الناس في مجتمع أسقط الأخلاق ونزع عن الفضيلة ؛ فعمرت مجالس المجّان بشعراء عرفوا بظرفهم وفسادهم وقلّة ورعهم وبشغفهم بالخمر ، وغزلهم الفاحش بالجواري والغلمان مع استهتار بالدين وشرائعه ، وإباحة محارمه . والأمثلة على هؤلاء كثيرة ؛ فوالبة بن الحباب شاعر ٌمعروف ببغيه وشذوذه ، وإسرافه بالخلاعة والفجور ، ومطيع بن إياس كان متحللًا من الأخلاق مجاهراً بالفسق والعصيان[4]، والرّقاشيّ الذي كان متهاوناً بمروءته ودينه ، يوصي بالخلاعة والمجون ويحثّ

---

[1] ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (مَجَنَ) .

[2] الزبيدي ، محمد مرتضى : **تاج العروس** ، م 9 ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ص341 .

[3] التّظرّف في اللغة : " ظَرُفَ ظَرْفاً وظرافةً : كان كيّسًا حاذقًا لطيفًا حسن الهيئة يَظرف في أحاديثه ، ويَشدّ السامعين إليه". اللّجمي ، أديب ، وآخرون ، المحيط : **معجم اللغة العربية** ، ط 2 ، م 2 ، المحيط ، بيروت ، ص 830 . و " الظّرف البراعة وذكاء القلب ، وقيل : الظرف حسن العبارة والحذق بالشيء " . ابن منظور : **لسان العرب** ، م9 ، ص 228 .

[4] ينظر : ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص 93 – 95 . و ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، ص 390 .

أصحابه على الفاحشة وشرب الخمر والقمار [1] ، والخاركيّ الذي لم يعرف للاحتشام سبيلاً ولا للاستتار مسلكًا [2] .

وهؤلاء الشعراء وغيرهم كانوا أعلاماً في المدن العراقية التي انحدرت تباعاً إلى منحدر الحضيض الأخلاقيّ ، وهم أيضاً خلان أبي نواس وخاصته ، الذين أسلموا له قيادتهم في المجون والهزل ، فأصبح لسانهم الصّادق ومرآتهم الصافية [3] .

1- السعي للمتعة بكلّ طريق

أقدم أبو نواس على الحياة بكلّ ملذاتها ، ومضى لاهثاً وراء طرائق اللهو، مؤثراً اتباع الغيّ للتوصل إلى سعادة تصرف الهموم وتدفع القنوط ، دون خوفٍ من نهاية تتبعها سوء عاقبة، فيقول :

{ الوافر }

ألـــم ترَنـــي أبحْـــتُ اللَّهـــوَ نفْسِـــي ... ودينِـــي واعتكَفْـــتُ علـــى المعاصـــي

كــــأنّي لا أعــــودُ إلــــى مَعَــــادٍ ... ولا أخْشَـــى هنالـــكَ مـــن قِصَـــاصِ[4]

وهان على الشاعر كلّ شيء في سبيل الحصول على متعه ، فبات مفتونًا بما توفره الحضارة عاكفًا على لذّة لا يقيدها ستر ولا يحدّ من صبوتها عذر ، يقول :

{ الطويل }

غـدوت علــى اللّــذاتِ مُنْهتــكَ السّــتْرِ ... وأفْضَــت بنــاتُ السِّــرِّ مِنّــي إلــى الجَهْــرِ

وهــــانَ علــــيَّ النَّــــاسُ فيمــــا أُريـــدُهُ ... بمــا جئــتُ فاسْــتَغيثُ عــن طلــبِ العــذرِ[5]

ولم يحفل أبو نواس بالشواغل العامة كونيةً كانت أو محلّية ؛ فهو مشغول بطلب اللّذة الشخصية ، ينشد الرّاحة وخلو البال بالطرب والمدام [6]، ويظهر ذلك في قوله :

---

[1] ينظر : الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد : **الأغاني** ، دار الكتب ، ج16 ، ص 246 . و ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص 226 – ص 227 .

[2] ينظر : ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، ص 306 – ص 307 .

[3] حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ط 12 ، دار المعارف بمصر ، ج 2 ، ص 35 .

[4] أبونواس : **الديوان** ، ص 622 .

[5] **المصدر السابق** : ص 139 .

[6] ينظر : صدقي ، عبد الرّحمن : **ألحان ألحان** ، دار المعارف بمصر ، 1957 ، ص 5 .

{ المتقارب }

طربْـــتُ إلـــى الصَّـــنْجِ والمِزْهَـــرِ وشُـــــرْبِ المُدامَـــــةِ بـــــالأكْبَرِ

وألقَيْـــتُ عنّـــي ثيـــابَ الهُــدَى وخُضْـــت بُحـــورًا مِـــنَ المُنْكَـــرِ

وأَقبَلْـــتُ أسْـــحَبُ ذَيــلَ المُجــونِ وأَمشـــي إلـــى القصــفِ فـــي مِئْــزَرِ[1]

وهو يصرّ على أنّ نفسه عزيزة لا ترضى إلّا بكل شيء حرام ، ولذا تراه قد وهب حياته لما يحقق له السّرور ، ويساعده على قضاء عمره بالملذات ، حيث يقول :

{ الخفيف }

نَســـــــيتني حـــــــوادِثُ الأيـــــــام وصـــفَتْ عِيشَـــتي ، وقَـــلَّ اهْتمـــامِي

أقْطَـــعُ الــــدَّهرَ بالنَّــــدامَى الكِـــرام وركـــوبِ الهَـــوى وَشُـــرْبِ المُـــدامِ

أنِفَـــتْ نَفســـــي العَزيـــــزَةُ أَنْ تَقْـــــنَعَ إلّا بِكِلِّ شَيءٍ حرامِ[2]

ويقول :

{ الطويل }

رأيـــتُ اللّيـــالي مُرْصِـــدَاتٍ لِمُـــدَّتي فَبـــادَرْتُ أيـــامي مُبـــادَرَةَ الـــدَّهْرِ

رَضـــيتُ مِـــنَ الـــدُّنيا بِكـــأْسٍ وَشـــادنٍ تَحيَّرُ في تفْضِيلِهِ فِطَنُ الفِكرِ[3]

2-تفضيل اللهو على الفروسية

لا يعبأ الشاعر بمظاهر الفروسية والشجاعة ، في وقت كان الشّعراء يحرصون عليها، ويصرّون على إبرازها في قصائدهم ، فعناق الغانيات ومشاهدة الندماء وهم يقصفون على أوتار العود أطيب عنده من معانقة السّنان في يوم الطّعان . يقول :

{ الوافر }

وقَـــولٍ قُلْتُـــه فأصـــبْتُ فيـــهِ ولـــم أخْفِـــلْ مقالَـــةَ مَـــنْ لَحـــاني

عنـــاقُ الغانِيـــاتِ أَلَـــذُّ عِنْـــدي وَأَشْـــهى مِـــنْ مُعانَقَـــةِ السِّـــنانِ

ويـــومٌ عِنْـــدَ نـــدمانٍ كـــريمٍ يجـــاوبُ فيـــه أوْتـــارَ القِيـــانِ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 682 .

[2] **المصدر السابق** : ص 372 .

[3] **المصدر السابق** : ص 139 .

يـــواتيني النّـــديمُ علـــى التَّصَـــابي   ألـــذُّ إلـــيّ مـــن يـــوم الطّعـــانِ[1]

3- المفاخرة بالمجون والدعوة إليه

لقد سعى أبو نواس من خلال مجونه إلى التجديد ومخالفة المألوف الذي ابتذله النّاس ، فلم يكتف بإقدامه على المعاصي وإنّما تباهى بها ودعا إليها ، فهو يريد من أهل عصره أن يقبلوا على ما منحته البيئة الجديدة من رخاء ورفاهية [2] ؛ ولذلك نقل ما يعتريه من مشاعر ، وما يخالجه من أحاسيس لدى نهمه من متع الحياة نقلاً صادقاً . يقول :

{ مجزوء الرمل }

فـــامْضِ فـــي اللّـــذَّاتِ قُـــدْمًا   واخْلَعَـــــنْ فيهـــــا العِـــــذَارَا[3]

ومضى أبو نواس يحضّ بصراحة مطلقة طُلّاب المتعة على اقتحام ساحاتها دون تردد أو خشية لوم أو حساب [4] ، فيقول :

{ البسيط }

بـــادِرْ صَـــبوحَكَ وانْعَـــم أيُّهـــا الرَّجُـــلُ   واعـصِ الـذين بِجَهْـلٍ فـي الهـوى عَـذَلُوا
واخْلَـــعْ عَـــذارَكَ ، أَضْـــحِكْ كُـــلَّ ذي طَـــرَبٍ   واعْـــدِلْ بِنَفْسِـــكَ فـــيهم أَينَمـــا عـــدلُوا
نـــالَ السُّـــرورُ ، وخفْـضُ العـيشِ فـي دَعَـةٍ   وفـــازَ بالطّيِّبـــاتِ المـــاجِنُ الْهَـــزِلُ[5]

لقد صاغ النواسيّ حياته من فلسفة خاصة ، دعائمها كلّ ما تمليه عليه نفسه ، وما تفضيه إليه روحه ، وما تدفعه إليه شهوته ، فلم يظهر يوماً خلاف ما يبطن ، ولم يدع للتستر والنّفاق مجالاً في حياته [6] ، فيقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 353 .
[2] ينظر : خليل ، ياسين عايش : **قراءات في تمرّد الشعراء العبّاسيين على السلطة** ، ص 77 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 112 .
[4] عبد العال ، محمد جابر : **حركات الشيعة المتطرفين** ، مطبعة السّنة المحمدية ، 1954 م ، ص 281 .
[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 84 .
[6] ينظر : فروخ ، عمر : **أبو نواس شاعر هارون الرّشيد ومحمد الأمين** ، ط 3 ، مكتبة الكشّاف، بيروت ، 1946 م ، ص 45 .

{ مجزوء الكامل }

وَدَع التّسَتُّرَ والرِّيا ءَ فَمَا هُمَا مِنْ شانِيَهْ [1]

ويقول :

{ الطويل }

فَبُحْ باسْمِ مَنْ تَهوى وَدعني مِنَ الكُنى فلا خير في اللّذَّات من دونها سِتْرُ [2]

عاش أبو نواس متمردًا على لوم النّاس ساخطًا على ادعاءاتهم ، فقال ما قال ، وفعل ما فعل دون خوف أو وجل [3] ، وليس ذلك فحسب فقد أطلق العنان لذاته الرافضة لتفرض سيطرتها على النّظم والتقاليد والعادات التي تلغي حريّة الفرد ، وتفقده الإحساس الحقيقي بوجوده [4] ، فكان شعاره :

{ البسيط }

مالِي ولِلنّاسِ ؛ كمْ يَلْحونَني سَفَهًا دِيني لِنَفْسي وَدينُ النّاسِ لِلنّاسِ [5]

وآثر الحرام ، وباع صلاحه بطلاحه ، وهذا واضحٌ في قوله :

{ الوافر }

يلائمنـي الحـرامُ إذا اجتَمعْنا وَأَجفو عَنْ مُلاءَمَةِ الحَلالِ [6]

وهذا أمرٌ قد لا نجدُه عند شاعرٍ آخر في تاريخ الأدب ؛ إذ إنّ مجاهرة أبي نواس بالحرام ، وإصراره على تجنّب الحلال ، وجنوحه إلى المعصية موقفٌ مخالفٌ لما حثَّ عليه الدين ، وما دعت إليه الأخلاق ، وما طبعَ عليه المجتمع الإسلاميّ من إعلاءٍ للفضيلة ، وإيثارٍ للصّلاح ، يقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 136 .

[2] **المصدر السابق** : ص 28 .

[3] ينظر : فروخ ، عمر : **أبو نواس شاعر هارون الرّشيد ومحمد الأمين** ، ص 45 – ص 46 .

[4] ينظر : العشماوي ، محمد زكي : **موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي** ، دار المعرفة الجامعية ، 1999 م ، ص 200 . و نافع ، عبد الفتّاح : **الشعر العباسي قضايا وظواهر** ، ط1 ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، 2008 م ، ص 78 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 265 .

[6] **المصدر السابق** : ص 62 .

{ مجزوء الرمل }

لاحَ إِشْـــــــراقُ الصَّـــــــباحِ فَـــــاطْرُدِ الهَـــــمَّ بِـــــراحِ
لَسْـــــتُ بالتَّــــارِكِ لَـــــذّا تِ النَّـــــدامى لِلصَّـــــلاحِ
قُـــلْ لِمَـــنْ يبغـــي صَـــلاحي بِعْـــتُ رُشْـــدي بِطَلاحِـــي
ظَفِـــــرَتْ كَـــــفٌّ أَريـــــبٍ بـــــاعَ بـــــرًّا بِجنـــــاحِ
أَطْيَـــبُ اللَّـــذاتِ مـــا كـــا نَ جِهَـــارًا بافْتضـــاحِ[1]

كما ويعترف بأنّ الرّشد لا يوافق جبلّته ، وإن نازعته إليه نفسه ؛ فشغفه بالمجون سيقف عائقاً أمام النّسك ، وسيتصدى لأي وازعٍ داخليٍ كان أو خارجي ، يقول :

{ البسيط }

إذا نَزَعْـــتُ إلـــى رُشْـــدٍ تَكَنَّفَنـــي رَأْيـــانِ قَـــدْ شَـــغَلا يُســـري وَإِفْلاســـي
فالْيُسْـــرُ فـــي القَصْـــفِ لِلأَيّـــامِ مُبْتَـــذَلٌ والعُسْـــرُ فـــي وَصْـــلِ مَـــنْ أَهْـــوَى مِـــنَ النّـــاسِ
لا خَيْـــرَ فـــي العـــيشِ إلّا بالمُـــدامِ مَـــعَ الـــ أَكْفَـــاءِ فـــي الـــوردِ والخَيْـــرِيِّ والآسِ
ومُسْـــمِعٍ يتغنَّـــى ، والكـــؤوسُ لَهـــا حَـــثٌّ عَلينـــا بأخمـــاسٍ وأَسْـــداسِ[2]

ويقول :

{ مجزوء الرمل }

إنَّمـــا طابَـــتْ لِـــذي فَتْـــ ـــكٍ تَـــرَدّى بِفُســـوقِ
جـــاهَرَ النَّـــاسَ بمـــا يـــأ تيـــهِ فـــي ضَـــنْكٍ وَضِـــيقِ
وَبَـــدا فـــي النّـــاسِ مَشْـــهو رًا كَـــذي الـــرَّأْسِ الحَليـــقِ[3]

فأبو نواس (مُتَهتِكٌ) [4] لم يحفل بمداراة فسوقه ، ولم يتكلّف بإخفاء ما يقترفه من منكرات[5]، حتى أصبح معروفاً بها في المجتمع ، فهي باعتقاده حريّة وإن خالفت ثوابت الشّريعة

[1] أبو نواس : **الديوان:** ص 685 .
[2] **المصدر السابق :** ص 140 .
[3] **المصدر السابق :** ص 206 .
[4] متهتك : " هَتَكَ ، الهَتْكُ : خَرْقُ السّتر عمّا وراءه ، وتهتَّكَ أي افتضح ، ورجلٌ مُتَهَتِّكٌ لا يبالي أن يُهْتَكَ سِتره " . ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (هَتَكَ) .
[5] ينظر : العقاد ، عباس محمود : **أبو نواس ، الحسن بن هانئ** ، دار الهلال ، ص 24 .

والعرف والأخلاق ، فمن الطبيعي إذن أن يتعرض الشّاعر الّذي جعل قيمة حياته متلخصة في البحث عن اللّذة والمغالاة في تقديسها لهجمة لومٍ شرسة من المجتمع وساسته ؛ إلّا أنّه اختار طريقة حياته برؤية داخلية ، واقتناع ذاتي ، وآمن بأفكاره ، فتصدى للائميه وعذّاله بإغراقه في الخطيئة وتسلّحه بالمعصية ، فكان أي تصرف متمرد يجابه به عرف النّاس ودينهم موضع غبطته وسروره ؛ فهو يعلن من خلاله حريته واستقلاله من قيود مجتمعه ، ولا ريب ؛ فهو بفرديته يناهض مجتمعاً بأكمله ويعلن أنّه ندّ له ، وقادرٌ على التفوق عليه [1] . يقول :

{ الهزج }

لقـــد كنـــتُ ومـــا فـــي النَّـــا	سِ مِنّـــي لِلهَـــوى أَسْـــتَرْ
ولا أَقْنَـــــــعُ بالــــــــدُّونِ	عَلـــى اللّهْـــوِ ولا أَصْـــبِرْ
فَلمّـــا أَظْهَـــروا أَمْـــري	وَقـــدْماً كـــانَ لا يَظْهَـــرْ
وأغـــــرُوا بـــــيَ تَأْنيبًـــا	مِـــنَ المُقْبِـــلِ وَالمُـــدْبِرْ
تجاسَـــــرْتُ ؛ فَأَقْـــــدَمْتُ	علـــى كَشْـــف الهـــوى المُضْـــمَرْ
ولا واللهِ ... لا واللّـــــــــ	ـــــهِ ... لا واللهِ لا أقْصِـــرْ
وَقـــد شـــاعَ الّـــذي أُخْفِـــي	وقـــد كـــان الّـــذي أحْـــذَرْ [2]

4- الإصرار على الغواية والتمادي فيها

إنّ المخالفة هي دأب الشاعر وديدنه ، ولم يزده إلحاح عذّاله إلّا إصراراً على التمادي في الغواية. وعلى الرغم من اعترافه بسوء ما يفعل، فقد صرف معرفته إلى الإنكار ؛ في محاولة عنيفة لمقاومة الإيمان ، وتفاديه لمذهب الأبرار، ما هو إلّا ضعف أمام إغراء اللّذة التي كانت دائمًا ، تسوقه إلى الحرام [3] . فيقول :

{ الكامل }

وملّحَـــةٍ بـــاللَّوْمِ تَحْسَـــبُ أَنَّنـــي	بالجهـــلِ أُوْثِـــرُ عيشَـــةَ الشُّـــطارِ

[1] ينظر : عشماوي ، محمد زكي : **موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي** ، ص 200 – ص201 . و نافع ، عبد الفتّاح : **الشعر العباسي قضايا وظواهر** ، ص 78 .

[2] أبو نواس : **الدّيوان** ، ص 368 .

[3] ينظر : النويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص 101 – ص 102 .

بَكَـــرَتْ عَلَـــيَّ تَلـــومُني فَأَجَبْتُهـــا إنّـــي لأَعْـــرِفُ مَـــذْهَبَ الأَبْـــرارِ
فَـدَعي المَـلامَ فَقَـدْ أَطَعْـتُ غِـوايَتي وَصَـــرَفْتُ مَعْرِفَتـــي إلـــى الإنكـــارِ [1]

فالشاعر لن يتقبل نصيحة أي شخص يحاول زجره وتأنيبه ؛ لأنّه لن يحيد عن الطريق الّذي رسمه لنفسه . حيث يقول :

{ الكامل }

ومُلِحَّــــةٍ فـــي العـــذْلِ ذاتِ نَصــــيحَةٍ تَرجـــو إنابَـــةَ ذي مُجـــونٍ مـــارِقِ
بَكَـــرَتْ تُبَصِّـــرُني الرَّشـــادَ وَشـــيمَتي غيـــرُ الرَّشـــادِ وَمَـــذْهَبي وَخَلائِقـــي
كَـــم رُضْـــتُ قَلبـــي فـــاعلمي وَزَجرْتُـــه فَـــرأى اتّبـــاعَ الرُّشْـــدِ غيْـــرَ مُوافـــقِ [2]

ولا يمكن تفسير مجون أبي نواس بمعزل عن ذاته الخلّاقة ورؤيته الإبداعية ؛ ولا سيّما أنّ شعره كان ترجمة لما يجول في داخل أناه الشاعرة من أحاسيس وعواطف ، وكان ضرباً من ضروب المواجهة مع الحياة والزّمن والموت من جهة ، ومع ما كان يعتقد بأنّه تّسلط دينيٌ ومجتمعيٌّ من جهة أخرى . فالثّورة والمواجهة هما سيّدا الموقف ، والهدف هو تعرية المجتمع وكشف زيف تصرفاته ، أما السّخرية والتحدي فهما الوسائل فتكتمل بذلك الصورة التي جعلت هذا المبدع يخرج عن عقد الدّين والقوانين والتقاليد ، ليصبح متمردًا مارقًا ينبغي أن يحاسب ويعاقب ، ولكنّه لا يرى نفسه سوى إنسانٍ يطلب الأمنَ والسّلامَ ، والعيش الرّغيد في ظلّ المتعة وبين حنايا اللذة [3] . يقول :

{ الوافر }

إذا مـــا نلْـــتُ مِـــن عَيشـــي رَخَـــاءً وَصـــرْتُ مِـــن النَّوائِـــبِ فـــي أَمـــانِ
رَكبـــتُ غِـــوايتِي وَتركْـــتُ رُشْـــدي وَكَـــفُّ الجَهْـــلِ مُطْلِقَـــةٌ عنـــانِي [4]

---

[1] المرزباني ، محمد بن عمران : **الموشّح** ، تح : محمد حسين شمس الدّين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1995، ص 318 . وقد وردت هذه الأبيات في رواية أخرى عند ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ص 267 ، 268 .

[2] أبو نواس : **الدّيوان** ، ص 218 – ص219 .

[3] ينظر: خليل ، ياسين عايش : **قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة** ، ص 80 . و عيسى ، حكمت : **شعر المجون في القرن الثّاني الهجري بين الإبداع والزندقة والشّعوبية** ، مجلّة تشرين للبحوث والدّراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، م 32 ، ع 1 ، 2010 م ، ص 209 ، ص210 ، ص 222 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 676 .

وأما قوله :

{ الطويل }

خَلَعْــتُ مُجــونِي فاسْــتَرَحْتُ مِــنَ العَــذْلِ   **وَكنْـــتُ ومَـــا بـــي والتمـــاجنُ مِـــن مِثْلـــي**
أيـــا ابْـــن أبـــانٍ هـــل سَـــمِعتَ بِفاسِـــقٍ   **يُعَـــدُّ مـــن النُّســـاكِ فـــيمن مَضـــى قَبلـــي**
أَلَـــم تَـــرَ أَنّـــي حـــينَ أغـــدو مســـبّحًا   **بِسِـــمْتِ " أبـــي ذَر " وَقَلْـــبِ أَبـــي جَهْـــلِ**
وأخْشَـــعُ فـــي نَفســـي وأَخْفِـــضُ نـــاظِرِي   **وســـجَّادتي فـــي الوجـــه كالـــدّرْهَم المَطْلـــي**
وآمـــــر بـــــالمعروفِ لا مِـــــن تَقيَّـــــةٍ   **وَكيـــــفَ وَقـــــولي لا يُصـــــدِّقُهُ فِعْلـــــي**
وَمحبرتِـــــي رَأْسُ الرِّيـــــاءِ وَدَفتـــــري   **ونعـــلايَ فـــي كفـــيَّ مِـــن آلَـــةِ الخَتْـــلِ**[1]

فهو دليل قدرته على أن يبدي للناس خلاف ما يخفيه في داخله ، وأن يسدل على نفسه ثياب الهدى والنّسك حتى ترتسم على وجهه آثار السّجود فيتجنب عذلهم [2] ، ولكن ما فائدة تسبيحه بسمت أبي ذر إذا كان مذهبه مذهب أبي جهل ؟!

وربّما كان مجون النّواسي المتمثل بالمجاهرة باللذة والاجتراء على الخطيئة ، والنيل من المقدسات في إطار السخرية والرفض دعوة للصدق الفنيّ والواقعيّ ، أو هو غطاء لحركة فكرية أُلبست ستار المجون ليتمكن روّادها من قول ما يمنع قوله [3] ، وربّما هو بديلٌ عن التّسامي بالفضائل والأخلاق وطلب الوجاهة من وراء الشّهرة المخالفة ، وتحدي المجتمع بالاجتراء عليه [4] . وقد أفرط أبو نواس بذاك التحدي ، وغالى في المجون مغلاة أخرجته عن جادة الدّين، وبلغ من تماديه أن اتخذ ورفاقه المسجد بستاناً يتعاونون فيه على اللهو والعبث ، إذ يقول :

{ الهزج }

لنَـــــا بالبصْـــــرَةِ البيْضـــــا   **ءِ أُلَّافٌ وإِخــــــــــــــــــوانُ**
بهاليـــــــلُ ، مســـــــــاميحُ   **لَهُـــــــمْ فضْـــــــلٌ وإِحْســـــــانُ**
كـــــــأنَّ المسْـــــــجِدَ الجامـــــــ   **ـــــعَ عنــــد الليـــــل بسْـــــتانُ**
فَمَـــــن يســـــأل عـــــن قلْبـــــي   **فقلبي حيثما كانُوا ...** [5]

---

[1] أبو نواس : **الديوان**، ص 316 .

[2] ينظر: خليل، ياسين عايش: **قراءات في تمرّد الشعراء العباسيين على السّلطة**، ص81 – ص 8.

[3] ينظر: عيسى، حكمت: **شعر المجون في القرن الثّاني الهجري بين الإبداع والزندقة والشعوبية**، ص210، ص 222.

[4] ينظر: العقاد، عباس محمود: **أبو نواس**، ص161 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 711 .

5–السخرية من الدين

استطاع أبو نواس بظرفه أن يحوّل مجلس العلم إلى ميدان للسخرية من الدين ، والاستهزاء بروّاده ، فقد روى عنه أبو هفّان قصّة تعرّضه لغلام في مجلس منصور بن عمّار الذي كان يحدثّ النّاس عن النفخة والصور ، ويصف الجنّة والحور ، ويحذرهم من العذاب والعقاب ، حيث رأى أبو نواس ذاك الغلام يبكي فرّق لحاله وبكى لبكائه دون أن يعبأ بهول الحديث [1] ، يقول :

{ السريع }

لـــم أبْـــكِ فـــي مجْلِـــسِ مَنْصـــورِ	**شَـــــوْقًا إلـــــى الجنَّــــة والحُـــــورِ**
لكـــــن بكــــائي لبُكـــا شـــادنٍ	**تقيـــــهِ نَفســـــي كُـــــلَّ مَحْـــــذورِ**
تنتســـبُ الأَلْسُـــنَ مـــن وَصْـــفِهِ	**إلـــــى مَـــــدى عَجْـــــزٍ وَتَقْصـــــيرِ**
فـــاتَ لســـانَ الوصـــف لكـــنَّ ذا	**– تفديـــهِ نفســـي – جهْـــدُ مَعْـــذورِ**
أحْســـنُ مـــن مجلِـــسِ منصـــور	**ضـــــرْبٌ بعـــــود ، وبطنْبُـــــورِ[2]**

وقد تناقل النّاس أشعار أبي نواس التي تجاوزت الحدود وخرجت عن العرف والمألوف، ولعل بعضهم حمّل تلك الأشعار صفة التظرّف والتّندّر ، إلّا أنّ بعضهم الآخر امتعضها وسعى بها عند أهل السياسة فأوقع قائلها غير مرّة في شرك السجن بتهمة الزّندقة والمروق عن الدين[3]، وكان أبو نواس يدفع عن نفسه تلك التهمة بأشعار تظهر إيمانًا عميقًا وقدرة على التخلص من مثل ذاك الموقف [4] ، مما أوقع الباحثين والنقّاد في لبس تفسير مجونه وزندقته ، وسيناقش القسم التالي زندقة أبي نواس بسماتها ومظاهرها وأبرز جوانبها .

ثانيًا– الزندقة

ظلّ البحث عن ماهية الدّين والتّعرف إلى كنه الخلق هاجساً يؤرّق شعوب الحضارة الإنسانية ، ومثاراً للجدل على مرّ العصور ؛ لا سيّما أنّ القوة التي تدير الكون قوة غيبية خفي

---

[1] أبو هفان : **أخبار أبي نواس** ، ص 104 – 105 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 392 .

[3] ينظر : المرزباني : **الموشّح** ، ص 318 .

[4] ينظر : ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 200 – ص 201 . الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، م 8 ، ص 440 – ص 441 .

فاعلها ، وظهر فعلها ، ما أدّى إلى ظهور كثير من الدّيانات التي اختلفت باختلاف أفكار النّاس وآرائهم ، وتمايزت بتمايز طبقاتهم ، وارتقت بارتقاء أفكارهم ، ولكنّها كانت تسعى إلى عبادة خالقٍ قادر على كل شيء وبيده ملكوت كلّ شيء . فتقيد النّاس بفروض العبادات ، وتبعوا نزعتهم الرّوحية [1] التي دفعتهم إلى الإيمان بالغيب واليقين بحياة آخرة سيخلد فيها الإنسان بعد موته .

وقد وجدت تلك النزعة نفسها في صدام مع نزعة شك وإنكار لكل معتقد يقيني ، وكلّ واجب يلزم الإنسان ويحدّ من حرّيته وصبواتها الدّاعية إلى النّهم من الملّذات وإرضاء الشّهوات، فتعددت المذاهب التي كانت – على اختلاف مسمّياتها وأصولها ومبادئها – ترمي بشكلٍ أو بآخر إلى خلق متنفس من تلك القيود ، وإيجاد مخرج شرعيّ للخطيئة ، إضافة إلى الاستناد على أدلّة محسوسة من شأنها محاولة التّوصل إلى إجابات عن أسئلة كانت ولاتزال موضع شكٍ وارتياب كالدنيا والآخرة والحياة والنّشور .

ومثّل العصر العباسي الأول عصرًا ذهبيًا لتلك الأفكار والعقائد؛ بوصفها أثرًا من آثار تداخل المذاهب الفلسفيّة والتقاء الثقافات الأجنبية، والانفتاح الحضاري[2]، فتعددت دوافع الزندقة، وتنوعت أسباب امتدادها في المجتمع العباسيّ الذي شكل تربة خصبة لها؛ فلم تقتصر كلمة (زنديق) على المعنى اللغوي ، وإنّما حملت دلالات ذات طابع ديني وفكري واجتماعي وسياسي[3]، وانتسب كثيرٌ من شعراء ذلك العصر لتيار الزندقة، واتهم بها شعراء آخرون، ولذلك غدا تفسير زندقة أبي نواس موضع خلاف بين الدارسين ؛ ولا ريب فشخصية الشاعر لم تكن واضحة المعالم ، وعصره كان بدعاً في العصور [4] .

---

[1] ينظر : داود ، جرجس داود : **الزندقة والزنادقة في الأدب العربي** ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 2004 م ، ص16 .

[2] ينظر : **المصدر السابق** : ص 109 . وهدّارة ، محمد مصطفى : **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني** ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963 م ، ص 240 .

[3] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ص 146 . وهدارة ، محمد مصطفى : **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني** ، ص 240 .

[4] ينظر : عباس ، عبد الحليم : **أبو نواس** ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 8 .

وقد عدّ بعض النّقاد أبا نواس شاعرًا ماجنًا يتطرّف في شعره ، ويخرج به عن العقيدة الدينية لأجل العرض والإظهار الّذي لا يصل بصاحبه إلى درجة الزندقة ، فكأنّ زندقته حالة نفسيّة دافعها لهوٌ فكريٌ وعبث وشك أكثر من أي شيء آخر [1].

وذهب بعضهم إلى القول بأنّه زنديق بعقيدته وفكره وفلسفته وسلوكه ، وبنظرته إلى مجتمعه؛ لأنّ أبا نواس كان دائم التّهكم على الدّين مبيحًا لنفسه ارتكاب المعاصي متسائلًا عن الغاية من الفروض [2] ، ومشككًا بما وراء الموت من بعث وحساب وجنة ونار، حيث يقول :

{ السريع }

يــا نــاظِرًا فــي الــدّين مــا الأَمــرُ ... لا قــــدَرٌ صــــحَّ ولا جَبْــــرُ

مــا صــحَّ عنــدي مــن جَميــعِ الّــذي ... يُــــذْكَرُ إلّا المــــوتُ والقَبْــــرُ [3]

ويقول :

{ المنسرح }

بـــاحَ لِســـاني بِمُضْـــمَرِ السِّـــرِّ ... وذاكَ أنّــــي أقـــول بالـــدَّهرِ

ولـــيسَ بَعْـــدَ الممـــاتِ مُرْتَجَـــعٌ ... إنَّمـــا المـــوْتُ بَيْضَـــةُ العَقْـــرِ [4]

فاقترب بذلك من الزّنادقة الّذين كانوا يدينون بما دعا إليه ماني أو مزدك أو الديانات الفارسية عمومًا ، ويرّجح أحمد أمين هذا الرأي ؛ لاتصال أبي نواس بالنّسب الفارسيّ رغم أنّ

---

[1] ينظر : العقاد ، عباس محمود : **نفسية أبي نواس** ، ص 148 . محمود ، حسن أحمد : **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ، ط1 ، دار الفكر العربي ، ص81 . وهدّارة ، محمد مصطفى : **اتجاهات الشعرالعربي في العصر العباسي** ، ص 254 . و صدقي ، عبد الرحمن : **أبو نواس** ، ص 72 . و داود ، جرجس داود ، **الزندقة والزنادقة في الأدب العربي** ، ص 162 .

[2] ينظر : فروخ ، عمر : **أبو نواس شاعر هارون الرشيد ومحمد الأمين** ، ص 42 . وداود ، جرجس داود : الزندقة والزنادقة في الأدب العربي ، ص 163 . و المعرّي ، أبو العلاء : **رسالة الغفران** ، تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن ، ط 6 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1977 م ، ص 420 . يقول أبو العلاء : " إنّ دعبلًا لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتّشيع ، وإنّما كان غرضه التكسب ،.... ولا أرتاب في أنّ (دعبلًا) كان على رأي الحكميّ وطبقته ، والزّندقة فيهم فاشية .... ، وقد اختلف في" أبي نواس " ؛ ادّعي له التألّه وأنّه كان يقضي صلوات نهاره في ليله ، والصّحيح أنّه كان على مذهب غيره من أهل زمانه .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 218 .

[4] ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ص 168 .

الزندقة كانت متفشيّة في عصره على العموم [1] . وليس ذلك فحسب ؛ فقد جاهر أبو نواس بالعصيان ، وتحدّى عظمة الخالق وجبروته في قوله :

{ الرّجز }

يــا أحمــد المُرْتَجَــى فــي كُــلِّ نائِبَــةٍ قُــمْ سَــيّدي نَعْــصِ جَبّــارَ السَّــماواتِ[2]

كما أنّه قدّس خمرته ، وخلع عليها من النعوت والشّمائل ما يجعلها ترتقي لمنازل الآلهة، فتراه يدعو إلى التّسبيح باسمها وتعظيم آلائها [3] ، فيقول :

{ السريع }

أَثْــــنِ علــــى الخَمــــرِ بآلائِهــــا وَســــمِّها أَحْسَــــنَ أَسْــــمَائِهَا[4]

بل لقد عبدها بإدمانه شربها ، فبات متعلّقًا بالكأس لا يستطيع مفارقته ، و لا يتوانى عن مقارعته في كلّ الأوقات [5] ، ضاربًا عرض الحائط بكل ما جاء في تحريم الخمر من أحكام شرعية أو وضعية مُتمرداً على نهي القرآن الكريم عنها في قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ** " [6] . ومطيعًا لأوامر إبليس في قوله :

{ البسيط }

وحَبَّــــذا حانَــــةٌ بــــالكَرْخِ تَجْمَعُنــــا نُطيــعُ فيهــا بشُــربِ الخَمْــرِ إبليسَــا[7]

إبليسَــــــــــــــــــــــــــا[7]

ويشهر إصراره عليها على الرغم من تحريمها، ويعترف بأنّ تحريمها هو سرّ لذّتها، فيقول:

{ الوافر }

[1] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ص 51 .
[2] **المرجع السابق** : ص 174 .
[3] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 87 .
[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 13 .
[5] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 88 .
[6] **سورة المائدة** : (الآية 90 ، 91) .
[7] أبو نواس : **الديوان** ، ص 203 .

فَخُـــــذْها إنْ أَرَدْتَ لَذيــــذَ عَـــيْشٍ وَلا تَعــــدِلْ خَليلـــــي بالمــــدامِ
وإنّ قــالوا : "حــرامٌ" قُــل : "حــرامٌ!" ولكـــنَّ اللّـــذاذَةَ فــي الحــرامِ[1]

وأحال الشّاعر أحكام تحريم الخمر إلى مواضع سخرية واستهزاء ، واستعان بغزارة الدّموع على اصطناع الحزن ، فقال :

{ الطويل }

بكيــتُ ومــا أَبْكــي عَلــى دِمَــنٍ قفْــر ومــا بــيَ مِــن عِشْــقٍ فَــأَبكي مــن الهَجْــرِ
ولكـــنْ حــديثٌ جاءَنــا عَــن نَبِيّنــا فــذاكَ الّــذي أَجــرى دُمــوعي علــى النَّحْــرِ
بِتَحــريمِ شُــرْبِ الخَمْــرِ والنَّهــيُ جاءَنــا فلّمــا نَهَــى عنهــا بكيْــتُ علــى الخَمْــرِ
فَأَشـــربها صِـــرفًا ، وأَعْلَـــمُ أننـــي أُعَــزَّزُ فيهــا بالثَّمــانين فــي ظَهــري[2]

فهو يصرُّ على شرب الخمر الصّافية على الرّغم من استجوابه للحدّ ، وهذا دليلٌ على قدرته الفائقة على المراوغة والمواجهة ، ولذلك تراه لا يخاف العقاب ، فيقول :

{ السريع }

رُدّا عَلَــــيَّ الكَـــأْسَ إنَّكُمَـــا لا تــدْريانِ الكَــأْسَ مــا تُجْــدي
لــو نِلْتُمــا مــا نلْــتُ مــا مُزِجَــتْ إلّا بـــدمْعِكُمَا مـــن الوَجْـــدِ
إنْ كنْتُمـــا لا تشْـــربَان معِــــي خَــوْفَ العِقَــابِ شــربْتُها وَحْــدي[3]

وكانت خمرة أبي نواس " عالماً مليئاً بالتصورات والألوان والرؤى الموحية ... وعالماً مليئاً بالرموز والدلالات"[4]، فقد أعادها لصورتها التي اختلقت في ذهن الإنسان البدائي[5]، حيث ارتبطت الخمر بطقوس الدّين فغدت إلها أو شراباً للإله أو حتى دمه " الذّي دأب على شربه عابدوه لتحل فيهم روحه وقواه " [6] . وما كانت خمرياته – في مجموعها – كما يرى علي شلق إلّا صلاة لذاك

[1]أبو نواس : **الديوان** ، ص 693 .
[2] **المصدر السّابق** : ص 36 .
[3] **المصدر السابق** : ص 182 .
[4] الزعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد** ، ص 175 .
[5] ينظر : النويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص 35 .
[6] البطل ، علي : **الصورة في الشّعر العربي** ، ط 3 ، دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، 1983 م ، ص 203 .

الوثن – الخمر – الّذي لم يعبد زلفى ، وإنّما عبد لذاته [1] . وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا دعا أبو نواس إلى الثّناء على الخمر ونعتها بأحسن أسمائها ؟! ولماذا بدت قصائده فيها ترانيمَ عشق وأناشيد دينية ترتل في محرابها ؟! [2]

فما من شكّ إذن بأنّه خلع عليها من الصّفات الربانية ما يجعلها سراً للحياة ، فهي روحٌ قد تجسد أحياناً بروح الكرم أو روح " الدّن " ، فتتسلل إلى شاربها لتهبه روحاً أخرى ، وتوصله إلى قمّة النّشوة ، ولكنّها ليست كأية نشوة ؛ لأنّها تصعد بروحه إلى آفاق تضاهي آفاق الانتشاء الدينيّ الرّفيع الّذي تسمو لبلوغه كلّ نفس بشرية [3] . يقول :

{ البسيط }

مــا زلْــتُ أسْــتَلُّ روحَ الــدَّنِّ فــي لُطُــفٍ   وأسْــتَقِي دمــهُ مــنْ جــوْفِ مجْــرُوحِ

حتــى انْثَنَيْــتُ ، ولِــي رُحــانِ فــي جســدٍ   والــدَّنُّ منْطَــرِحٌ جسْــمًا بــلا روحِ[4]

ويقول :

{ السريع }

قلْــتُ لِــدَنٍّ شُــجّ أوْدَاجُــهُ   ليْــتَ دمِــي دونَــكِ مسْــفُوحُ

وكنْــتِ منــه بــدَلًا صــالحًا   فــي مهْجَتــي تحيْــا بــكِ الــرُّوحُ[5]

كما يصفها بنار لا يخبو لهبها ، كنار المعبد المقدّسة التي كان يستعظمها المجوس ويحجبون عنها أنفاسهم حتى لا يلوثوها [6] ، فيقول :

{ المنسرح }

تَلْتَهِــبُ الكــفُّ مــنْ تَلَهُّبِهــا   وتحْسُــرُ العَــيْنُ أَنْ تَقَصَّــاهَا

---

[1] ينظر : شلق ، علي : **أبو نواس بين التّخطي والالتزام** ، ص 66 .

[2] ينظر : النّويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص 41 .

[3] ينظر : **المصدر السّابق** ، ص 35 ، ص37 ، ص 38 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 92 .

[5] **المصدر السابق** : ص 688 .

[6] ينظر : الحوفي ، أحمد محمد : **تيّارات ثقافية بين العرب والفرس** ، ط 3 ، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر ، القاهرة، ص28. و الشتيوي ، صالح علي سليم : **ثنائيّة النار والنور في شعر أبي نواس** ، المنارة ، م 9 ، ع 1 ، 2003 م ، ص 107 .

كـــــأنَّ نـــــارًا بهـــا مُحَرَّشَـــــةً نَهَابُهــــا تـــــارةً ونَغْشَــــاهَا[1]

ويذهب بعض المفسرين إلى القول بأن خمرة أبي نواس خمرة فلسفية ؛ إذ لا يعنى الشّاعر بشربها بقدر ما يعنى بفهم معناها الّذي دقّ حتى ليعجز الوهم عن تمثّله ، فهي خمرة لا تُدْرك بالحواس ، وفيها من النّزعة الغيبية ما جعل الشاعر ورعاً متأملاً يتحرّى أسرارها كما يتحرّى الصّوفي روح الله [2] ، فيقول :

{ مجزوء الرمل }

دَقَّ مَعْنَــــى الخَمـــــرِ حتَّــــى هُــــوَ فـــــي رَجْـــم الظّنـــونِ
كلَّمَــــــا حاوَلَهـــــــا النَّـــــا ظِـــــر مــــن طـــرْفِ الجفُـــونِ
رَجَـــــعَ الطّـــــرفُ حَسِــــيرًا عـــــن خيـــــالِ " الزَّرَجُـــــونِ[3]
لـــم تُقَــم فــــي الـــوَهْمِ إلّا كـــــذِّبَتْ عـــــيْنَ اليقــــينِ
فمتــــــى تـــــدركُ مــــا لا يُتَحــــــــرَّى بـــــــالعيونِ[4]

وقد خصّ النّواسي خمرته بطقوس عبادة زادت من إجلالها وتعظيمها ، كما زادت من تطرفه وإسرافه [5]، فتأمل خلوته مع خمرته منفرداً بها يناجيها، ويتغزّل بها، ويترفع بها عن النّدماء، بل ويرقيها بشعوذات من شأنها أن تدفع عنها الحسد ، فيقول :

{ المتقارب }

خَلَــــوْتُ بـــــالرَّاح أُناجيهَـــــا آخــــذُ منهـــا ، وأُعَاطِيهَـــــا
نادمْتُهـــا إذْ لــمْ أَجِــدْ مُسْــعِدًا أرضــــاه أن يشْــــرَكَني فيهــــا
شـــربْتُها صِـــرْفًا علـــى وجهها فكنــــتُ ســــاقِيها وحاسِــــيهَا
لــم تنظــر العـــينُ إلـــى منظــرٍ فـــي الحســـن والظّـــرف يُـــدانيهَا

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 8 .

[2] مجموعة من المؤلفين: **المفيد في الأدب العربي**، المكتب التّجاري للطباعة والتّوزيع والنّشر، بيروت، 1964م، ج2، ص515.

[3] الزّرجون هو: الشّراب الذهبي .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 47 .

[5] ينظر : عبد العال، محمد جابر: **حركات الشيعة المتطرفين** ، ص 293 .

مازلــــتُ خـــوفَ العـــين لمـــا بـــدت أنْفُثُ من كأسِي وأرقيها ! [1]

فيما رأى آخرون أنّ زندقة أبي نواس بعيدة تمامًا عن المعنى الحقيقيّ للزندقة القائمة على تعاليم ماني ، وفسروها بالخروج عن الأعراف والتقاليد وعقيدة الجماعة المتّبعة ، فهو في نظرهم متمردٌ متجاوز لقوانين المجتمع ، يحضُّ على الحياة ويذمّ التقشف والعزوف عن المتع ، ويدعو إلى نبذ البكاء على الطّلل والإقبال على الخمر بما تبعثه من فرحٍ وسرور ، دفعهم إلى اتهام النّواسيّ بالشّعوبية التي تعلي من شأن الفرس وتحط من شأن العرب [2] .

وسيناقش هذا البحث شعوبية أبي نواس في مواضع لاحقة . فيما يناقش القسم الآتي الجوانب اللافتة في زندقة أبي نواس ، فالصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والحساب والثواب والعقاب كلّها مفاهيم وألفاظ كان لها حضورٌ شديدٌ في شعر أبي نواس إنّما على نحو مقلوب ، ولم يفرط الشّاعر في استعمال تلك الألفاظ غفرانًا بل عصيانًا ، ولا أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ، بل أمرًا بالمنكر ونهيًا عن المعروف ، ولا توبة ولا زهدًا بل تهتّكًا وانتهابا [3] ، وقد وضحت الباحثة لبيان من خلال تحليل نماذج من شعر أبي نواس تتعرض لموقفه من العبادات والشرائع والأخلاق .

الجوانب اللافتة في زندقة أبي نواس

تظهر زندقة أبي نواس في أشعاره بشكل واضح، وتتمثل هذه الزندقة من خلال حديثه عن موضوعات محدّدة ذات علاقة مباشرة بالإيمان والكفر، وأهمّ تلك الموضوعات هي :

1- موقف أبي نواس من الصلاة والزكاة

الصلاة ثاني أركان الإسلام ، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وبها يتقرب المؤمن لربه ويكفر عن سيئاته ، ولم يكن أبو نواس بغافلٍ عن ضرورة الصلاة وأهميتها في صلة المسلم بربه إلا أنّه أبغض كل ما يقيد متعه ويمنعه عن خمرته ، ولو كان فرضاً لا يصح إسلام

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 114 .

[2] عيسى، حكمت: **شعر المجون في القرن الثاني الهجري بين الإبداع والمجون والزّندقة والشّعوبية**، ص212- ص213.

[3] حسن ، عبد الكريم : **انتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، مجلة العلوم الإنسانية ،البحرين، ع 5 ، 2002 ،ص 72 .

المرء إلا به ، ولذلك تراه يتهاون في ترك الصلاة ، معرضاً عن كل من يحثّه على أدائها في سبيل شرب الخمر ، فيقول :

{ مجزوء الرمل }

عـــــــاذلي فيهـــــا أَطِعْنـــــي   وَأقـــــــــلَّ الآنَ لَــــــــــوْمِي
واشْــــــرَبِ الـــــرّاحَ وَدَعْنـــــي   مِــــــنْ صَــــلاةٍ كُــــلَّ يَـــــومِ[1]

وشغلت فتنة الحياة أبا نواس عن واجباته الدينية ؛ فهام في أجواء اللذة ، وطابت نفسه بصحبة رفقاء السوء، فشاركهم خمرتهم التي كانت تقدم لهم وقت الصلاة فيحثونها حتى تفوتهم[2]، وفي هذا يقول:

{ الطويل }

خرجنـــا علـــى أَنَّ المُقـــامَ ثَلاثَـــةٌ   فَطابــتْ لنــا حتــى أقمنــا بهــا شَــهْرَا
عصــابَةُ سُــوءٍ لا يــرى الــدّهرُ مِــثلهمْ   وإن كنـــتُ مـــنهم لابريئـًــا ولا صِـــفْرَا
إذا مـــا دنـــا وقـــتُ الصَّـــلاة رَأَيْـــتَهمْ   يحثّونهـــا حتـــى تفـــوتَهمُ ســـكْرَا[3]

ولعل الشاعر قد سار في قوله على مذهب (المعمريّة)[4] الذي يُقدِمُ أصحابُه على الإثم والفحشاء ويعتبرون ترك الفرائض تديناً ، فيزهون باللذّة ويتفاخرون بالمعصية [5] . ولم يعبأ أبو نواس بنعت أصحابه بعصابة السوء ، بل تباهى بذكر أفعالهم ؛ فهو مثلهم يلهو ، ويغالي في طلب اللذّة معهم مخالفاً الفرائض ومتحدياً الشرائع ، فيقول في وصف مجلس لهو:

{ الرجز }

فلــــم نــــزل يَوْمَنــــا ، ولَيْلَتَنــــا   نَقْـــرًا علـــى السَّـــطْحِ بالطّنـــابيرِ
حتـــى رأيْنَـــا السَّـــوادَ مُنْحَســـرًا   ودارتِ الشَّـــمْسُ فـــي المَقاصـــيرِ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص205 .

[2] ينظر : عبد العال ، محمد جابر : **حركات الشيعة المتطرفين** ، ص283 ، ص284.

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص61 .

[4] المَعمّريَة هي : فرقة من الشيعة الغلاة ، وينتسبون لمعمرّ بن خيثم ، وضع معمر عن أصحابه غسل الجنابة ، وزعم أنّ كلّ شيء أحلّه الله في القرآن وحرّمه ليس على الحقيقة ، ودانوا بترك الصّلاة والفرائض . ينظر : الحنفي ، عبد المنعم : **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلاميّة** ، ص 600 .

[5] ينظر : عبد العال ، محمد جابر : **حركات الشيعة المتطرفين** ، ص285 .

وحـــين حانَـــتْ صَـــلاتُنا لِضُـــحًى   قُمْنـــا نُصـــلّي بِغيـــر تكْبيـــرِ [1]

وكيف لا يضيع أبو نواس صلاته ويقضيها من غير تكبير إذا كان قد أخذ فتواه من شيخه إبليس الذي قضى له بقضاء ما فاته من صلاة ليله في نهاره حتى لا يحرم نفسه لذّة العقار، فيقول:

{ الكامل }

قلـــت: الصَّـــلاةُ؟ فقـــال: فـــرضٌ واجـــبٌ   صَـلِّ الصَّـــلاةَ، وَبِـــتْ حَليـــفَ عقـــارِ
اجمَـــعْ عَلَيْـــكَ صَـــلاةَ حَـــوْلٍ كامـــلٍ   مِـــنْ فَـــرْضِ لَيْـــلٍ فاقْضِـــهِ بِنَهـــارِ [2]

فالشاعر لا ينكر وجوب الصلاة ولكنّه يريد أن يؤديها على هواه ، ويؤكد ذلك قوله:

{ الكامل }

وافـــرِضْ لِنفسِـــكَ كـــلَّ يـــومٍ ركعَـــةً   لا تُكثِـــرنَّ فَتوجِـــبَ الأَجْـــرا [3]

فليس غريبا إذن أن يحيل الشاعر المسجد وما يعقد فيه من مجالس للعلم إلى مستقر لإبليس، ومكان للعبث بالغلمان المرد، وموضعاً لتصيّدهم والإيقاع بهم، مستهتراً بحرمة بيت الله ومتجاهلاً قدسيته، فيقول :

{ مجزوء الوافر }

رأيـــت المسْـــجدَ الجامـــ   ـــعَ قُفَّاعَـــةَ إبْلـــيسِ
بنـــاهُ اللهُ والطَّالِـــ   ـــعُ بـــرْجٌ غَيْـــرَ مَنْحـــوسِ
بـــه خِلْـــتُ ظبـــاءَ الإنْـــ   ـسِ فـــي أقـــبح مـــأنوسِ [4]

وفي قوله:

{ مجزوء الوافر }

عروضـــيٌ إذا مـــا افْتَـــرَّ (م)   مُبْتَسِـــمًا بَـــدا بَـــردُ
إذا قمنـــا نصـــلِّي لَـــمْ   يفـــرِّقْ بَيْننـــا أَحَـــدُ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 146 .
[2] **المصدر السابق** : ص 200 .
[3] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس في مجون أبي نواس** ، ص 109 .
[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 723 . والقُفّاعة : العريشة .

أُحَرِّكـــــــــــــــــــهُ إذا قـــــــــــــاموا وألمسُـــــــــــــــه إذا قعـــــــــــــــدوا[1]

يظهر الشاعر وقد فقد خشوعه في صلاته بسبب الغلام الذي صلى برفقته ؛ فضعف أمام حسنه وعبث به في حركات الصلاة وسكناتها .

وترك الصلاة عند الشاعر أمرٌ سهل إذا ما قورن بنيل حاجته من ظبيٍ أمرد وكأسٍ تدور ، فخوفه من فرار مَطلبه أكبرُ عنده من كبيرة ترك الصلاة فيقول مخاطباً ناصحيه :

{ مجزوء الكامل }

قـــــالوا : اغْتَسِـــــلْ أَتَـــــتِ الظُّهْـــــ ـــــــــرُ والكـــــــؤُوسُ تَـــــــدورُ

فقلـــــتُ : سَـــــوْفَ ...! فقـــــالوا تَـــــــرْكُ الصَّـــــــلاةِ كَبيـــــــرُ

فقلـــــــتُ : أَكْبَـــــــرُ منْــــــــهُ ظَبــــــيٌّ يُنَـــــــالُ غريـــــــرُ

إنْ قُمْـــــــتُ لَـــــــمْ يَنْتَظِرْنـــــــي وَغـــــــابَ عَنّـــــــي السُّـــــــرورُ

ومـــــــا لِمثلـــــــي صَـــــــلاةٌ لأنَّ فِسْـــــــــقي شـــــــــهيرُ

فأَقْصِـــــــروا عـــــــن مَلامـــــــي فـــــــــإنّني مَعـــــــــذورُ[2]

فهو يستميح لنفسه العذر في ترك شرط أساسي من شروط الصّلاة وهو الطّهارة ؛ ويعلل ذلك بطهر معاشريه من الغلمان !! وليس هذا إلا دليلًا على فسقه الذي دفعه إلى قلب القيم الدّينية والرّوحية والعبث بمفهومها .

وقد تمادى أبو نواس في المجاهرة بفحشه ورذائله ؛ فحطّ من صوت المؤذن الذي يدعو للصَلاة ، وأقبل على مجونه مقنعًا ذاته بصواب ما تفعل ، فلم يمثل له صوت الأذان أية قيمة روحية تحثّه على الخشوع والإذعان لنداء الخالق ، والصلاة له ، " لأنه يؤمن بأن الفجور ينبغي أن يكون التصرف الإيجابي للتصرف الإنساني " [3] ، يقول :

{ مجزوء الخفيف }

يـــــــا ســـــــليمانُ غَنِّنـــــــي وَمِـــــــنَ الـــــــرَّاحِ فاسْـــــقِنِي

عـــــــاطِني كـــــــأسَ ســـــــلوةٍ عَـــــــــنْ أَذانِ المُـــــــــؤَذِّنِ[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 358 .

[2] **المصدر السابق** : ص335 .

[3] حاوي ، إيليا : **فن الشعر الخمري** ، ص263 .

[4] أبونواس : **الديوان** ، ص33 .

وحاول النواسيّ انتهاز كل فرصة تمكّنه من السّخرية من الصّلاة وأحكامها ومن يؤديها، فيقول واصفًا صلاة أحد السكارى:

{ الوافر }

إذا مـــا أدْرَكتْـــهُ الظُّهْـــرَ صَـــلَّى ... ولا عَصـــرٌ عَلَيْـــهِ ولا عِشـــاءُ

يُصَـــلِّي هـــذه فـــي وقـــتِ هـــذي ... فَكُـــلُّ صـــلاتِه أبَـــدًا قَضـــاءُ

وذاكَ محمـــــدٌ تفديـــــه نَفســـــي ... وحُـــقَّ لـــه وقـــلَّ لـــه الفِـــداءُ[1]

فمحمد هذا لا يلتزم بأوقات الصلاة ، ويؤدي كلّ صلواته قضاءً في وقتٍ واحد ، مغفلًا قوله تعالى: " **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** "[2] ، ولكنّه بنظر الشاعر شخص يستحق الفداء؛ إذ يعبر عن رأيه السّاخط على الدين، والمتجرئ على أحكامه.

وغالى أبو نواس في بغضه للصّلاة، واستهان بأركانها، ومضى إلى خمرته وغلمانه غير مكترثٍ بعقوبة تاركها التي تجعله في منزلة الكافر الخارج عن الملّة، أو الفاسق الذي يجب أن يتوب[3]، فودّعَ المسجد الذي شهد مراتع فتوته مع رفقائه المحبين وداعًا بلا عودة، وتفرّغ لحانات قطربل والكرخ ؛ يستعين بخمرته وندمائه على تناسي حنينه – المقيّد بلحظات صدقه مع ذاته – لذلك العهد الذي لن يكرره الزمان[4]، فيقول:

{ المنسرح }

عَفـــا المُصَـــلّى وَأقْـــوَتِ الكُثُـــبُ ... مِنْـــــي فَالمِرْبَـــــدانِ فاللَّبَـــــبُ

فالمســـجدُ الجـــامِعُ المـــروءَةِ والـــ ... دّيـــنِ عَفـــا ، فالصِّـــحَانُ ، فالرَّحَـــبُ

منـــــازلٌ قـــــد عَمّرْتُهـــــا يَفْعًـــــا ... حتَّـــى بَـــدا فـــي عِـــذاريَ الشَّـــهَبُ

فـــي فتيـــةٍ كالســـيوفِ ، هَـــزَّهمُ ... شَـــرْخُ الشَّـــبابِ ، وَزانَهُـــم أَدَبُ

ثُـــم أَرابَ الزّمـــانُ ، فاقْتَســـمُوا ... أيْـدِي سَـبَا فـي الـبِلادِ ، فانْشَـعَبُوا

لـــن يُخْلَـــفَ الـــدَّهرُ مـــثلهمْ أَبَـــدًا ... علـــيَّ هَيْهـــاتَ شَـــأْنُهمْ عَجَـــبُ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 23 .

[2] **سورة النساء** : الآية 103 .

[3] ينظر : الطّيار ، عبد الله بن محمد : **خلاصة الكلام في أركان الإسلام** ، ط 4 ، مكتبة الملك فهد الوطنيّة ، الرّياض ، 2008 م ، ص80 .

[4] النويهي : **نفسية أبي نواس** ، ص152 .

قُطْرُبُّـــلٌ مَربَعـــي ، وَلـــي بِقُـــرى الــــ   كَـــرْخِ مَصِــــيفٌ وَأُمِّــــيَ العنـــبُ[1]

وجعل الشاعر من خمرته قبلةً ، ويمم وجهه شطر أباريقها مصليًا ، فقال :

{ سريع }

صارَ مُصَلّانا أَباريقَنا   وَنَحْرُنا بُنْتَ العَناقيدِ [2]

وتجتاحه مشاعر المهابة والرّهبة لدى اقترابها مشّعة نحوه فلا يملك إلّا أن يسجد لها[3]، فيقول :

{ الطويل }

فجـــاءَ بِهـــا زَيْتِيَـــةً ذَهبيَّـــةً   فَلَـــم نَسْـــتَطِعْ دونَ السُّـــجودِ لَهـــا صَـــبْرَا[4]

فو يرى أنّها الأحقُّ بالصلاة والأولى بالسّجود ، فيقول :

{ الطويل }

يخــرُّ لِصِــرْفِ الكَــأْسِ فــي السُّــكْرِ ســاجدًا   وإنْ مُزِجَــتْ صَــلَّى عَلَيهْــا وَسَــلَّمَا[5]

وأصرّ الشاعر على ضلاله فعدّ من الزنادقة الذين لا يدركون سرّ الكون ولا يؤمنون بالدين[6]، ولا يتورعون عن المجاهرة بغيهم وفسقهم ، فتحرر من أي قيد يحدّ من رغباته المعلنة عن نفسها بسخط وعناد ، وعلى الرغم من كون ذلك القيد سبيلًا للنجاة يوم القيامة .

فاعترض على الزّكاة ، ورفض الالتزام بها وعدّها مذهبًا (للشطّار) [7] الذين حادوا عن الطّريق السّوي ، معارضًا قوله تعالى : "**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**" [8]، فقال على لسان إبليس:

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص3 ، ص4 .

[2] **المصدر السابق** : ص 344 .

[3] ينظر : النويهي ، محمد : **نفسية أبي نواس** ، ص 41 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 61 .

[5] **المصدر السّابق** : ص 683 .

[6] إيليا حاوي : **فن الشعر الخمري** ، ص262 .

[7] الشطّار : " شطر شطورًا شطارة ، وهو الّذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثًا ... ، وقول النّاس فلانٌ شاطر معناه أنّه أخذ في نحو غير الاستواء ، ولذلك قيل شاطر لأنّه تباعد عن الاستواء " . ابن منظور : **لسان العرب** ، مادة (شَطَرَ) .

[8] سورة المؤمنون : الآية 4 .

{ الكامل }

قلــت : التَّصَــدُّقَ والزَّكــاةَ ؟ فقــال لــي : شَــيءٌ يُعــدُّ لِآلَــةِ الشُّــطَّارِ[1]

2- موقفه من الصوم

فرض الخالق سبحانه صيام شهر رمضان لحكم عظيمة ، منها تعويد النفس الصبر على الشهوات، واستشعار مراقبة الله والخوف من الإقدام على المعاصي ، فتتجلي صورة المؤمن القادر على الثبات ، المتمسك بعرى الدين ، المتغلب على ذاته بكبح جماح شهواتها فيرتقي بنفسه ويستحق رضوان الله وغفرانه ، فيما تظهر صورة أخرى مغايرة تفصح عن إيمان ضعيف ، وسلوك متخاذل ، وروح متثاقلة عن تلبية أحكام الدين ، بل وتبرم شديد من فرائضه ، مما جعل الإغراق في المعصية أمرًا هينًا على فاعلها ؛ وهذا ما دفع أبا نواس إلى كره شهر رمضان ورفض صيامه ؛ لأنه يكلفه مجانبة سكره واحتباس شهوته ، إذ اعتاد النواسي ألّا يكون أسيرًا لغلٍ يمنعه عقاره ، ويعكّر عليه صفو متعته ، فضاق بالصّوم ، وهاجمه في أشعاره ، فقال:

{ مجزوء الرّمل }

منــــع الصَّــــومُ العَقــــارَا وَذوى اللَّهــــوُ فَغــــارَا

وبَقينـــا فـــي سُـــجون الـــــصومِ لِلْهَــمِّ أُسَــارَى[2]

وأعلن الشاعر استعداده للإفطار في شهر الصوم لأجل خمرته ، بل ودعا إلى ذلك فقال:

{ مجزوء الرمل }

فـــارفَعِ الصَّـــوْمَ بِشُـــرْبٍ وامْـــزُجِ الخَمْـــرَ بِنَـــوْمِ[3]

فأبو نواس لا يستطيع تمالك نفسه إذا اشتاقت إلى كؤوس الخمر ، وربما حاول تعويض ما يمتنع عن شربه نهارا في الليل ، حيث يقول:

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 200 .

[2] **المصدر السابق** : ص204 .

[3] **المصدر السابق** : ص205 .

{ مجزوء الرمل }

غيـــــــر أنّـــــــا ســـــــــنُدارِي فيــــــه مــــــا لَــــــيْسَ يُـــــدَارَى
نَشْـــرَبُ اللّيْـــــلَ إلــــى الصّبــــْ ــــــــحِ صِــــــغارًا وكِبـــــــارًا[1]

وحتى في النهار ، لم يكن للصيام أن يمنعه من مدامه إذا وجد شريكًا ينادمه [2] ، يقول :

{ البسيط }

لـــو كـــان لِــي سـكَنٌ فــي الــرَّاحِ يُسْـعِدُني لَمـــا انْتَظَــرْتُ بِشُـــرْبِ الـــرَّاحِ إفْطـــارَا
الــــرّاحُ شَـــيءٌ عجيـــبٌ أنـــتَ شـــارِبُهُ فاشْـــرَبْ وإنْ حَمَّلَتْـــكَ الـــرَّاحُ أَوْزارَا[3]

وقد نقّب الشاعر عن الأعذار التي تجعل إفطاره في رمضان أمرًا مباحًا كتذمره من طول هذا الشهر ، مع تعلقه بالخمر التي تستحيل الحياة دونها ، وتعلقه برفقائه وندمائه ممن كانوا في شغف دائم لمجالس اللهو والسمر ، وخضوعه لإغراء إبليس الذي كان يحثه على الإفطار دائمًا، إذ يقول :

{ الكامل }

قلــت : الصـــيامُ ؟ فقـــالَ لـــي : لا تَنْـــوِهِ واشْـــدُدْ عُـــرَى الإفْطـــارِ بالإفْطـــارِ[4]

ويقول :

{ الكامل }

إذا طـــالَ شَـــهْرُ الصَّـــوْمِ قَصــرْتُ طولَـــهُ بِحَمْـــراءَ يحكـــي الجُلَّنـــارَ احمِرارُهـــا[5]

وكما بحث أبو نواس عن أعذار تمكّنه من الإفطار فقد حاول اختلاق وسائل توصله إلى غايته ، حيث يقول :

{ الطويل }

فِــداؤُك نَفْســي قــد طَرِبْــتُ إلــى الكــاسِ وَتُقْـــتُ إلـــى شَـــمِّ البَنَفْسَـــجِ والآسِ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص204 .

[2] ينظر : حاوي ، إيليا : **ألحان ألحان** ، ص 121 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 111 .

[4] **المصدر السابق:** ص 200 .

[5] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ،ط1، القاهرة ، 1361هـ، ص 112 ، ص 113 .

فَهَـلْ لــكَ فـــي أنْ تَجْعَــل اليــوْمَ نُسْــكَنَا وَنَشْــربَها فـــي البيْــتِ سِــرًّا مِــنَ النّــاسِ [1]

إنّ الأبيات السابقة تعرض استهانَة النّواسي المعلنة بشعيرة الصيام، وذكاءه في الدفاع عن نفسه وتسويغ أفعاله، فهو يريد ستر إفطاره بادّعاء النّصرانية ، والتزام أعيادها وطقوسها، ليداري تخلفه عن الصيام بشرب الخمر، وهو لا يمانع بإعادة أي يوم يفطر فيه ساخرًا من عذّاله الذين يكبرون الإفطار ويعدونه جريرةً عظيمة ، إذ عدّ أبو نواس شهر رمضان حملًا ثقيلًا يرهق كاهله ويجلب له المرض ، والملل وضيق النفس ، فيشخصه برجل يريد قتله والتخلص منه فيقول:

{ الهزج }

أَلا يــــا شَـــــهْرُ كَــــمْ تَبْقـــى عَرِضْـــــــــنا وَمَلَلْناكَـــــــــا
إذا مــــــا ذُكِــــــرَ الحَمْـــــدُ لِشَـــــــــوَّالٍ ذَمَمْناكَـــــــــا
فياليْتَـــــــكَ قـــــــد بنْـــــتَ ومــــا نطْمَـــعُ فـــي ذاكَـــا
ولـــــــو أمْكـــــنَ أنْ يُقْتـــــــَـــــل شـــــهْرٌ لقَتَلْناكَـــــا [2]

ويقول أيضًا :

{ مجزوء الكامل }

وإذا أتـــــى شَـــــهْرُ الصِّـــــيامِ فَفيـــــهِ بـــــالمَرَضِ اعْتَلِــــلْ [3]

ولذلك يستبشر النواسيّ بانتهاء شهر رمضان استبشارًا عظيمًا ، فيهزأ بهلاله الذي بدا في غاية النحول كجسده المتلهف على خابيات الخمر ، ويعلن عداءه لرمضان ، ويولي شوال صداقته ومودته فيقول:

{ الطويل }

لقــــد ســــرَّني أنَّ الهِــــلالَ غُدَيَّــــةً بَــدا وهْــو ممشــوقُ الخيــالِ دقيــقُ
وإنِّـــي بِشَـــهْرِ الصَّـــومِ إذْ بـــان شـــامتٌ وإنَّـــك يـــا شـــوالُ لِـــي لَصَـــديقُ
فقــد عــاودتْ نفْسِـــي الصَّـــبابَة والهــوى وحـــانَ صـــبُوحٌ بـــاكرٌ وغبُـــوقُ [4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 212 .

[2] **المصدر السابق:** ص203 .

[3] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 105 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 205 .

ورأى الشاعر شهر شوال منقذًا يخلّصه من صراع ذاته مع الخمر ؛ فيسارع إلى النّهم من الدِّنان وتعويض ما فاته من قصف ولهو ، فما شوال في نظر الشّاعر إلا قصاصٌ من رمضان ، وما حرمه من لذّات ومتع ، يقول :

{ الوافر }

تَأَهّـــبْ يَـــوْمَ فِطْـــرِكَ لِلمَعاصــــي وَخُـــذْ شَـــوْالُ وَيْحَـــكَ بالقَصـــاصِ

وَصِـــلْ أَيّامَـــهُ باللَّيْـــلِ حَتّـــى تَـرى السِّـتينَ لَـيْسَ بِـذي انْتِقـاصِ [1]

ويقول:

{ مجزوء الرمل }

اسْــــتَعِذْ مِـــنْ رَمَضـــانِ بِسُــــلافاتِ الــــدِّنانِ[2]

ولشوال فرحة لدى كل الصائمين، إلا أنّ فرحة أبي نواس تهتز لأجلها ألوية السّكر، وتتراقص فيها كؤوس المدام، فتطرب نفسه بسعادة تنسيه ما قاساه من حرمان، حيث يقول:

{ البسيط }

ولّـــى الصِّـــيامُ وَجــاءَ الفِطْــرُ بـــالفَرَحِ وأَبْــدَتِ الكَــأْسُ أَلْوانًــا مِــنَ المُلَــحِ [3]

ويقول:

{ السريع }

قَـــدْ سَـــلَّمَ الصَّـــوْمُ عَلـــى الفِطْـــرِ واخْتَفَقَـــتْ أَلْوِيَـــةُ السُّـــكْرِ[4]

فبدا النواسيّ حريصًا على أن يكون مختلفًا في كل شيء ؛ فاختص نفسه بفلسفة حققت له ما يبغي من متع حسيّة ولذّة روحية [5] ، وسنّ لنفسه شريعة حادت به عن شرائع دينه ، وتحرر من قيود الحياة بخروجه عن المألوف [6] ، ووجد في مخالفة الدّين ومعاداة أوامره ما يحقق لذاته الرّضا ،

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 106 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 194 .

[3] **المصدر السابق** : ص 104 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، : ص 363 . وينظر : أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 114 .

[5] التطاوي ، عبد الله : **القصيدة العربية قضايا واتجاهات** ، ص139 .

[6] الزعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد** ، ص118 ، ص123 .

، ولروحه السّلام والدّعة ، فضاق ذرعًا بشهر الصّوم ، ولم يعدم حيلةً في تقصير أيّامه بالنّشاط إلى الشّراب ، والاستغناء بالحرام . فإن كان الصوم حرمانًا يسمو بالمؤمن إلى رضا الخالق سبحانه فيستحقّ عليه الجزاء ، فهو في عرف أبي نواس عذابٌ يقضُّ مضجعه ، ويقلق راحته ، فيقول :

{ المنسرح }

أبـــا العبـــاس كـــفَّ عـــن المــــلامِ	**ودَعْ عنـــكَ التّعمُّـــقَ فـــي الكـــلامِ**
فقـــد وحيـــاةِ مـــن أهـــوى وتهـــوى	**أَقَـــامَ قِيـــامتي شـــهرُ الصِّـــيامِ**
أمــــات مُجـــانتي وأَبـــادَ لهـــوي	**وعطَّـــلَ راحتـــيَّ مـــن المـــدامِ**
ولـــو أبصـــرتني عنـــد السّـــواري	**أَطـــوفُ عنـــد تـــأذين الإمـــامِ**
علِمْـــتَ بـــأنني عـــذّبت نَفْسًـــا	**لهـــا عـــادٌ ورســـمٌ فـــي الحـــرامِ[1]**

3- موقفه من الحج

لم يكن موقف أبي نواس من الحج موقفًا مختلفًا عن غيره من أركان الإسلام، ولربّما يقع القارئ لأبيات الشاعر التي تحدث فيها عن الحج في حيرة من أمره ؛ فليس يخفى على أحد ما لهذه الشعيرة المعظّمة من أثر على النفس الإنسانية التي تستلزم الخشوع استشعاراً للرهبة والأمان في آن واحد ، ولا يستطيع مسلم إخفاء شوقه ومداراة ارتجاف جوانحه إذا ذكرت أمامه الكعبة والبلد الحرام؛ فالحجُّ فرضٌ تتوق له النّفوس المحبّة لخالقها المتطلعة إلى غفرانه ، أَوَلَا يعود من ذهب إلى الحج طاهراً نقيًا كيوم ولدته أمّه ؟ كما أنّ الحجّ فرضٌ يتطلب مقدرة قد يعجز عنها بعض من تاق إليها فتراهم يلهجون بالدّعاء لبلوغها ، فهي قد تكون حلمًا صعب المنال . قال تعالى :" **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** "[2].

ولكن الأمر يبدو مغايراً عند أبي نواس الذي كان يرفض فرض الذهاب إلى الحج متعللاً بانتظار نفاد لذّات بغداد ، وكيف تفنى لذاتها، وقد أحيطت بمواضع الخمر وحوانيتها وأديرتها ؟! وكيف سيملك النّواسيّ القدرة على فراقها وقد استأثرت بقلبه وشغلت عقله ؟! فإذا به يذكر كرومها

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 114 .

[2] **سورة آل عمران** : آية 97 .

وخماراتها ابتداءً من (قطربل) وانتهاءً (بطيرناباذ) التي خشيها خشية أبعدت عنه التنسك ، وجعلته لا يقوى الفراق ، فيقول :

{ البسيط }

وقائـــلٍ هَــل تُريــدُ الحَــجَّ قُلْــتَ لَـــه　　　نعــــم إذا فَنِيَـــــتْ لَــــذَّاتُ بغـــــداذِ
أمـــا وقطْربُّـــلٌ منهـــا بحيـــثُ أَرى　　　فقبــــةُ الفِـــرِكِ مــــن أكْنـــافِ كِلْـــواذِ
فالصَّـــالِحية ، فـــالكرْخُ التـــي جَمَعَـــتْ　　　شُـــذَّاذَ بَغْـــدَادَ مـــا هُـــمْ لـــي بِشُـــذَّاذِ
فكيــف بـــالحجِّ لِــي مــا دمــتُ مُنْغَمِسًــا　　　فـــي بيـــت قـــوَّادةٍ أَوْ بَيْـــتِ نَبّـــاذِ
وهبـــكَ مـــن قصْـــفِ بغـــدادٍ تخلّصُـــني　　　كيـــف الـــتخلُّصُ لِـــي مـــن طيرنابـــاذِ؟![1]

ويسخر النواسيّ في مقطوعة شعرية أخرى ممن يعابثه فينعته بالتنسك مقراّ أنه لم يذهب إلى الحجّ إلّا لزيارة خمّارة (طيرناباذ) الواقعة بين الكوفة والقادسية ، فيقول :

{ البسيط }

قـــالوا تَنَسَّـــكَ بعـــد الحَـــجِّ ، قلـــتُ لَهـــمْ　　　أَرْجـــو الإلـــــهَ ، وأَخْشَــــى طَيْزَنابَـــاذَا
أخشـــى قُضَـــيِّبَ كـــرْمٍ أنْ يُنَـــازِعَني　　　فَضْـــلَ الخطـــام وإن أسْـــرَعتُ إغْـــذَاذَا[2]

وقد زادته إقامته في تلك الحوانيت فتنة وضياعاً فخاطب النّاس محرّضاً بقوله :

{ مجزوء الكامل }

لا تَقْـــــرَبِ البيـــــتَ الحَـــــرامَ　　　وَخَلِّـــــــهِ حَتّـــــى يَحِـــــلْ
وإذا رَأيــــــــتَ رَكائِبَـــــــا　　　نَحـــوَ الحَجـــيجِ حَـــدَتْ فَقُـــلْ
مـــــالي يُطـــوَّفُ بـــــي وَمـــا　　　أَنـــا بالأَســـيرِ عَلـــى جَمَـــلْ[3]

وقوله :

{ الكامل }

لا تـــأْتِيَنَّ بِـــلادَ مَكْـــةَ مُحرِمًـــا　　　ولَـــوَ انَّ مَكَـــةَ عنـــدَ بـــابِ الـــدَّارِ[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص167 .

[2]**المصدر السابق:** ص26 .

[3] أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 105

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 201 .

ويروي ابن منظور أنّ أبا نواس قصد الحجّ مرّة عندما علم أنّ جنان خرجت إلى البيت الحرام واستطاع بظرفه وقلّة ورعه تحويل سنّة لثم الحجر الأسود إلى فرصة للقاء الحبيبة؛ فتبعها محاولًا أن يتقرّب إليها ، فهو لم يحجَ إلّا لأجلها [1] ، يقول :

{ السريع }

وعَاشِــــــقيْنِ الْتَــــــفَّ خَـــــدَّاهُما عِنْــــدَ التثَــامِ الحجَـــرِ الأَسْـــودِ

نَفْعَــلُ فــي المَسْـجِدِ مــا لَــم يَكُــنْ يَفْعلـــه الأبـــرارُ فـــي المَسْـــجِدِ [2]

ولم تنه مشاعر الحجّ الشاعر عن عبثه وغزله فيصرح بذلك قائلاً :

{ السريع }

لـــم يُنْسِـــني السَّـــعيُ والطَّـــوافُ ولا الـــ ـــدَّاعُونَ لمـــا ابـــتَهَلْنَ وابْتَهَلـــوا

قضـــــيبُ بـــــانٍ إنْ قـــــامَ يَنخَـــــزِلُ وَإنْ تَـــــوَلّى فَكُلُّـــــهُ كَفَـــــلُ [3]

وعلى الرغم من تعريضه الجريء بتلك المقدسات والمناسك فإنه لم يستطع تجاهل ما اعتراه من نفحات إيمانية فرضها عليه الموقف المستلزم للطهر والتوبة ؛ فإذا به يناقض ذاته ويعادي أفعاله فيولي وجهه شطر المسجد الحرام ملبيًا ، ويقول :

{ مجزوء الرجز }

إلهنَـــــا مـــــا أَعْـــــدَلَكْ مَليـــــكَ كُـــــلِّ مَـــــنْ مَلَـــــكْ

لبَّيْـــــكَ قَـــــد لبَّيْـــــتُ لَـــــكْ

لبَّيْـــــكَ إنَّ الحَمْـــــدَ لَـــــكْ والمُلْـــــكَ لا شَـــــريكَ لَـــــكْ [4]

وما زالت هذه الأبيات تحمل طابعًا مميزًا ؛ حيث يتلوها المنشدون ، ويتعبد بها المتعبدون فكأنها غدت تسبيحة ذات أصداء لحنية ، فيها من الجدّة والتأثير ما يجعلها إبتهالاً [5] .

---

[1] ينظر : ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 169 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 233 .

[3] **المصدر السابق** : ص 375 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، : ص 622 ، وينظر في مناسبة هذه الأبيات : أبو هفان : **أخبار أبي نواس** ، ص 126 .

[5] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد** ، ج 2 ، ص 181 .

4- موقفه من الأخلاق

نظّمت الشريعة السّمحة علاقات الأفراد في المجتمع الإسلاميّ بطائفة من العبادات التّعاملية التي ترتقي بسلوكهم فتقودهم إلى الفلاح وسمو المكانة ؛ فلا تصلح المجتمعات إلّا بصلاح الأخلاق ولا تنتشر الرذيلة والانحلال إلّا بفسادها . ويربط بعض الفلاسفة الأخلاق بطبيعة البشرية ؛ إذ إنها تنبع من الفطرة النّقية وجوهر الإنسانية ، وإن التقت مع مبادئ الدّين وتعاليمه [1] ، فلا بدّ للإنسان من تحقيق توازن بين رغباته الماديّة وسلوكياته الأخلاقيّة ممّا يصرفه عن الوقوع في الرذائل ، ويضمن له حياة تسودها السّكينة والأمان لينعكس هذا على المجتمع بكلّ طبقاته .

ولم يكن المجتمع العباسيّ بمنأى عن هذا الأمر إلّا إنّه احتضن مفاهيم مغايرة للواقع الأخلاقي الذي فرضه الإسلام فغدت الفضيلة هي المصلحة الذّاتية التّي تحرم الفرد وتوجه سلوكه[2]، فأخذ النّاس يفرطون في اللذائذ ويتحرّونها ويتفنون في الاستمتاع بها ، ويبتكرون أنواعاً جديدة منها[3]، مما عزز الدّعوة إلى التحلل الأخلاقيّ والدينيّ ، فغلب الفساد على طبقات المجتمع، وغدا سمة عامة عبّر عنها شعراء ذلك العصر وتحديدًا الماجنين منهم .

وقد حمل أبو نواس رؤية خاصة للأخلاق نهضت على أسس تمردية مفادها الاستخفاف بكل ما تمليه القيم والعادات والوصول بنفسه إلى ما تريد ، فمضى يذلل كلّ ما يواجه ثورته من صعوبات ؛ ممهّدًا لأفكاره بمصطلحات انقلابية حشدها في أشعاره ، فلم يدع أبو نواس خلقًا إلّا واحتج عليه ، وانحدر به إلى طريق التساقط ، فحرّض على قطيعة الرّحم ، وسفّه بر الوالدين ، حيث يقول :

{ مجزوء الكامل }

وأبـــــاكَ فـــــاعْصِ ولا تُطِـــــعْ وَأخَـــــاكَ فَـــــاجْفُ وَلاتَصِـــــلْ[4]

---

[1] ينظر : مغنيّة ، محمد جواد : **فلسفة الأخلاق في الإسلام** ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1997 م ، ص 15 .

[2] ينظر : مغنية ، جواد : **فلسفة الأخلاق في الإسلام** ، ص 14 .

[3] ينظر : أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ج1 ، ص 103 .

[4] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 104 .

بل ودعا إلى إيذاء الجار وانتهاك حرمته ، واستحلال ماله ، فليس النواسي ممن يرشد للصلاح ويدعو للفضيلة ، يقول :

{ مجزوء الكامل }

والجـــــــارَ خَـــــــلِّ سَـــــــبيلَه	**واقْذِفْـــــهُ مِـــــن أَعْلـــــى جَبَـــــلْ**
والجـــــــارَ إنْ تَحْفَـــــظْ لَـــــهُ	**حَقًّـــــا فَجَهْلُـــــكَ قَـــــدْ كَمـــــلْ**
وحـــــريم جـــــارِكَ فانْتَهِـــــكْ	**والمـــــالَ منـــــه فاسْـــــتَحِلْ**
وإذا دعيـــــتَ إلـــــى التُّقـــــى	**والصّـــــالحاتِ مِـــــن العَمَـــــلْ**
فأَجِـــــبْ بِـــــأَنْ لا ناقَـــــة	**لـــــي فـــــي الصَّـــــلاحِ ولا جَمـــــلْ**[1]

ولا يمكن إغفال ما تضمنته كلمات الشاعر من بغض وانتقاص لقيم تعاملية تعزز تماسك المجتمع وتنمي أواصر المحبة بين أفراده ؛ فهو يرى أن إضمار الشّرّ للنّاس واجب وإن كانوا أصدقاء مقربين ، فعدوه وصديقه عنده سيَان ، يقول :

{ مجزوء الكامل }

لا تَحْفَلَـــــنَّ بِمَـــــنْ لَحـــــا	**كَ عَلـــــى هَـــــواكَ وَلا تُبِـــــلْ**
لا تُضْـــــمِرَنَّ إلـــــى الّـــــذي	**صـــــاحَبْتَهُ إلّا الـــــدّخلْ**
وأَجِـــــبْ إذا عَطَـــــسَ النـــــ	**ـــــديمُ بِذَبْحِـــــهِ وإذا سَـــــعَلْ**
ســـــيّانَ عنْـــــدَكَ فَلْـــــيَكُن	**مـــــن لـــــم يصـــــلْكَ وَمَـــــنْ وَصَـــــلْ**[2]

ويظهر في الأبيات السابقة تعريض أبي نواس بالحديث الشّريف الذي يدعو إلى تشميت العاطس، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا عَطَسَ أَحَدُكُم فَحَمِدَ الله فَشَمِّتوه " [3]، إلّا أنّ أبا نواس يوصى بخلاف ذلك ؛ فهو يريد أن يُذْبَح النديم إذا عطس أو سعل ،لأنّ في ذلك إفسادٌ لجلسة الخمر ، وهذه قيمٌ لم تكن حتى عند الجاهليين .

لقد واجه أبو نواس مجتمعه بسلبية مطلقة ، غصت بمعاني الشّر والخبث والغدر ، والحثّ على قبح التعامل فأشهر سيفه في وجه الحق ، فبات صعلوكًا يظهر للناس خلاف مايبطن، ويقدم لهم أمانًا يقودهم للوقوع في شَرَكه ، فيقول :

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 104 .

[2] **المصدر السابق** ، ص 105 .

[3] النووي ، محي الدين بن يحيى بن شرف : **منهل الواردين شرح رياض الصّالحين** ، ضبطه ووضع شرحه وصنع فهارسه : صبحي الصّالح ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1977 م ، ص 545 .

{ مجزوء الكامل }

وإذا أبـــــــاكَ غَشَشْـــــــتَهُ　　فَمِـــنَ الغَريـــبِ فَـــلا تَسَــــلْ
واشْـــــهِرْ بسَـــيفكَ مصـــــلتا　　واقطـــعْ عَلـــى النَّـــاسِ السُّـــبُلْ
واضـــمرْ لَهُـــمْ سُـــمًّا وَهَـــبْ　　لَهُـــم مِـــنَ القـــولِ العَسَـــلْ
حتّـــــى إذا أمنـــــوكَ مِـــــنْ　　جَهْـــلٍ وَمِـــــثْلهِمُ جَهَـــلْ
فـــــــاقْتُلْهمُ واصـــــــلبْهُمُ　　جَمْعًـــا عَلـــى أَعْلـــى دُقَـــل[1]

بنى النواسيّ لنفسه عالمًا أخلاقيًا خاصًا احتلت فيه مفرداته بعدًا مغايرًا لما هي عليه في الواقع ؛ ذاك أن الشاعر أخضع تفاصيل حياته لسطوة الخمر ، وأراد إيجاد مسوِّغ لتصرفاته مع ندماء المدام وبائعيه فاجتهد في وصفهم ، والحديث عنهم ، ومدح خِلالهم ، وخلع عليهم أفضل الصفات فلن يأتيَ الدّهر بمثلهم .

وقد يصل المطَّلع على شعر النواسي إلى نقطة تدعو للدهشة من كون الشاعر قادرًا على عرض صورة مناقضةٍ للصورة الحقيقية الماثلة في أذهان الناس لأصدقاء السوء و أصحاب الحانات ورفقاء الدساكر وسقاة الخمر ، فهم في نظره فتيان صدق ، ولهم و لشرابهم حقوقٌ على معاشريهم ومناديميهم فالنديم هو الأحق بالبر كما يظهر في قوله :

{ الوافر }

وَلَسْـــتُ بِقائِـــلٍ لِنَـــديمِ صِـــدْقٍ　　وَقَـــدْ أَخَـــذَ الشَّـــرابُ بِمُقْلَتَيْـــهِ
تناوَلْهـــــا ، وإِلّا لَـــــمْ أَذُقْهـــــا　　فَيَأْخُـــذهَا وَقَـــدْ ثَقُلَـــتْ عَلَيْـــهِ[2]

وصاحب الخمارة هو الأولى أن تُرَدَّ أمانته ويُوفى دينه ، وهذا ما نصّ عليه إبليس في فتواه التي أوردها أبو نواس في قوله :

{ الكامل }

قلـتُ : الأمانـةُ هـل تُـرَدُّ ؟ فقـال لـي :　　لا تَـــرْدُدِ القِطْميـــرَ مِـــنْ قِنْطـــارِ
لاهُـــــمَّ إلّا أن تكـــــون مُضَـــــمَّنًا　　دينًـــا لِصـــاحبِ حانـــةٍ خمّـــارِ

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 104 ، 105.

[2] ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 184 .

فــــارْدُدْ أمانَتَــــه عليْـــه ، ودَيْنَـــه   واحْتَــلْ لِــذاكَ ، وَلَــو بِبَيْــعِ إزارِ[1]

ولَكَ أن تَتَخيل اجتماع الشاعر وصحبه في مجلسٍ للشراب ولكنه ليس كأي مجلس ، لأن سمّاره ألزموا أنفسهم بآدابٍ استقوها من معشوقتهم التي تحمل الطيب والسرور، فيقول واصفًا بعض تلك الآداب :

{ الكامل }

نفَــسُ المُدامَـــةِ أَطيـــبُ الأَنْفـــاسِ   أَهــــلاً بِمَـــنْ يَحميـــهِ مِـــنْ أَنجـــاسِ

فـــإذا خلَــوْتَ بشُــرْبِها فـــي مجْلِــسٍ   فـــاكْفُفْ لِســـانَكَ عَــن عُيــوبِ النَّـــاسِ

فـــي الكـــأْسِ مِشْــغَلَةٌ وفـــي لـــذَّاتِها   فاجْعَـــلْ حَـــديثَكَ كُلَّـــهُ فـــي الكـــاسِ

صـــفْو التّعاشُــرِ فـــي مُجانَبَـــةِ الأَذى   وعلـــــى اللَّبيــــبِ تَخَيُّــــرُ الجُـــلَّاسِ[2]

وإذا كان الشّاعر قد اختار رفقاء مجلسه بعناية فقد استطاع بحذقه وبراعته الشّعرية تلخيص حقوقهم بقوله :

{ الوافر }

حقـــوقُ الكـــأسِ والنّـــدمانِ خَمْـــس: فَأَوَّلُهـــــا التَّـــــزيُّنُ بالوَقـــــارِ

وثانيهـــــا مُســــــامَحَةُ النّـــــدامى   وَكَــم حَمَــتِ السَّــماحَةُ مِــن ذِمــارِ

وثالِثُهـــا وإن كنـــت ابـــن خيـــر الـــ   بَرِيَّـــةِ مَحْتـــدًا ، تَـــرْكُ الفَخَـــارِ

ورابِعُهـــــا فَللنَّـــــــدْمَانِ حَـــــقٌّ   سِـــوى حَـــقِّ القَرابَـــةِ والجِـــوارِ

إذا حدَّثتَـــه فَـــاكْسُ الحـــديثَ الـــ   ـــذي حَدَّثتـــه ثَـــوْبَ اختِصـــارِ

وخامِسُـــــها يَـــــدِلُّ بـــــه أَخـــــوهُ   علــــى كَــــرَمِ الطَّبيعَـــةِ والنِّجَـــارِ

كَــــلامُ اللَّيْــــلِ يَنْســــاهُ نهــــارًا   فــــإنَّ الــــذَّنْبَ فيــــه لِلْعُقَــــارِ

فَـــإنْ حَكَّمْـــتَ كَأسَـــكَ فيـــهِ فَـــاحْكُمْ   لـــــه بِأَقالَـــةٍ عِنْـــدَ العِثَـــارِ[3]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 201 .

[2] **المصدر السابق** : ص 221 .

[3] ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 185 .

فانظر كيف دعا أبو نواس ندماء العقار إلى التزيّن بالوقار والمسامحة والتواضع ، بل والتزام حق القرابة والجوار إضافة إلى التغاضي عن هفوات النّديم وزلاته التي أظهرها المدام ، في صورة مختلفة كلّ الاختلاف عمّا كان قد صرّح به في قوله :

{ مجزوء الكامل }

وإذا أخٌ يومًـــــــــا بـــــــــــه عَثَـــــرَ الزَّمـــــانُ فـــــلا تُقِـــــلْ
واجعَـــلْ يَـــداكَ علــــى التـــي مَلَكَــــــتْ يَــــــداهُ بالحِيَـــــــلْ
لا تُضْنــــــمِرَنَّ إلـــــى الّــــذي صـــــــــاحَبْتَهُ إلّا الـــــــــدّخَلْ[1]

فهذا عالمُ الشّاعر ، وليس عالم النّاس ، ولذلك وضع فيه ما كان يرفض وضْعَه في عالم النّاس لأنّه وندماءه أولى من غيرهم بالفضيلة .

وقد بلغ به الأمر أن يطلبَ الاعتداءَ على حرمة الموت ، فيقول متمرِّدًا على القيم الإنسانية التي تدعو إلى إكرام الميت بدفنه :

{ المتقارب }

أَخـــــوكَ أخـــــوكَ دَاوءُ العُيــــونِ فَـــإِنْ غــابَ فاعْــذُرْ لَـــه واقْنَـــعِ
وإنْ مـــاتَ فَانْبُشْـــهُ مِـــنْ قَبْـــرِهِ وَأَكفانُـــــهُ جَعــــدًا فــــانْتَزِعِ
وَصَـــلِّ عَليْـــهِ بِلَعْـــنٍ عَلَيْـــه وقُــلْ قَــدْ ذَهَبْــتَ فَــلا تَرْجِـــعِ[2]

ولكنّه في المقابل ألقى على ندمائه حلية زانها بأنبل الأخلاق فهم أصحاب أنفة وعزّة وشجاعة ومروءة ، يقهرون الظّلام بضوء وجوههم ، ولا يعبؤون بدورانية الزّمان ، ويفرضون سطوتهم عليه فيخشاهم ويحقق رغباتهم ، لأنّ حبلهم موصول بلهوهم الّذي بعد عن التشتت والانكسار [3]، وفيهم يقول أبو نواس :

{ البسيط }

وفتيــــةٍ كَمصــــــابيحِ الـــــدُّجا غُـــــرَرٍ شُـــمِّ الأُنـــوفِ ، مِـــن الصّــيدِ المَصَـــاليتِ

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 104 – ص 105 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 109 .

[3] ينظر : الخلايلة ، محمد خليل : **قراءة في قصيدة أبي نواس** ، ص 505 . نافع ، عبد الفتّاح : **الشعر العباسي قضايا وظواهر** ، ص 168 ، ص 169 .

صـالُوا علـى الـدَّهْرِ بـاللَّهو الـذي وصَـلُوا فَلَـيْسَ حَـبْلُهُمُ منـهُ بِمَبتـوتِ
دارَ الزَّمـانُ بِـأَفلاكِ السُّـعودِ لَهُـمْ وعَـاجَ يحنُـو علـيهِمْ عـاطفَ اللِّيـتِ[1]

ويقول :

{ البسيط }

دَارتْ علـى فِتْيَـةٍ دانَ الزَّمـانُ لَهُـمْ فمـا يُصـيبُهُمُ إلّا بمـا شـاؤُوا[2]

كما وفي وجوههم من السّماحة ما يفرّج الهم ويزيل الغم ، يقول :

{ البسيط }

وفتيَـةٍ كَنُجـومِ اللَّيْـلِ أَوْجُهَهُـمْ مِـنْ كُـلِّ أَغْيَـدَ للْغَمَّـاءِ فَـرَّاجِ[3]

وهم بعيدون على المراء ، أصحاب طهر وصدق ورأي سديد ، يقول :

{ المنسرح }

وفتيـةٍ لا المـراء يَشْـملهمْ زكـوْا فعـالاً معًـا ومنْتَسـبا[4]

ويقول :

{ الطويل }

والقـومُ إخـوانُ صِـدْقٍ بَيْـنَهُمْ نَسَـبٌ مِـنَ المَـوَدَّةِ مـا يَرْقَـى لـه نَسَـبُ
تراضـعُوا دُرَّةَ الصَّـهْباءِ بيْـنَهُمُ وأوْجَبـوا لِنَـديمِ الكَـأْسِ مـا يَجِـبُ
لا يحفظـون علـى السّـكرانِ زَلَّتَـهُ ولا يَرِيبُـك مـنْ أَخلاقهـمْ ريـبُ[5]

فكان لزامًا على الشاعر أن يزهو بندمائه لالتقائه معهم في نسب واحد ، فهم جميعًا من صنع الصّهباء التي غرست فيهم قيمًا وأخلاقًا ارتقت بهم ، وميزتهم عن أبناء زمانهم [6] ، ولذا نرى صاحبة الخمّارة ترحب بهم ، فليس بينهم ناقص عقلٍ أو صغير سن ، ويثبت ذلك قول الشّاعر :

{ البسيط }

والقـومُ إخـوانُ صِـدْقٍ بَيْـنَهُمْ نَسَـبٌ مِـنَ المَـوَدَّةِ مـا يَرْقَـى لـه نَسَـبُ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 38 .
[2] **المصدر السابق** : ص 6 .
[3] **المصدر السابق** : ص 48 .
[4] **المصدر السابق** : ص 50 .
[5] أبو نواس :**الديوان** ، ص 49. والأفن : ضعف العقل أو الرّاي .
[6] ينظر : الخلايلة ، محمد خليل : **قراءة في قصيدة أبي نواس التي مطلعها " وفتية كمصابيح الدّجى غرر "** ، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، م 34 ، ع 3 ، عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، 2007 م ، ص 505 .

تراضـــــعُوا دُرَّةَ الصَّـــــهْباءِ بيْـــــنَهمُ   وأوْجَبــوا لِنَــديمِ الكَــأْسِ مــا يَجِــبُ
لا يحفظـــون علـــى السّـــكرانِ زَلَّتَـــهُ   ولا يَرِيبُـــك مـــنْ أَخلاقهـــمْ ريـــبُ[1]

واتصل رفقاء الشّراب بأسباب المعالي فغدوا شرفاء في قومهم كرامًا في فعالهم، ويقول:

{ الوافر }

ومتَّصــــلٍ بأســــباب المعــــالي   لـــه فـــي كـــلِّ مكْرُمَـــةٍ قَـــديمُ[2]

واختصّ أبو نواس خلّانه بالسّخاء والجود، فلا يستحقّ لذّة الخمر إلّا من انتمى إليها، وأخلص لرفقائها، فيقول:

{ المجتث }

اختـــــرتُ إخـــــوة صـــــدْق   مِـــــنْ خَيْـــــرِ هـــــذي العبـــــادِ
شـــــريفٌ ابـــــن شَـــــريفٍ   جـــــوادٌ بـــــن جـــــوادِ
فقلـــــت لـــــذُّوا ، بنفســـــي   أفـــــديكُم وفـــــؤادي
والْهـــــوا نهـــــارًا ولـــــيلًا   إلـــــى نـــــداءِ المنـــــادي[3]

ولا تقدم الخمر للبخيل لئيم الطّبع ، ولا للسفيه دنس الأخلاق ، وفي هذا يقول الشّاعر :

{ الوافر }

ولا تَسْـــقِ المـــدامَ فتًـــى لئيمًـــا   فلسْـــتُ أُحِـــلُّ هـــذي لِلَّئـــيمِ
لأنْ الكَـــرْمَ مِـــنْ كَـــرَمٍ وَجـــودِ   ومـــاءُ الكَـــرْمِ للرَّجُـــلِ الكَـــريمِ
ونـــادِمْ إنْ شَـــرِبْتَ أَخَـــا مَعـــالٍ   فـــإنَّ الشُّـــرْبَ يجْمُـــلُ بـــالقُرومِ
وإنَّ المَـــرْءَ يَصْـــحَبُ كـــلَّ جيـــلٍ   ويُنْسَـــبُ فـــي المـــدامِ إلـــى النَّـــديمِ[4]

ولا يشربها إلّا أصيل أتلف ماله لأجلها فحرّمت على غيره ، فيقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 192 .
[2] **المصدر السّابق** : ص 55 . وينظر : ص 75 .
[3] **المصدر السابق** : ص 154 .
[4] **المصدر السابق** : ص 144 .

{ البسيط }

يـــا قَهْـــوَةً حُرِّمـــتْ إلّا علـــى رجُـــلٍ   أثْـــرَى ، فـــأتْلَفَ فيهـــا المـــال والنَّشَـــبَا[1]

وتترفع الصهباء عن المجوس واليهود وعبدة الصلبان ، وتنزه نفسها عن الأراذل الذين لايلتزمون أدب المنادمة ، فيقول :

{ البسيط }

لا تُمْكِّنَنِّـــي مـــن العِرْبيـــدِ يَشْـــرَبُنِي   ولا اللَّئـــيمِ الـــذي إنْ شَـــمَّنِي قطبَـــا

ولا المجـــوسِ ، فـــإنّ النّـــارَ ربُّهـــمُ   ولا اليهـــودِ ، ولا مَـــنْ يعبـــدُ الصُّـــلُبَا

ولا السَّـــفَالِ الّـــذي لا يســـتفيق ، ولا   غِـــرِّ الشّـــبابِ ، ولا مَـــنْ يَجْهَـــلُ الأَدَبَـــا

ولا الأراذلِ ، إلّا مـــــــنْ يـــــــوقِّرني   مـــن السُّـــقاةِ .. ولكـــنْ اسْـــقِني العربَـــا[2]

لقد حطّم أبو نواس كثيرًا من القيم والأخلاق في سبيل إثبات تفوقه وصحبه على مجتمهم وثوابته، وانتهت صورة عصابة السّوء إلى صورة مضادّة لما عرف عنها في أي عرف أو تقليد، فهم صادقون في نواياهم ، مخلصون لمعشوقتهم[3]، ولهم من دماثة الخلق ما يظهرهم كبقعة مضيئة تبدد ظلم هواجس حاكت في نفس أبي نواس يعود السبب في وجودها إلى الدّهر وتقلباته[4]

فكان حقّاً على الشاعر أن يفخر بهم ، ويعلي من أخلاقهم ويحطّ من أخلاق غيرهم ، مقاومًا السّخط والإنكار ، ومواجهًا مجتمعه بحجج دامغة ، معلنًا حاجة الجميع إلى سلوك سبيل التجديد ؛ التجديد في كلّ شيء[5]، فليس لفضاء الشّاعر حدود ، ولا تخضع ثورته لقيود ، وهذا ما جعله يدعو معاصريه إلى الاعتراف بحياتهم ، وبما يعالج صدورهم ، وحملهم على الاستجابة لدواعي الحاضر وتلبية أحكامه ومقتضياته [6] .

فثورة أبي نواس في مجملها ثورة على التّقليد الّذي يحدّ من طاقات الإبداع ويهدف لردم الذّات الخلّاقة الحرّة ، فلم يبالِ الشاعر في كون ذاك التّقليد من الثّوابت الدينية التي يعدّ الخروج

---

[1] أبو نواس: **الديوان**،ص 92 .

[2] **المصدر السابق** : ص 92 .

[3] ينظر : التطاوي ، عبد الله : **القصيدة العربية قضايا واتجاهات** ،دار المعارف،القاهرة، ص 139 .

[4] ينظر : الخلايلة ، محمد خليل : **قراءة في قصيدة أبي نواس** ، ص 505 .

[5] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ص 97 .

[6] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشّعر العباسي في مجال التجديد** ، ج 2 ، ص 17 .

عنها كفراً ، فكأنه يقترب من ذهب الوجوديين الّذين ينادون بالحريّة المطلّقة ، والسّماح للإنسان بالاسترسال في أهوائه [1] ، ولعل مرد ذلك إلى الزّمن الخاص بالشاعر حيث تستباح الخطيئة للتخلص من ثقل الموروث ، وعبء الحياة ، فيراوح الشّاعر بين الرّغبات العليا للنفس ، ويتوصل إليها بالخطيئة التي تغدو رمزاً للحريّة والتّمرد والخلاص [2] ، وهذا ما جعل أبا نواس يتباهى بارتكاب خطيئته ، لأن نفسه تأبى أن تقنع إلّا بكلّ شيء حرام ، ويحقق ذاته بهتك السّتر عن الخطيئة التي تكشف عن المكبوت وتحقق مافي أعماقه ، فهو يعترف بالخطيئة لتغدو حرّيته أكثر اكتمالًا [3] ، وإن كان قادرا على المراوغة – أحيانًا – بمزاوجته بين مجونه وطيب خلقه حيث يقول :

{ المنسرح }

إنّـــــي وإنْ كُنْـــــتُ ماجنًـــــا خَرِقًـــــا ... لا يَخْطُـرُ النُّسْـكَ لـي علـى بـالِ

لَـــــــذُو حَيـــــاءٍ ، وذو محافَظَـــــةٍ ... مُبْتَـاعِ حَمْـدِ الرِّجـالِ بالغـالِي

فـإنْ دَنَّـسَ المـالُ عـرْضَ ذِي شَـرَفٍ ... فـإنَّ عِرْضـي يُصـانُ بالمـالِ[4]

إنّ " الإنسان النّواسي هو الإنسان العائش مع ذاته ، المتّخذ من العالم كله مجالًا لتوكيد ذاته ، السّاخر من القيم العامة النّهائية ، ومن القائلين بها والمقيمين عليها ، إنّه الإنسان الذي لا يواجه الله بدين الجماعة ، وإنّما يواجهه بدينه هو ، وببراءته هو ، وخطيئته هو ... ، فهو أكمل نموذج للحداثة " [5] .

ثالثًا– زهد أبي نواس

لا غرو أن يكون الحديث عن زهد أبي نواس مناط تشكيك عند الباحثين والنّقاد [6] ؛ فقد أضاع الشاعر نفسه في سراديب اللذات والمجون ، وخاض بحور المنكر ، وقرع أبواب المحرّمات فأخذ منها أوفر حظّ ونّصيب ، وكان لا يرعوي عن تحدي الشّرائع والأعراف فبات شاعرًا للخطيئة ،

---

[1] ينظر : مغنية ، محمد جواد : **فلسفة الأخلاق في الإسلام** ، ص 40 .

[2] ينظر : الزّعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد** ، ص 123 ، ص 132 . و أدونيس : **مقدّمة للشعر العربي** ، ط3 ، دار العودة ، بيروت ، ص 53 .

[3] ينظر : العشماوي ، محمد زكي : **موقف الشعر من الفن والحياة في الأدب العباسي** ، ص 202 – ص 203 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 142 .

[5] أدونيس : **مقدمة للشعر العربي** ، ص 53 .

[6] ينظر : الباجوري ، محمد عبد الدايم : **عرضيّة الزهد واتجاهاته في شعر أبي نواس** ، فكر وإبداع ، ص 237 .

موسومًا بها وهي موسومة به ، كأنّهما وجهان لعملة واحدة ، فكيف للمتأمل في صفحات ديوانه أن يقنع بأنّ شاعر الخطيئة نفسه قد غدا باحثًا عن الغفران ، يغذّ الخطا إلى التّوبة بالزّهد في طيبات الحياة ، وإظهار زفرات حرّى من الندم ولوم النّفس على ما كان ؟؟

ولعل تساؤلات كثيرة تتبادر إلى الذّهن لدى مقارنة باب زهد أبي نواس بأبواب ديوانه الأخرى ؛ فهل كان شعره الزّاهد نوبة طارئة ، أم إذعانًا يائسًا تجرّعه عندما تقدمت به السّنون[1]؟ أم هو تيقظٌ للضمير وصحوة متأخرة تسببت عن مرضه الّذي أقعده عمّا كان يرتكبه من إثم ورجس [2] ؟ أم أنّ زهدياته ليست إلّا أنغاماً بات يرددها من حين لآخر ، يدعو فيها إلى الإنصراف عن الشّهوات ومتاع الدّنيا الزائل ، والإعداد للآخرة بالتّقى والعمل الصّالح [3] ، كردّة فعل طبيعية لأي إنسان أشبع نفسه فسقًا وخلاعة وزندقة في أيام فتوته وشبابه ، وما لبث أن رأى نفسه وحيدًا يعاني الوحشة بانصراف رفقائه ، فلا يجد حيلة سوى التضرّع إلى السّماء بآهات خاشعة ، وتوبة خالصة [4] ؟

يقول :

{ الوافر }

فــإنّي قــد شَــبِعْتُ مِــنَ المَعاصِــي ... ومِـــن لَـــذّاتِها وَشَـــبِعْنَ مِنِّـــي

ومَـــنْ أَسْــوَا ، وأقْــبَحُ مِــنْ لَبيــبٍ ... يُــرَى مُتَطَرِّبًــا فــي مِثْــلِ سِــنِّي [5]

ترى هل أناب أبو نواس في توبته وصدق في توسله للرّحمة ورجائه للمغفرة ، أم أنّه أراد أن يغدو نموذجًا فريدًا بتقاطعاته المختلفة ؟ فقد استعصت شخصيّة أبي نواس على الالتزام بالحدود الدينية والأخلاقيّة ، ولربما استعصت عليها الحدود الدينيّة والأخلاقيّة فوجدت نفسها فريسة للشكّ والمجون [6] بما هيئ لها من فساد وانحلال خلقي، فلم يعد بوسعها التراجع عن طريق الضّلال

---

[1] ينظر : الموافي ، محمد عبد العزيز : **أبو نواس الزّاهد** ، مجلة جذور ، م 8 ، ج 5 ، 2003 م ، ص171 .

[2] ينظر : الشكعة ، مصطفى : **الشعر والشعراء في العصر العباسي الأول** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1975 م ، ص 210 .

[3] ينظر : ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، ص 237 .

[4] ينظر : هدّارة ، مصطفى : **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني** ، ص 315 – 316 . و شرف الدين ، خليل : **أبو نواس** ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1984 م ، ص 63 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 617 .

[6] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 55 .

والعودة إلى جادة الحق فلجأ إلى النّفاق ؛ وقد يعزز هذا الرأي ماذرفه الشّاعر من عبرات ، وما لفظه من زفرات زالت بزوال الموقف الّذي ابتدرت فيه ، فعاد بعدها إلى ضلاله الّذي لم يستطع عنه صبرًا [1] .

ولكنّ الشاعر لم يلجأ إلى الرّياء ليخفي موبقاته وآثامه بل جاهر مجتمعه بها بافتضاح، فلماذا يلجأ إليه عند زهده وتبتله ؟! فهو لم يحمّل نفسه يومًا مشقة لوم أو عبء عتاب .

ولقد بدا التّواسيّ في نظر عبد الرحمن صدقي صاحب خيال مريض يدفعه إلى الاستغراق في نزعاته الغريزية ، فيتصور أموراً لا يقدر عليها ويخلط بين الوهم والحقيقة [2] ؛ ولذلك قيل بأنّ أكثر مجونه كان من باب اللغو الّذي لم يصل إلى درجة التّحقق ، ولم يتجاوز حدود الخيال [3] ، وأنّ للشاعر وجدانًا رقيقًا كان يسوقه إلى الاعتراف بسوء عمله ، والنّدم على ما فات ، فليس له من دون الله مفر ، فيقول مستجيرًا :

{ الوافر }

أَنـــا العَبْـــدُ المُقِـــرُّ بِكُـــلِّ ذَنْـــبٍ ... وَأَنْـــتَ السَّـــيْدُ المَـــولى الغَفـــورُ

فـــإِنْ عَـــذَّبْتَني فَبِســـوءِ فِعْلـــي ... وإن تَغْفِـــرْ فَأَنْـــتَ بـــه جـــديرُ

أفـــرُّ إِليْـــكَ منـــك .. وأيْـــنَ إلّا ... إليـــكَ يفِـــرُّ منْـــكَ المسْـــتَجيرُ [4]

وقد يعود زهد أبي نواس إلى فلسفته الخاصة مع الحياة ، وهي " أنّ الحياة شيء ليس بذي خطر ، لم ينشأ من خير ، ولن ينتهي إلى خير ، فلتقض في لعب ولهو ، أو فلتقض في حكمة وزهد " [5] ، وهذا ما يفسّر ازدراء أبي نواس للحياة ، وسخريته منها باقتحام اللّذات والنّهم من المتع دون مبالاة بالخطايا [6] ، فالشاعر ازدرى أصول الإسلام وقواعده ، وتمادى في تجاوز حدوده ،

---

[1] ينظر : صدقي ، عبد الرّحمن : **أبو نواس** ، ص255 .
[2] ينظر : **المرجع السابق** : ص 254 .
[3] ينظر : الباجوري ، محمد عبد الدّايم : **عرضية الزّهد واتجاهاته في شعر أبي نواس** ، ص 254 .
[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 610 .
[5] حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج2 ، ص 138 .
[6] **المرجع السّابق** : ص 137 – ص 138 .

ولم يكن من الّذين عملوا السّوء بجهالة ، بل فعله عن سابق إصرار وترصد ، وولغ في الحرام حتّى أذنيه [1] ، ولكنّه كان يقرّ به ويعترف بقبحه فيقول :

{ الرجز }

يـــاربّ إنْ عظُمَـــتْ ذُنـــوبيَ كَثْـــرَةً	**فلقــدْ عَلِمْــتُ بِــأَنَّ عَفْــوَكَ أَعْظَــمُ**
إنْ كـــــان لا يرجـــــوكَ إلّا مُحْسِـــــنٌ	**فـــبمَن يلـــوذُ ، ويســـتَجيرُ المُجْـــرِمُ** [2]

واعتقد بعض الدّارسين أنّ زهد أبي نواس ليس سوى شعر منحول نَسبهُ إليه زهّاد ذلك العصر حثًّا على العظة والاعتبار ، فكأنّهم يدعون إلى تأمل الحال الّذي آل إليه الشاعر بعد إغراقه في الغيّ والمجون ، حيث لم يجن سوى النّدم ، ولم يحصد غير الحسرة ، فإذا به يعضّ على يديه لما فرّط في جنب ربه عندما لم يجد أمامه غير باب التّوبة فاستغفر وأناب [3] .

وقد ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك حين نسبوا زهديات النّواسي إلى أبي العتاهية زعماً منهم بأنّها تحاكيها في أنغامها ومعانيها وحسّها الشّعري [4]، في محاولة لإبعاد النّسك عن شاعر برع برع في المجون والخمر ، وغالى بالاستخفاف بالشّرع والفقهاء والعلماء [5]، وأيّا كانت محاولاتهم ومهما اختلفت آراؤهم فهم ليسوا قادرين على نفي زهد أبي نواس نفياً مطلقاً ؛ فكما كان مجون الشّاعر حقيقة واقعة فإنّ زهده كان كذلك [6] ، فالمجون والزّهد تياران متضادّان ، ولكنّ أحدهما يزداد يزداد بازدياد الآخر ؛ فكلّما زاد التمادي في المجون زاد اليقين بحتمية التّوبة ، والعكس صحيح ، إضافة إلى أنّ الظروف المؤدية للانحراف قد تكون عينها المؤدية للتوبة والإنابة [7] .

---

[1] ينظر : الساريسي ، عبد الرحمن : **توبة أبي نواس** ، مجلة هدي الإسلام ، م 54 ، ع 3 ، 2010 م ، ص103 – ص 104 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 618 .

[3] ينظر : الموافي ، عبد العزيز : **أبو نواس الزّاهد** ، ص 172 . و الزبيدي ، علي أحمد : **زهد أبي نواس** ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة ، 1959 م ، ص 24 – ص 25 .

[4] ينظر : إسماعيل ، عز الدين : **في الأدب العبّاسي الرؤية والفن** ، ص 309 .

[5] ينظر : الزبيدي ، علي أحمد : **زهديات أبي نواس** ، ص 25 .

[6] ينظر : الموافي ، عبد العزيز : **أبو نواس الزّاهد** ، ص 174 .

[7] ينظر : إسماعيل ، عز الدين : **في الأدب العباّسي الرؤية والفن** ، ص 209 . و الباجوري ، محمد عبد الدايم : **عرضيّة الزّهد** ، ص 251 .

وقد يميل المتأمل في زهديات أبي نواس إلى القول بأنها تشكل جزءًا من انقلابه وتمرده الّذي أضحى سمة لا تفارقه ، لكنّه في هذه المرّة منقلب على ذاته ، رافض لما بدر منها من فحش معترضٌ على ما أباحته له من رذائل ، فإذا به يقف وقفات طويلة أمام قضيّة الفناء ، ويضجّ بقضيّة المصير الإنساني ، ويمحصّ النظر بالموت والقبر [1]، فيقول :

{ مجزوء الخفيف }

إنَّ للمـــــــــوتِ أَخْـــــــــذَةً	**تَسْـــــبِقُ اللَّمْـــــحَ بالبَصَـــــرْ**
فكـــــــأنّي بكـــــــم غـــــــدًا	**فــــي ثيـــابِ مِـــــنَ " المَـــدَرْ"**
قـــد نُقِلْـــتُم مِـــنَ القُصـــو	**رِ إلـــــى ظُلْمَـــــةِ الحُفَـــرْ**
حيــــثُ لا تُضْــــرَبُ القِبــــابُ	**عَلَـــــيْكُم ، ولا الحُجَــــــرْ**
حيــــث لا تظْهــــرون فيــــ	**ـــــها لِلَهـــوٍ ولا ســـمرْ** [2]

وتراه في مقطوعة أخرى يتذكر ذنوبه فيعاتب نفسه عتاباً قاسياً مذكّراً إياها بالقيامة وأهوالها وأشراطها ، حيث يقول :

{ المتقارب }

رضـــــيتَ لِنَفْسِـــــكَ ســـــوآتِها	**ولـــم تـــأْلُ جُهْـــدًا لمرْضـــاتِها**
وحسّـــــنْتَ أَقْــــبَحَ أعمالِهـــــا	**وصـــــغّرْتَ أكْبَـــــرَ زلّاتهـــــا**
وكـــم مـــن طريـــق لأهـــل الصِّـــبا	**ســــلكتَ ســــبيل غواياتِهــــا**
فـــأيّ دواعـــي الهـــوى عِفْتَهـــا	**ولـــم تجْـــرِ فـــي طُـــرْقِ لـــذّاتِها**
وأيّ المحـــــارِمِ لـــــم تنْتَهِـــــكْ	**وأيّ الفضـــــائحِ لـــــمْ تَأْتِهـــــا**
وهـــذي القيامـــةُ قـــد أشـــرفت	**تريـــــكَ مخـــــاوِفَ فَزْعاتِهـــــا**
وقـــــد أَقْبلـــــتْ بمواعيـــــدها	**وأهوالِهـــــا فـــــازْعَ لوْعاتِهـــــا** [3]

وليس ذلك فحسب ؛ فالشّاعر يتحسّر على الأيام التّي أفناها بالذّنوب والمعاصي ، ويتخوّف من شدة الحساب عليها عندما يؤوب إلى ربّه ، فيقول :

---

[1] ينظر : الموافي ، عبد العزيز : **أبو نواس الزاهد** ، ص 171 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 612 .

[3] **المصدر السابق**: ص 611 .

{ الكامل }

أَفنَيْـــتَ عُمْـــرَكَ والـــذُّنوبُ تزيـــدُ — والكاتـــبُ المحْصِـــي عليـــكَ شَـــهيدُ

كـم قُلْـتَ لسـتُ بعائـدٍ فـي سـوْءَةٍ — ونـــذَرْتَ فيهـــا ثـــم صـــرْتَ تَعـــودُ

حتّـــى متـــى لاتَرْعَـــوي عـــن لـــذَّةٍ — وحِســـابُها يـــوم الحســـابِ شِـــديدُ

وكـــأنّني بـــك قـــد أتتْـــكَ منيَّـــةٌ — لا شـــكَّ أنَّ ســـبيلها مَـــورودُ[1]

وارتدى أبو نواس ثياب الواعظين ، وتحوّل من محرِّض للغيّ والفجور إلى آمر بالمعروف وناه عن المنكر ، ومحذّر من مكر الدنيا وسوء عاقبتها ، فيقول :

{ البسيط }

لا تفْـرُغُ الـنَّفْسُ مِـنْ شُـغْلٍ بِـدنْياها — رأيْتُهـــا لـــم ينلْهـــا مَـــنْ تَمنَّاهَـــا

إنّـــا لَنَـــنْفِسُ مـــن دنيـــا مُوَلِّيَـــةٍ — ونحـــن قـــد نَكْتفـــي منهـــا بِأَدْناهَـــا

يـــا راكـــبَ الـــذَّنْبِ قَـــدْ شـــابَتْ مفارقُـــهُ — أَمـــا تَخـــافُ مِـــنَ الأَيّـــامِ عُقبْاهَـــا[2]

ولقد حاول الشّاعر فيما مضى ثني نفسه عن المعاصي وتقريعها عن الزلات ، ولكن شيطانه كان يزيّن له الانغماس فيها ، فتراه يلوم نفسه خائفًا من مباغتة الموت قبل التّوبة ، وتراه يدعو إلى التماس الفضائل والعودة إلى طريق الله لأنه طريق النّجاة من أهوال العذاب ، يقول :

{ مجزوء الوافر }

سَـــهَوْتُ وَغَرَّنـــي أَمَلـــي — وَقَـــد قَصَّـــرتُ فـــي عَمَلِـــي

ومنْزِلَـــةٍ خُلِقْـــتُ لَهـــا — جَعَلـــتُ لِغَيْرِهـــا شُـــغُلِي

يَظَـــلُّ الـــدَّهْرُ يَطْلُبُنِـــي — وينْحـــونِي علـــى عَجَـــلِ

فأيّـــامي تقرِّبُنـــي — وتـــدْنيني إلـــى أجلِـــي[3]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 619 .

[2] **المصدر السابق** : ص 613 .

[3] **المصدر السابق** : ص 614 .

وقد يقع القارئ لشعر أبي نواس في حيرة مردّها إلى تصدع ذات الشاعر وانشقاقها عن نفسها وعن العالم المحيط بها [1] ؛ حيث بدا النّواسي في زهدياته إنسانًا مختلفًا بفكره وسلوكه وعاطفته ، وغدا صاحب حكمة مشفوعة بالتّجريب والموعظة [2] ، فانظر إلى قوله :

{ الطويل }

أرى كــلَّ حَــيٍّ هالِكًــا وابــنَ هالِــكٍ   وذا نســـبٍ فـــي الهـــالكينَ عَريـــقِ
فَقُــلْ لِقريـــبِ الــدّارِ إنَّــكَ ظــاعِنٌ   إلــى منْــزِلٍ نــائي المحــلِّ سَــحيقِ
إذا امـــتحنَ الـــدُّنيا لَبيـــب تكشَّــفَتْ   لــهُ عــن عَـدوٍ فــي ثيـابِ صَـديقِ[3]

إذ يؤكد الشاعر على أنّ الهلاك هو مصير كلّ حيّ، فلا راحة في الدّنيا، ولا نجاة من الموت، ولا عاصم من أمر الله ، ولذلك أكثر النّواسي من زجر نفسه على ما فرطت في جنب الله، وحثّها على التّوقر والتّجمل فإنّ كانت ذنوبها عظيمة فإنّ عفو الله أكبر وأعظم، وما عليها سوى التّصبر والامتثال لما قضى الله وقدّر، يقول:

{ مجزوء الرمل }

يـــــا نواســـــــيُّ تَـــــــوَقَّرْ   وتجمَّـــــــــــلْ وتَصَـــــــــبَّرْ
ســـــــاءَكَ الـــــــدَّهْرُ بِشَـــــيءٍ   وبمـــــــا ســـــــرَّك أكثَـــــــرْ
يـــــا كبيـــــرَ الـــــذَّنبِ ، عفْـــــوُ ا   للهِ مِـــــن ذَنْبِـــــكَ أَكْبَـــــرْ
أَكْبَــــرُ الأشـــــياءِ عــــن أصْـــــــ   ـــــغَرِ عَفْـــــوِ اللهِ أَصْـــــغَرْ
لـــــــــيْسَ للإنســـــــــانِ إلّا   مــــــا قضَــــــى اللهُ وَقَــــــدَّرْ
لـــــــيس للمخْلـــــــوقِ تَدبـــــــ   يـــــرٌ بـــــلِ اللهُ المُـــــدَبّرْ [4]

واعتمد أبو نواس على عفو الله وكرمه ، واستشهد بما حفظه من كتاب الله في قوله تعالى : " **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**

---

[1] ينظر : نافع ، عبد الفتّاح : **الشعر العربي قضايا وظواهر** ، ص 79 . و الزّعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد** ، ص 67 .
[2] ينظر : الباجوري ، محمد عبد الدايم : **عرضيّة الزهد واتجاهاته في شعر أبي نواس** ، ص 277 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 621 .
[4] **المصدر السابق** : ص 630 .

إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " [1] ، فرجا المغفرة على التفريط والإساءة ، فقد تساقطت ورقات عمره ، وأخذ الشّيب بالشباب ، فاقتربت ساعة الموت ، ولم يعد هناك طريق للخلاص، يقول :

{ الخفيف }

انْقَضَــتْ شِـــرَّتي فَعِفْــتُ المَلاهــي　　إذْ رَمـــى الشَّـــيْبُ مَفْرِقِـــي بالـــدَّواهِي

ونـهتْنــي النُّهــى فَمِلْــتُ إلــى العَــدْ　　ل ، وأَشـــفَقْتُ مـــن مَقالـــةِ نـــاهِ

أيُّهــا الغافِــلُ المُقــيمُ علــى السَّهْــ　　ــوِ ولا عُـــذْرَ فـــي المُقـــامِ لِســـاهِ

لا بأَعمالِنـــا نُطيـــقُ خَلاصًـــا　　يـــومُ تبـــدو السّـــماءُ فـــوق الجِبَـــاهِ

غيــرَ أنّــي علــى الإســاءَةِ والتَّفــ　　ــريطِ راجٍ لِحُسْـــنِ عَفـــوِ اللهِ[2]

فلماذا لا يستحق أبو نواس العفو إذا لم تكن لديه حيلة إلّا الرّجاء ؟! وكيف لا يلتمس الصّفح إذا كان مستنداً على قوله تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** " [3] ؟! وهو لم يشرك بالله ، وإن سعى إلى كلّ ما يبغض الله ، أوَلَيس هو القائل :

{ الطويل }

تـــرى عنـــدنا مـــا يســـخط اللهَ كلَّـــهُ　　مِـــنَ العَمَـــلِ المـــرْدِي الفتـــى مـــا خَـــلا الشِّـــرْكا[4]

ولماذا لا تقبل توبته إذا كان ممن اعترفوا بذنوبهم ، وخلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا ، وقد توجه إلى الله بقلب سليم ، وتضرّع إليه قائلاً :

{ الكامل }

أَدْعـــوكَ رَبّ كمـــا أمـــرْتَ تضـــرُّعًا　　فـــإذا ردَدْتَ يـــدي فمـــن ذا يـــرْحمُ

مـــالِ إليْـــكَ وَســـيلةٌ إلّا الرَّجـــا　　وجميـــلُ عفـــوِكَ ثـــمّ أنّـــيَ مُسْـــلِمُ ؟؟[5]

لا شكَّ في أنّ أبا نواس شاعرٌ عشق الحياة النّاعمة فأبحر في لذّاتها ، ولكن تقاذفته أمواج الزّمن وقسوة المحن ، وهدّه الصّراع النّفسيّ والسّرف على الجسد ، فآثر حرق مراكبه ، واستشعر

---

[1] **سورة الزُّمَر** : الآية 53 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 621 .

[3] **سورة النساء** : الآية 48 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 705 .

[5] **المصدر السابق** : ص 681 .

هوانه على القوّة المحجّبة التي تدير الكون وتضع نواميسه [1] ، فإذا به يقرع أبواب التّوبة عاجزًا عن إحصاء ذنوبه ، فيقول :

{ المنسرح }

مَــنْ أَنــا فــي مَوْقِــفِ الحِســابِ إذا ... نـــــوديَ بالأنبِيـــــاءِ والرُّسُــــــلِ

ذلـــكَ يـــومٌ يجـــل عـــن خَطَـــرِي ... فمـــا لِمِثلـــي هنـــاكَ مـــن أَمَـــلِ

هُنْـــتُ علـــى الخـــالق الجليـــل فمـــا ... ينْظُـــرُ فـــي قِصَّـــتي ولا عَمَلــــي[2]

" وتزداد انتفاضة اليقين والخوف من الله عند الشّاعر فيرى أنّ خير التّجارة مع الله ، ومن يتبع هواه يخسر خسرانا مبينا ، أما من اتبع طريق الحقّ فسوف يربح الدّنيا والآخرة " [3] ، وهذا ما يستشعر من قوله :

{ السريع }

يـــأْبَى الفتـــى إلّا اتبـــاعَ الهَـــوى ... ومـــنْهَجُ الحَـــقِّ لَـــه واضِـــحُ[4]

وفي قوله :

{ السريع }

فاسْـــمُ بِعَيْنَيْـــكَ إلـــى نِسْـــوَةٍ ... مهُـــورُهُنَّ العَمَـــلُ الصّـــالِحُ

لا يَجْتَلـــي الحَـــوْراءُ مِـــنْ خِـــدْرِها ... إلّا امْـــرؤٌ ميزانُـــه راجِـــحُ

مـــن اتقـــى اللهَ فـــذاك الّـــذي ... سِـــيقَ إليـــه المَتْجَـــرِ الـــرّابِحُ[5]

حيث أضحى الظّفر بالجنّة وما فيها من حور عين مطلب للشاعر الذي غرته الدنيا فأعمت بصيرته، وأثقلت عليه ذنوبه، فتراه يروض نفسه على الاستغفار، ويلجم لذاتها بالتقوى، فيقول :

[1] ينظر : عيد ، رجاء : **أبو نواس شاعر ظلمه قومه** ، مجلة العربي ، ع 269 ، 1981 م ، ص 134 . و بزيغ ، شوقي : **البطولة المضادة في شعر أبي نواس** ، مجلة العربي ، ع 472 ، 1998 ، ص 101 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 723 .

[3] الباجوري ، محمد عبد الدايم : **عرضية الزهد واتجاهاته في شعر أبي نواس** ، ص 281 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 618 .

[5] **المصدر السابق** : ص 618 .

{ مجزوء الرجز }

حتـــــى متَـــى يــــانَفْسُ تغـــْ	تَـــــزّينَ بالأمَـــــلِ الكَـــــذوبِ
يــــا نفْـــسُ تـــوبِي قبـــلَ أنْ	لا تسْـــــــتَطيعِي أَنْ تَتَـــــوبِي
إنَّ الحـــــــوادِثَ كالرِّيــــــا	حِ عَليْـــــكِ دائِمَـــــةُ الهبُـــوبِ
والمـــــوْتُ شـــــرْعٌ واحــــدٌ	والخلْــــقُ مختلفُــــو الضُّـــروبِ
ولقلَّمـــــا يَنْجـــــو الفتــــى	بِتُقـــاهُ مِـــنْ لطـــخ العيـــوب[1]

لقد كان أبو نواس صاحب عبقرية شعرية أعيت الدّارسين ، وجعلتهم يجتهدون في تفسير ما ورد في تضاعيف شعره من تناقضات فهو العابث اللاهي ، وهو الزاهد العابد ، وهو الّذي أحال حياته من: خمر، ومجون، وقيان، وغلمان إلى حياة نسك يستشعر فيها رقابة الله فيقول :

{ الطويل }

إذا مـــا خَلَــوْتَ الــدَّهْرَ يومًـــا فــلا تَقُــلْ	خلَــوْتُ ، ولكــنْ قُــلْ علـــيَّ رَقيـــبُ
ولا تحْسَـــــبَنَّ اللهَ يَغْفُـــــلُ ســــاعةً	ولا أنَّ مــــا يخْفَـــى عليْـــكَ يغيِـــب
لهَوْنَــــا بعمْـــرٍ طـــالَ حتـــى ترادفَـــتْ	ذنـــوبٌ علـــى آثـــارِهنَّ ذُنُـــوبُ[2]

فأين ذلك من قوله :

{ المنسرح }

إنَّ مـــعَ اليـــومِ – فـــاعْلَمَنَّ – غـــدًا	فـــانظُرْ بمـــا ينْقضـــي مجـــيءُ غَـدِهْ
مــــا ارْتَــــدَّ طَـــرْفُ امْـــرئ بلذَّتِــــه	إلّا وشـــيْءٌ يمـــوتُ مـــن جَسَـــدِهْ[3]

وانتقل الشّاعر من قاع الولع الحسيّ إلى قمّة السّمو الروحي واستطاع أن يذيب التناقض الحاد بين هذين القطبين المتنافرين ، وأن يعزف أنغامًا بديعيةً خاصة بكل قطب [4] ، فلا ريب إذن أن يتحول العاكف على المعصية إلى سائل لله ، راغبٍ إليه وحدَه خائفٍ من عذاب سقر التي أنكرها في الماضي ، فيقول :

---

[1] أبو نواس: **الديوان،** ص 616 .

[2] **المصدر السّابق** : ص 615 .

[3] **المصدر السابق** : ص 619 .

[4] ينظر : الباجوري ، محمد عبد الدّايم : **عرضيّة الزهد واتجاهاته في شعر أبي نواس** ، ص 281 ، ص 282 .

{ المنسرح }

يــــا ســــائلَ اللهِ فُــــزْتَ بــــالظَّفَرِ   وبــــــالنَّوالِ الهَنِــــــيِ لا الكَــــــدَرِ
فارْغَــــبْ إلِــــى اللهِ لا إلِـــــى بَشَــــرٍ   منْتَقِــــلٍ فــــي البلَــــى ، وفــــي الغِيَــــرِ
وارْغَــــبْ إلِــــى اللهِ لا إلِــــى جَسَــــدٍ   منْتَقِــــلٍ مــــن صِــــبًا إلِــــى كِبَــــرِ
إنّ الــــــذي لا يخيــــــبُ ســــــائلُه   جــــوْهَرُهُ غيْــــرُ جَــــوْهَرِ البَشَــــرِ
مالـــــك بالتُّرَّهـــــاتِ مشْـــــتغلًا   أفي يدَيْكَ الأمان من سقَرِ[1]

آبَ أبو نواس إلى رحاب الله بعد رحلة العصيان الطويلة ، واستجاب لنداء عقله بعد أن كان لا يستجيب إلّا لنداء نزواته ، ووقع في وقار الشّيب الذي ردّه عن مجونه وفسقه[2] ، يقول :

{ الطويل }

يـــا راكِــبَ الــذَنب قــد شــابَتْ مَفارِقُــهُ   أمــا تخــافُ مــن الأيّــام عُقْباهــا[3]

لقد صاغ أبو نواس أبياته الزّهدية في قوالِبَ حكمية مشفوعة بمجموعةٍ من التّجارب الإنسانية، ظهر فيها الشاعر عالمًا، يفحص ويجرّب بنفسه، ثمّ يصدر حكمه الذي غلب عليه طابع الانكسار، والإصرار على طلب العفو، على ما اقترفه من منكرات، ملتمسًا من الله الصفح والغفران[4]، فهو فنان مبدع في جميع الميادين، وأظهر قدرةً انقلابية؛ فالشاعر الذي بحث عن السعادة في اللّذة هو نفسه الذي أدرك بأنّ السعادة الحقيقية تكمن في عفو الله ورضاه، ويندم أشدّ الندم، وتطارده أشباح المصير، فيرثي نفسه بقطع من روحه، ويحثها على التّأهب ليوم الحساب والوقوف على الصّراط[5]، فيقول:

{ الكامل }

يـــا نَفْـــسُ مَـــوْرِدُك الصّـــراطُ غـــدًا   فَتَـــأَهبي مـــــن قبْـــلِ أنْ تَـــــردي
مـــا حُجَّتـــي يـــوْمَ الحســـابِ إذا   شَـــهِدَتْ عَلَـــيَّ بمـــا جَنَيْـــتُ يَـــدي[6]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 622 .

[2] ينظر : الأميوني ، نضال دكّاش : **ظاهرة الزّمن في الشعر العربي القديم** ، ص 272 ، 273 .

[3] **المرجع السابق** : ص 613 .

[4] ينظر : الأميوني ، نضال دكّاش : **ظاهرة الزّمن في الشعر العربي القديم** ، ص 276 ، 275 .

[5] ينظر : **المرجع السابق** ، ص 272 ، 276 .

[6] ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ج 25 ، ص 307 .

الفصل الثاني

مظاهر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في الموضوعين السياسي والاجتماعي

المبحث الأول – الانقلاب المعرفي والمواجهة السياسية في شعر أبي نواس

أولًا – في عهد هارون الرشيد

ثانيا – في عهد الأمين بن هارون الرشيد

المبحث الثاني – الانقلاب المعرفي والمواجهة الاجتماعية في شعر أبي نواس

أولا – شعوبية أبي نواس

1- موقفه من الأنساب العربية

2- موقفه من الأطلال

3- موفقه من العادات ، والظواهر الاجتماعية

ثانيا – موقف أبي نواس من المرأة

المبحث الأول- الانقلاب المعرفي والمواجهة السياسية في شعر أبي نواس

يتناول هذا المبحث دراسة الانقلاب المعرفي عند أبي نواس ، ومفارقته الأوضاع السياسية في عهد الخليفة هارون الرشيد ، وابنه الأمين.

أولا: الانقلاب المعرفي والمواجهة السياسية في عهد هارون الرشيد

عاشت بغداد عصرها الذهبي في عهد هارون الرشيد؛ فكانت مدينة اللّذائذ المعقدة [1]، التي كان ينشدها كل شاعر، ويتطلع إليها كل قاصدٍ لغنى أو ترف، وكل باحثٍ عن التّمرد الخلقي والاجتماعي، و إليها مضى أبو نواس، بعد أن " أتمّ علمه واستوفى فنه وبدا راغبًا بصلة الرشيد وينل العطايا والهبات التي فاتته زمن المهدي " [2]، ولكنّه حمَل إلى جانب شاعريته ذاته المتمرّدة التي قادته إلى مواجهة المتاعب في بلاط الخليفة، ومع حاشيته ومقربيه، يقول:

{ الطويل }

سـأَبغي الغِنَـى إمّـا جَلـيسَ خَليفَـةٍ ... يقـومُ سَـواءً، أوْ مُخِيـفَ سَـبيلِ

بِكـلِّ فَتـىً لا يُسْـتَطارُ جَنانُـه ... إذا نَـوَّهَ الزَّحْفـان باسْـمِ قَتيـلِ

لِـنَخْمِسَ مـالَ اللهِ مِـنْ كُـلِّ فـاجِرٍ ... وذي بِطْنَـةٍ لِلطَّيِّبـاتِ أَكـولِ [3]

حيث يظهر أبو نواس طامعًا في الغنى، ساعيًا وراء المال يريد الحصول عليه بأي طريقة، فإمّا أن يكون جليس الخليفة، وإمّا أن يكون قاطع طريق يعترض طرق بغداد ليأخذ مالًا هو في نظره حق له، فهو وإن كان غريبًا عن مجتمع بغداد لقادرٌ على مجاراته ومستعد لإثبات نفسه في كلّ زواياه، ولعلّ هذا ما دفع بعض الباحثين إلى تقسيم حياة أبي نواس في عهد الرّشيد إلى قسمين: حياة رسمية عاشها في بلاط الخلافة نديمًا مادحًا يستعين بما يناله من جوائز وعطايا ليستمتع بها في حياته الثانية التي عاشها مع المجّان والخلعاء والمارقين [4]. ولكن هل استطاع أبو نواس أن

---

[1] ينظر: عساف ، سيمون ساسين ، **الصورة الشعرية ونماذجها في شعر أبي نواس** ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1982 ، ص 81.

[2] ينظر: صدقي، عبد الرحمن: **أبو نواس**، ص 135.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 17.

[4] ينظر: عساف، ساسين سيمون: **الصورة الشعرية**، ص 80.

يفصل بين هاتين الحياتين، وأن يعيش كلًا منها بشخصية مستقلة عن الأخرى، أم أنّه آثر إخفاء ذاته الثائرة المتمردة خلف ستار الطاعة والإذعان ؟! ولا سيمّا أنّه أتى بغداد طامعًا في وصل الرّشيد صاحب المهابة، والصفحات المشرقَةِ في تاريخ المسلمين في حربه مع الرّوم ودفاعه عن الثغور، وقد اشتُهرَ بتقواه وورعه، ومتابعته بين الحجّ والجهاد [1]، ومحبته للشعر والشعراء، وإكباره للأدب والأدباء، وكان يصغي إلى المدح ويحبه ويجزل عليه العطاء، وقد جرى على سنته كبار وزرائه، وشيوخ دولته، وقوّاده، حتى امتلأت الأسفار بذكر عطاياهم [2]، فتزاحم الشعراء على أبوابهم مادحين متكسبين، وربّما لجأوا إلى التصنع، والتكلف، بغية نيل رضا ممدوحيهم والحصول على جوائزهم.

ولم يكن لطموح أبي نواس حدود؛ ولذلك كان دائم التطلع لآفاقٍ جديدةٍ تعلي شأنه وتقرّبه من أصحاب السلطة والنفوذ [3]، فأتى قصور البرامكة ومدحم، ولعلّه اتخذ منهم سلّمًا للوصول إلى غايات وأهداف كان ينبغي تحقيقها في بغداد؛ فالمال والشّهرة ومنادمة الخليفة أمورٌ راودت مخيّلته واحتلت أفكاره، ودفعته – في بعض المواقف – إلى تقمصّ شخصية مختلفة عن شخصيته المنقلبة الرافضة. فترى أنّ مدح أبي نواس لتلك الشّخصيات ذات الحضور الأبرز في عصره مدحٌ لجودهم وتعدادٌ لمكارمهم وعطاياهم، وقد يتطرق إلى وصف قوّتهم وشجاعتهم وإرهابهم أعداءهم، ولكنّ مقصده واحد؛ فهم لم يؤثر أحدهم على الآخر إلّا لفيض كرمه وسخاء عطائه، ولذا فهو يقول في الفضل بن يحيى [4]:

{ الطويل }

رَأَيْـــتُ لِفضـــلٍ فـــي السَّـــماحَةِ هِمَّـــةً　　　أَطالَـــتْ لعمـــري غَـــيْظَ كـــلِّ جَـــوادِ

---

[1] ينظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، م 6، ص 217. والشتيوي، صالح علي: **صورة هارون الرّشيد الجادة في شعر العصر العباسي الأول**، مجلّة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م 29، ع 3، 2002 م، ص 745.

[2] ينظر: أبو النصر، عمر: **هارون الرشيد**، ص 86. و الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج 14، ص 7. و ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، م 6، ص 217.

[3] ينظر: سلّام، محمد زغلول: **الأدب في عصر العباسيين**، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1995 ، ص 363.

[4] الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: (147 هـ – 193 هـ) وزير الرّشيد العباسيّ وأخوه من الرّضاع، كان أجود النّاس، ولّاه الرّشيد خراسان سنة 178 هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام بها إلى أن فتك الرّشيد بالبرامكة سنة 187 هـ، سجن مع أبيه يحيى حتى توفيّ في سجنه، ينظر: الزركلي: **الأعلام**، م 5، ص 151، 152.

تـــرى النَّـــاس أفواجًـــا إلـــى بـــاب دارِهِ   كـــــأنَّهُم رِجْــــلًا دَبـــــى وجـــــرادِ[1]

فالفضل بن يحيى أميرٌ لا يعرف قاصده فقرًا، فهو أكثر البرامكة عطاءً حتى لكأنّه يدعو إلى ماله كما يدعو المؤذن للصلاة، فمن لبّى نداءه جنى من قطوف جنّته [2].

يقول أبو نواس:

{ الطويل }

أميــــرٌ رَأيـــتُ المــــال فـــي نَعماتِـــهِ   ذلـــيلًا مهـــينَ الـــنَّفْسِ بالضَّـــيْمِ مُوْقِنَـــا
إذا ضَـــنَّ ربُّ المـــالِ أعْلَـــنَ جُـــودُه   بحَـــيَّ علـــى مـــالِ الأَميـــرِ وأذَّنَـــا
وللفضْـــلِ صَـــوْلاتٌ علـــى صُـــلْبِ مالِـــه   تَـــرَى المـــالَ فيهـــا بالمهانـــة مُـــذْعنَا
كـــــأنّ لديـــــهِ جنّـــــة بابليَّـــــة   دعـا يَنْعُهَـا الجُنَّـاءَ منهـا إلـى الجَنـى
أغـــــرُّ لـــــه ديباجـــــةٌ ســـــابِرِيَّةٌ   تـــرى العِتْـــقَ فيهـــا جاريًـــا مُتَبَيَّنَـــا[3]

وقد ضرب أبو نواس المثل بجود البرامكة حيث قال:

{ البسيط }

فضـــلُ البرامـــكِ إنْ علّاهُـــمُ الجـــودُ   وفَضْـــلُهُ عنـــد أهْـــلِ الظَّـــرْفِ كُلِّهِـــمُ[4]

وكان للبرامكة سلطة لا حدود لها ، وقد ساسوا الرّعية بسياسةٍ ليّنة سليمة اتّسمت بالسماحة والإحسان، وعمدوا إلى تأليف القلوب ونبذ الفرقة والشقاق، وعملوا على تقريب الناس وانصاف المظلوم بتركهم أسلوب البطش والعنف والتعذيب والإذلال، الأمر الذي ساهم في دعم الحضارة العباسيّة وتثبيت دعائمها [5].

ولدى اتصال أبي نواس بالبرامكة توصّل إلى قصر الرّشيد، وفي هذا يروي ابن منظور حادثة اتصاله بالخليفة فيقول: " قال أبو نواس: أول اتصالي بالخلفاء أن الرشيد قال ذات ليلة

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 472.

[2] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 ، ج 1، ص 151.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 474، 475.

[4] **المصدر السابق**: ص 81.

[5] ينظر: عباس، عبد الحليم: **مراجعة لكتاب البرامكة في التاريخ**، المجلة الثقافية، ع 12، 13، عمان – الأردن، 1987 م، ص 290. و أبو النصر، عمر: **الهوى والشباب والحضارة في عهد الرشيد**، منشورات مكتب عمر أبو النصر، ط2، بيروت، 1970 م، ص 98، 99.

لهرثمة بن أعين *: اطلب لي رجلا فسأل..... فدلّ علي، فأدخلني عليه، فسألني الرشيد عن اسمي واسم أبي فأخبرته. ثم قال لي: يا حسن، أَرِقتُ في هذه الليلة فخطر ببالي هذان البيتان، وهما:

وقهْـــوَةٍ كــــالعقيقِ، صـــافية   يطيــرُ مـــن حســنِها لهـــا شَــرَرُ
زوَّجْتُهـــا المـــاءَ كـــي تـــذِّلَّ لـــهُ   فامْتَنَعـــتْ حـــين مَسَّـــها ذَكَـــرُ

قال: فقلت بديهًا:

كـــذلك البِكْـــرُ حـــين خلْوَتِهـــا   يَظْهَـــرُ منهـــا الحيـــاءُ والخَفَـــرُ
حتّـــى إذا ساسَـــها مُمَلَّكَهـــا   فمـــا لهـــا فيـــه ثَـــمَّ مُزْدَجَـــرُ
عـــادَتْ لَـــهُ ثَيِّبًـــا تُفاكِهُـــهُ   قَـــدْ غـــابَ عنْهـــا بالرِّقَـــةِ الأَشِـــرُ
تَرْضِـــعُهُ تـــارةً وتُتْبِعُـــهُ   صَـــريعَ كَـــرْمٍ بِعيْنِـــهِ حَـــوَرُ

قال: أحسنت والله ! وأمر لي بمال، وكان سبب اتصالي به "[1].

ولكنّ علاقة أبي نواس بالرشيد لم تكن واضحة المعالم، لاسيمّا في القصص والنوادر الشعبية – كألف ليلة وليلة – حيث جُعِلَ أبو نواس في مقام مُضْحك البلاط، أو مقام النديم، أو الصديق الحميم الذي يطلعه الرّشيد على أدقّ تفاصيل قصره، ويختصّه بأسرار مجالسِ أُنسه[2]، الأمر الذي يوجب التّشكيك ويدعو إلى الدهشة؛ فشخصيةُ أبي نواس لا تحاكي شخصيةَ الرّشيد الرّصينة الحريصة على وقار الخلافة ورزانة الحكم [3]، والمنشغلة بقيادةِ الدّولة الإسلامية، وتوسيع

---

[1] ابن منظور: **أبو نواس**، ص 190، 191. ولم ترد كلّ هذه الأبيات في ديوان أبي نواس، وإنّما ورد قوله:
{ المنسرح }

وقهْوَة كالعقيقِ صافيَةٍ   يَطيرُ مِنْ كأْسِها لَها شَرَرُ
زوَّجْتُها الماءَ كيْ تَذِلَّ لَهُ   فامْتَعَضَتْ حين مسَّها الذَّكَرُ
كذلك البِكْرُ عِنْدَ خلْوتِها   يظْهَرُ منها الحياءُ والخَفَرُ

أبو نواس: **الديوان**، ص 673.

* هرثمة بن أعين: أميرٌ من قادة الرّشيد الشّجعان، ولّاه الرّشيد مصر سنة 178 هـ، ثمّ ولّاه خراسان سنة 192 هـ، ينظر: الزركلي: **الأعلام**، م 8، ص 81.

[2] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 ، ج 1 ، ص 616. و سلّام، محمد زغلول: **الأدب في عصر العبّاسيين**، ص 363.

* يقول ابن منظور: " قال بعض المترجمين ممن يحيط علمًا بأحوال أبي نواس: أنّ هذه الحكايات عن أبي نواس والرّشيد من الموضوعات، وأنّ أبا نواس ما دخل على الرّشيد قط ولا رآه وإنّما دخل على محمد الأمين ". ابن منظور: **أبو نواس**، ص 194.

[3] ينظر: عسّاف، ساسين سيمون: **الصورة الشعرية**، ص 80.

رقعتها ودفع خطر أعدائها. إضافة إلى أنَّ أماديح أبي نواس في الرشيد لا تتجاوز الثمانين بيتًا من الشعر توزعت على مدى حقبة اتصاله به، وهذه الأماديح ضئيلة إذا ما قورنت بمكانة الرشيد وشهرته، وطول مدة خلافته، ثم إنّها لا تكشف عن علاقة متميزة جمعت بين الشاعر الماجن عاشق الخمر والخليفة التقي المجاهد[1].

ولم تتمكن هذه الشكوك من نفي علاقة أبي نواس بالرّشيد نفيًا مطلقًا، فقد ثبتت أماديح الشاعر بالرّشيد في ديوانه وفيها حشد لصفات الخليفة ومآثره، وإشادة بأخلاقه وانتصاراته، وقدرته على الدفاع عن ثغور المسلمين إلى حدٍّ يغالي فيه أبو نواس ليتخطى حدود المألوف؛ فهو يرى أنّ الله سبحانه يفضّل الرّشيد على الخلفاء كافة، وفي ذلك يقول:

{ الطويل }

تبــارَكَ مــن ســاسَ الأُمــورَ بِعْلِمِــهِ وَفَضّــلَ هارونًــا علــى الخُلَفــاءِ[2]

ويقول:

{ الكامل }

هــارونَ يــا خَيْــرَ الخَلائِــقِ كُلّهــمْ مِمَــنْ مَضــى فِــيهم، وهــذا الغــابِرُ[3]

فلا عجب أن يتصارع الناس على رؤية وضاءة وجه الخليفة، ويتزاحموا على أبوابه كالضرائر، فإذا تبدى لهم بهيبته وعظمته نكست عنه أبصارهم، لأنّه خير الخلائق، يقول أبو نواس:

{ الكامل }

إنَّ العيــونَ حُجِــبْنَ عنــك بهيْبَــةٍ فــإذا بــدأتَ بهــنَّ نُكِّــسَ نــاظِرُ[4]

ولا شكّ أنّ شعر أبي نواس في هارون الرشيد قد اكتسى ثياب الرّهبة والمهابة، وغلف بطابع الخوف من سطوة الرشيد وقوته، ولعل هذا ما يفسر لجوء أبي نواس إلى صور غريبة عن تفكير عصره ومذهبه [5]، حيث يقول:

---

[1] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج1، ص 116.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 402.

[3] **المصدر السابق**: ص 401.

[4] **المصدر السابق**: ص 401.

[5] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج1، ص 119، 122.

{ الكامل }

وأخفْــتَ أَهْــلَ الشّــرْكِ حتــى إنَّـــه   لتَخافُــكَ النُّطَــفُ التــي لــم تُخْلَــقِ[1]

ويضفي الشاعر على الخليفة هالة من القداسة حيث يقول:

{ الكامل }

وإلــى أبــي الأمنــاءِ هــارونَ الــذي   يَحيــا بِصَــوْبِ سَــمائِه الحَيــوانُ
ملــكٌ تَصَــوَّرَ فــي القلــوب مِثالُــه   فكأنــــه لــــم يَخْــلُ منــــه مَكــــانُ
مــا تنطــوي عنْــهُ القلــوبُ بِفجــرَة   إلا يُكَلِّمُــــــه بهــــا اللّحظــــانُ
فيظــــلُ لاســـــتنبائِه وكأنَّــــــهُ   عَــيْنٌ علــى مــا غيَّــبَ الكتْمــانُ
هـــارونُ آلفنـــا ائـــتلافَ مَـــوَدةٍ   ماتـــتْ لَهـــا الأَحقـــادُ والأَضْـــغانُ[2]

فالشاعر يعلي من شأن الخليفة إلى حدٍّ يقوده إلى الشّرك، فهو يمنحه صفة الرّبوبيَّة حين جعل الناس يحيون بِصَوب سمائه، ويرقبونه في كل مكان، فلا يستطيع أحد خيانته؛ لأنّه مطلع على الغيب، عالمٌ بما يطويه الكتمان، كما يجعله قاتلًا للأحقاد والأضغان التي تسبب إفساد الأُلفة والمودة بين رعيته فكأنّه يطبق عليه قوله تعالى [3]: "**هُوَ الّذِيَ أَيّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مّآ أَلّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنّ اللّهَ أَلّفَ بَيْنَهُمْ إِنّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"[4]. إلا أنّ الشاعر كان حريصًا على أن يقدِّم الخليفةَ في صورة تثني على شجاعته وإقدامه المستمدة من تقواه وورعه، ذلك أنّ التقوى محرّك للتضحية ودافع يحفز القائد المجاهد على الاستهانة بالدّنيا لهدف إعلاء لواء الإسلام وهدم لواء الكفر.

إنّ الخليفة هارون الرشيد إمام يخشى ربّه كأنّه يراه صباح مساء، فهو يرتقي إلى منزلة الإحسان التي عناها الرسول صل الله عليه في قوله [5]: " الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراه فإن لم تَكُن تراه فإنَّه يَراك " [6]، وفيه يقول أبو نواس:

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 401.

[2] **المصدر السابق**: ص 404، 405.

[3] ينظر: حمدان، ساهرة عبد الحفيظ محمد: **الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2010 ، ص 94.

[4] **سورة الأنفال**، الآية 63.

[5] ينظر: الشتيوي، صالح علي: **صورة هارون الرشيد الجادة في شعر العصر العباسي الأول**، ص 750.

[6] النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 37.

{ الطويل }

نعـيشُ بخيـرٍ مـا انْطَوَيْنـا علـى التُّقَـى   ومـا سـاسَ دنْيانَـا أَبـو الأُمَنـاءِ
إمـامٌ يخـافُ اللهَ حتـى كأنَّـه   يؤمِـلُ رؤيـاهُ صَـباحَ مَسـاءِ[1]

لقد ارتدى أبو نواس ثيابًا ليست له، وادّعى أنّه ممتثلٌ مخلصٌ لكل فعل أو قول يصدر عن الرشيد، وليس ذلك فحسب؛ فقد جعل الشاعر نفسه في موضع العبودية والاسترقاق على نحو يتنافى مع ذاتيته التي ترفض الذّل وتأبى الخضوع، ولعله أُرهِب بسطوة الرشيد وجبروته الذي أخضعه غير مرة للسجن؛ فالشاعر كان متّهما في عقيدته ومذهبه، متيمًا بالخمر، متغنيًا بها في جلّ أشعاره واقعًا في شرك عاذليه ولوّامه الذين كانوا في دأب للإيقاع بينه وبين الخليفة ومقربيه، محاطًا بالشكوك في أخلاقه وتصرفاته، لا يرعوي عن سلوكه الملتوي [2]، فاضطر إلى أن يدنو بنفسه إلى درجات الذلّ والهوان ليدرأ خطر الخليفة، ويدفع عنه سلطته المطلقة التي كانت تمتد إلى فضاءات الدولة العباسية كلها [3]، يقول:

{ الكامل }

هـذا أميـر المـؤمنين انْتَاشَـنِي   والـنَّفْسُ بَـينَ مُحَنْجَـرٍ وَمُخَنَّـقِ
فاقـذِفْ برَحلِـكَ فـي جَنـابِ خليفـةٍ   سـبَّاقِ غايـاتٍ بهـا لـم يُسْـبَقِ
نفْسـي فِـداؤُكَ يـومَ وابـقَ منعمًـا   لـولا عواطـفُ حِلمِـه لـم أطْلَـقِ
حرَّمـتَ مِـنْ لحمِـي عَليـك مُحلَّـلًا   وَجَمعـتَ مـن شَـتَّى إلـى مُتَفَـرِّقِ[4]

إذ يصور الشّاعر نفسه جزورًا جاز ذبحه وحُلِّلَ لحمه إلاّ أنّ الرّشيد بصفاته الرّبوبيّة أطلقه فانتشله من الموت وحرَّم لحمَه، ولملم شعثه [5]، فلم يملك سوى اللجوء إلى حمى الخليفة، وإلقاء رحله في جنابه، بل قدّم نفسه فداءً له مشعرًا إياه بعظيم امتنانه.

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 403.

[2] ينظر: ابن منظور: **أبو نواس**، ص 203 – 205. و خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج1 ص 116. و عسّاف، ساسين سيمون: **الصورة الشعرية**، ص 80 – 81.

[3] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 123. و يونس، محمد عبد الرحمن: **ملامح شخصية الخليفة هارون الرّشيد في حكايات ألف ليلة وليلة**، دورية كان التّاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، س 1، ع 2، 2008 م، ص 49.

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 400.

[5] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 123.

وربما تلاشى كبرياء الشاعر حين وازن بين عبوديته وعظمة هارون الرّشيد المتمثلة بعفوه وجوده وفضله [1]، فتراه يطلب شفاعته ويلوذ بجواره معترفًا بذنوبه التي تستوجب العفو، ومقرّا بعدم خيانته للخليفة، أو التفكير في خيانته، فيقول:

{ الوافر }

بِعَفْـوِكَ بَـل بِجـودِكَ عُـذْتُ لا بَـلْ ... بِفَضْـلِكَ يـا أميـرَ المؤمنينـا

فـلا يَتَعَـذَّرَنَّ عليـكَ عَفـوٌ ... وَسِـعْتَ بـه جَميـعَ العالَمينَـا

فـإنّي لـم أَخُنْـكَ بِظَهْـرِ غَيْـبٍ ... ولا حـدَّثْتُ نَفسـي أَنْ أَخونَـا

فَشَـفِّع حُسْـنَ وَجْهِـكَ فـي أَسـيرٍ ... يُـدينُ بِحُبِّـكَ الإسـلامَ دينَـا

إذا مـا الهـونُ حَـلَّ بِـدارِ قَـوْمٍ ... فَلَـيْسَ لِجـارِ مِثْلِـكَ أنْ يَهونَـا[2]

إنَّ دراسة الجوانب الانقلابية لشعر أبي نواس في هارون الرشيد لتستدعي وقفة تأملية دقيقة؛ ذاك أنّ أبا نواس علم من أعلام الثورة في عصره، وفي العصور الأدبية جميعًا، بما تعمقت به شخصيته من نزوع نحو الحرية [3]، ورفض للانسياق لأيّ أمر لا يصدر عن ذاته الواعية لما تريد، المدركة لمبادئ التمرد الذي رفع لواءه في وجه السّاسة ومجتمعهم، فكيف لأبي نواس أن يستسلم لأوامر الخليفة التي تنأى به عن مبدئه ومذهبه ؟ ففي قوله:

{ الكامل }

حَـيِّ الـدِّيارَ؛ إذا الزَّمـانُ زمـانُ ... وإذِ الشّـبابُ لنـا حَـرًى ومَعـانُ

يـا حبّـذا سـفوانُ مـن مُتَرَبَّـعٍ ... وَلربَّمـا جَمـعَ الهـوى سَـفْوانُ

و إذا مـررتَ علـى الـدِّيارِ مسـلِّمًا ... فَلغيـرِ دارِ أميمـةَ الهجْـرانُ[4]

يقف الشاعر على الأطلال التي طالما استخف بها، وبالواقفين عليها، وما ذاك إلاّ لوفوده على الخليفة الذي أخذ عليه موثقًا أن يستبدل ذكر الأطلال بالخمر [5]، فهو يقول:

---

[1] ينظر: المصري، عباس: **تجربة السجن عند شعراء العصر العباسي**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2007م، ص62.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 403.

[3] ينظر: الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد**، ص 13.

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 404.

[5] ينظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، مطبعة حجازي، القاهرة، ج1، 1934، ص ص 204.

{ الكامل }

لمّـا نَزَعْـتُ عَـن الغِوايَـةِ والصِّـبَا وخَـدَتْ بـيَ الشَّـدَنِيَةُ المِـذْعانُ

سَـبْطٌ مَشـافرُها، دقيـقٌ خَطْمهـا وكـأنَّ سـائِرَ خَلْقِهـا بُنيـانُ

واحتازَهَـا لَـوْنٌ جَـرى فـي جلـدها يقَـقٌ كقرطـاس الوليـد، هجـان[1]

و (الشّدَنية) [2] ناقة من اليمن استحضرها الشاعر لتحمله إلى الرشيد، فأتته طائعة مستكرهة، وهذا ما يعكس صراعًا داخليًا في نفس أبي نواس، إذ كيف لشاعر افتتن برقّي الحضارة واستظل بترفها أن يستعين بديباجية الحياة الجاهلية ليمدح خليفة يقيم على ضفاف دجلة بين الغنى، والقصور والرياض ؟! [3] وكيف له أن يتنازل عن مذهبه التجديدي وصدقه الفني، وأن ينعته بالغواية والصّبا ليرضي أولي الامر ؟؟ لا بدّ وأنّه فعل ذلك مكرها مذعنًا تمامًا كناقته، وهذا ما يعززه قوله:

{ الطويل }

أَعِـرْ شِـعْرَكَ الأَطْـلالَ والـدِّمَنَ القَفَـرا فَقَـدْ طـال مـا أَزْرَى بـه نَعْتَـكَ الخَمـرَا

دعـاني إلـى نَعْـتِ الطُّـولِ مُسـلَّطٌ تضـيقُ ذراعـي أنْ أَجـوزَ لَـه أمـرَا

فَسـمْعٌ أَميـرَ المـؤمنين، وطاعـةٌ وإن كنـتَ قـد جشّـمتني مركبًـا وعْـرَا[4]

فالأطلال والدّمن فراغ وجهل [5]، وطريق وعر قد تجشّمه النواسيّ لتقيده باستبداد المؤسسة النقدية التي تعتصرها سلطة الممدوح [6]، الذي يضيق الشاعر ذرعًا في التخلص من بطشه، ومع ذلك فهو فهو يعرض لجبروته وينعته " بالمسلّط " محاولًا فضح أساليبه في التبديد بخصومه متظاهرًا بالسمع والطاعة [7]. غير أنّه لا يستطيع الإفلات من معجمه الخمري، وتجاهل طريقه الفني، وإن كان في

---

[1] أبو نواس: **الديوان،** ص 404. و يَقَقٌ: شديد البياض، والهجان: الخالص من كلّ شيء.

[2] (الشّدنية): من شَدَنٌ: موضعٌ باليمن، والإبل الشّدنية منسوبة إليه، ينظر: ابن منظور: **لسان العرب،** مادة (شَدَنَ) م 13، ص 235.

[3] ينظر: إبراهيم، طه أحمد: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري،** دار الحكمة، بيروت – لبنان، ص 95.

[4] أبو نواس: **الديوان،** ص 21.

[5] ينظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة،** ص 204.

[6] ينظر: كرزازي، علي: **استراتيجية الموقف السخري عند أبي نواس،** مدوّنة إلكترونية، www. atjabrxabed. net

[7] ينظر: الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العرب والاغتراب والتمرد،** ص 43.

حضرة الخليفة " أبو الأمناء "، فإذا به يوظف كلمة "منادمة" في سياق وصفه للرّشيد بالتّقى والسداد[1]، حيث يقول:

{ الكامل }

لكنَّــــه فــــي اللهِ مُبتـــذلٌ لهـــا	**إنَّ التّقــــيَّ مُسَــــدّدٌ ومُعــــانِ**
ألِفَــتْ منادمَــةَ الــدِّماء ســيوفُهُ	**فلَقَلَّمــــا تحْتازُهــــا الأجفــــانُ[2]**

وقد يحاول مرارًا الوقوف على الأطلال وبكاء الدّيار، ولكنّه على يقين بأنّه لن يظفر بمطلبه وبغيته، فكأنّه يلهث وراء طريدة تراوغه، فهي وراءه إن أقدم إلى الأمام، وأمامه أن التفت إلى الوراء فإذا به يلوي زمام ناقته، ويتجه بها إلى حانة ألفته كلابها، واعتادت قدومه فلم تزعجه [3] يقول:

{ الطويل }

لقَـدْ طـالَ فـي رَسْـمِ الـدِّيارِ بكـائِي	**وقَــدْ طــالَ تَــرْدادي بِهــا وَعنــائِي**
كــأنّي مُريــغٌ فــي الــدِّيارِ طَريــدةً	**أَراهــــا أَمَــــامِي مَــــرَّةً وورائِــــي**
فلمّـا بـدا لـي اليـأْسُ عـدَّيْتُ نـاقتي	**عــن الــدّارِ، واســتولى علــيَّ عَزائِــي**
إلـــى بيـــتِ حـــانٍ لا تهـــرُّ كِلابُـــه	**علـــيَّ ولا ينكـــرنَ طـــولَ ثَـــوَائِي**
فــإنْ تَكُــنْ الصَّــهباءُ أودتْ بتالــدِي	**فَلَـــمْ تُـــوْقِني أكْرُومَتـــي وَحيـــائِي[4]**

إنّ أبا نواس صاحب ديباجة حضرية لا تتّصل بسبب إلى التقليد والبداوة، ولا تجنُّ لحبيب ولا تبكي على طلل، وهو مروج لفتنة شاعت في بغداد والحواضر العباسية كافة، ومرآة لواقع أثار تحفظ أولي الأمر [5]، ودفعهم إلى فرض هيمنتهم، فأحسّ الشاعر أنّ أحلامه تُحاصر، وأنّ شخصيته ستختفي خَلف حُجب الرشيد، فارتحل إلى مصر طلبًا للذائذ جديدة في أجواء جديدة باحثًا

---

[1] ينظر: خليل، ياسين عايش، **هارون الرشيد في أنظار شعراء عصره**، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، م 32، ع 1، 2005 م، ص 146.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 405، 406.

[3] ينظر: خريس، حسين، **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 120. وأبو نواس: الديوان، ص 402.

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 402.

[5] ينظر: إبراهيم، طه أحمد: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**، ص 96.

عن سعة العيش ونضارته في ظّل (الخصيب) [1]، فحطّ رحاله ببابه بعد رحلة طويلة تكبدّ بها عناءً ومشقةً لا تقلّ عن قدر ممدوحه، وأنشده قصيدته الرائية التي جنّد فيها من الطّاقات الفنية ما يمكّنه من استدرار جود ممدوحه والتّنعم بعطاياه التي تيسّر كلّ عسير، فتراه يصف تجاوزه حواجزَ الخوف والتعب التي سيطرت عليه في رحلته إلى ديار الخصيب؛ لأنّه كان يضع نصب عينيه هدف اللّقاء به وطلب جواره واللجوء إلى حماه، لا سيّما أنّه هجر بغداد طامعًا في صلته والدّنو منه [2]. فيقول:

{ الطويل }

أجـــــارَةَ بيْتِنـــــا أبـــــوكِ غَيُـــــورُ	**وميْسُـــورُ مـــا يُرْجَـــى لـــديْكِ عَسِـــيرُ**
وجـــاوَرْتُ قوْمًـــا لا تـــزاوُرَ بيـــنهم	**ولا وَصْـــلَ إلّا أنْ يكـــونَ نُشـــورُ** [3]

إذ يوضح الشّاعر سبب قدومه إلى الخصيب معتمدًا أسلوب المراوغة؛ ليثبتَ رفضه العلاقات الإنسانية وسط قوم تركهم، وآثر الابتعاد عنهم؛ لأنَّ حبل ودّهم مقطوع، وأمر وصالهم أصبح مستحيلًا إلى يوم النشور، ولا بدّ أنّ الشّاعر رمى من إبهامه كلمة " قوم " في البيت السابق إلى التنديد بممدوح سابق، وهو هارون الرّشيد الذي لم يعد يعجبه وصله، وباتت علاقته به علاقةً سلبيّةً مقيّدةً بمهابة الخليفة هارون الرّشيد.

ولم يكن لأبي نواس أن يتخلى عن تمرّده في حضرة الخصيب، فتراه يوظف " أنا " الشاعر المتعالي ليعلن أنّه لا يخضع لسلطانٍ، ولا يرضخ لخليفة، وأنّه متبصرٌ بخفايا الضّمير، وممتلكٌ لحَدْسٍ يسعفه في إقناع ممدوحه واستمالة جانبه، فيتدفق عليه بالعطايا والهبات [4]. فيقول:

{ الطويل }

فمـــا أنـــا بالمشْـــغوفِ ضَـــرْبَةَ لازِبٍ	**ولا كُـــلُّ ســـلْطانٍ علـــيّ قـــدِيرُ**
وإنّـــي لطـــرْفِ العـــيْنِ بـــالعيْنِ زَاجـــرٌ	**فقـد كـدْتُ لا يخْفـى علـيَّ ضَـميرُ** [1]

ضَـــــــــــــــــــــــــميرُ [1]

---

[1] " الخصيب ": الخصيب بن عبد الحميد العجمي، أمير مصر على الخراج، ولّاه إياه هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة. ينظر: ابن خلّكان: **وفيات الأعيان**، م1، ص 188. و الجهيشاري: **الوزراء والكتّاب**، ص 254. و عسّاف، ساسين سيمون: **الصورة الشعرية**، ص 81.

[2] ينظر: المرازيق، أحمد جمال: **رائية أبي نواس قراءة في تأويل الأنساق الثقافية**، المنارة، م 17، ع 7، 2011 م، ص 239، 243، 244.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 480.

[4] ينظر: المرازيق: أحمد جمال: **رائية أبي نواس قراءة في تأويل الأنساق الثقافية**، ص 242، 243، 244.

اهتزَّ الخصيب لمديح الشاعر الذي تخلّى عن مجتمع بغداد بخليفته وندمائه، وأتى مصر خاطبًا ودّه وهو صاحب الكرم والجود الذي يُؤمن به الفقر، ويحتمى به من صروف الزّمن، يقول أبو نواس:

{ الطويل }

تقــولُ التـــي عــن بَيْتهــا خَــفَّ مرْكَبِــي — عَزيـــزٌ عَليْنـــا أنْ نَـــراكَ تَســـيرُ

أمـــا دونَ مصْـــرٍ للغنَـــى مُتَطلّـــبٌ — بلـــى إنَّ أَســـبابَ الغِنـــى لَكثيـــرُ

فقلـــتُ لهـــا واســـتَعْجَلَتْها بَـــوادِرٌ — جــرتْ فجَــرَى فــي جَــرْيهنَّ عَبيــرُ

ذرينـــي أكَثّـــرْ حاســـديكِ بِرحْلـــةٍ — إلـــى بَلَـــدٍ فيهـــا الخَصـــيبُ أَميـــرُ

إذا لَـــمْ تَـــزُرْ أَرْضَ الخصـــيبِ ركابُنـــا — فــأيُّ فتًـــى بَعْـــدَ الخَصـــيبِ تَـــزورُ

فمـــا جـــازَه جُـــودٌ ولا حَـــلَّ دونَـــه — ولكــنْ يَصــيرُ الجــودُ حَيــث يَصــيرُ

فَلَــم تــرَ عينـــي ســـؤددًا مثـــلَ ســـؤدَدٍ — يحِــلُّ أبـــو نصْـــرٍ بـــه ويَســـيرُ[2]

ويقول:

{ الوافر }

متـــى أجمـــع أبـــو نصـــر ومصـــرًا — فمـــا للـــدّهر بينهـــا مكـــان[3]

ولذا يتحدّى الشّاعر من يلومه على سفره إلى مصر؛ بحجّة بعدها عن موطنه، موضحًا أنّ البعد ليس بعائق للوصول إلى الغنى واليسر، فقد أضحى الخصيب سوقًا رائجةً لمن كسرت عليه تجارة الشعر [4]، ولعل في هذا إشارة إلى الحال التي آلت إليها منزلة أبي نواس في بلاط الرشيد، وهذا ما يوضحه قوله:

{ الكامل }

لَـــمْ تَـــدْرِ جارتنـــا ولا تـــدري — أنَّ المَلامَـــةَ إنّمـــا تُغْـــري

هبّـــتْ تلومُـــكَ غيْـــرَ عـــاذِرَةٍ — ولقـــدْ بَـــدا لَـــكَ أَوْسَـــعُ العُـــذْرِ

واســـتبعدت مصـــرًا ومـــا بَعُـــدَت — أرْضٌ يَحُـــلُّ بهـــا أبـــو نَصـــرِ

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 480.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 481.

[3] **المصدر السابق**: ص 483. وينظر: ص 479.

[4] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج1، ص 175.

ولقــد وَصَــلْتُ بــك الرّجــاء ولــي   **مَنْدوحَـــةٌ لـــو شــئتُ عَــن مصــرِ**

إنّـــي لآمـــلُ يـــا خصـــيبُ علـــى   **يـــدِكَ اليَســـارَةُ آخـــرَ الـــدَّهرِ**

وكـــذاك نِعْـــمَ السّـــوقُ أنْـــتَ لِمـــن   **كســـدَتْ عليْـــه تجـــارة الشِّـــعرِ**[1]

وقد يُهَيَّأ للقارئ أنّ أبا نواس أضحى في نعيمٍ مقيمٍ بتفيؤه ظلال منح الخصيب فهو في ذمته لا يخشى دواهيَ الليالي وأحداثها، وهذا ما يعززه قوة الخطاب في قوله:

{ الخفيف }

يـــا بُنَتـــي أَبْشـــري بِميـــرَةِ مِصْـــرِ   **وَتَمَنّـــي وأَسْـــرِفي فـــي الأَمـــانِي**

أنـــا فـــي ذِمَّـــة الخَصـــيبِ مُقـــيمٌ   **حيـــث لا تعتـــدِي صُـــروف الزَّمـــانِ**

كيـــف أخْشَـــى علـــيَّ غـــولَ اللَّيـــالي   **ومكـــاني مـــن الخصـــيبِ مكـــانِي**

قـــد عَلِقْنـــا مـــن الخَصـــيبِ حِبـــالًا   **آمنتنـــــا طَـــــوارِقَ الحِـــــدْثانِ**[2]

حيث ينعم الشاعر بمسراتٍ لا تعرف الحزن، وسعادة لا تنال منها غوائل الدهر.

فهل قَرَّرَ أبو نواس الخروجَ من بغدادَ بلا عودة، واستبدل بلادَ الخصيب ببلاد الرّشيد ؟ وهل استطاع أن يتجاهل ما قد يعتريه من انفعالات عاطفية إذا نزع إلى الأوطان، واشتاق الديار أم أنّه تغاضى عن سلطة الرشيد التي تمكّنه من عزل الخصيب، وتنحيته عن ولايته فيزول ملكه وتزول معه أحلام أبي نواس بالثّورة والجاه ؟؟

لا غرو أن الشاعر كان صاحب حنكةٍ تمكّنُه من تطويع كلماته لبلوغ غايته من ممدوحه، وإن اضطر إلى السير في طريق المحاباة والتّزييف، والدّليل على ذلك أنّ أبا نواس الذي كان بالأمس مادحًا للرشيد ممجدًا عرضه، خاضعًا لجبروته، أضحى معظمًا للخصيب مثنيًا على أصوله، مكبرًا هيبته، مشيدًا برأيه السديد [3] وزاد على ذلك أنّ جعل الخليفة عاجز الرأي يأخذ بنصح الخصيب و حكمته إذا ما اعترضه عائق أو واجهته مشكله [4]، فهو يقول:

{ الطويل }

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 484، 485.

[2] **المصدر السابق**: ص 477.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 477، 483، 484.

[4] ينظر: المرازيق، أحمد إبراهيم: **رائية أبي نواس قراءة في الأنساق الثقافية**، ص 249، 250.

ومـــا زلــتَ تُوليـــهِ النَّصــيحةَ يافعًـــا   إلـــى أنْ بَـــدا فـــي العارِضـــينِ قَتيـــرُ

إذا غالَـــــهُ أمـــــرٌ فإمّـــــا كفَيْتَـــــهُ   وإمّـــــا عليـــــه بالكِفَـــــاء تُشـــــيرُ[1]

وفي قوله:

{ الطويل }

إذا لـــمْ تَـــزُرْ أَرْضُ الخَصـــيبِ رِكابُنـــا   فـــأيُّ فتًـــى بَعْـــدَ الخَصـــيبِ تَـــزورُ[2]

تأكيدٌ أنّ الخصيبَ وجهةٌ لكل مادح، وأنّ أحدًا بعده لا يستحقُّ الوقوف ببابه، وهذا كلامٌ لا يوافق طبع الشاعر الذي لم يعتد أن يؤثر أحدًا على ذاته، وأن يلقي كلّ أوراقه دون أن يترك لنفسه بابًا للنجاح؛ فالخصيبُ لم يكن رجلاً فريدًا في زمانه، فهو ليس إلا عاملًا من عمّال الخليفة، مؤتمرًا بأمره في كل حال، وأبو نواس شاعرٌ ساحرٌ، قادرٌ على التلاعب بعقل ممدوحه، فيذُمه من خلال مدحِهِ [3]، ويسخرُ منه في عقر داره، فانظر إلى قوله:

{ الطويل }

رمـــــاكمْ أَميـــــرُ المـــــؤمنينَ بِحَيَّـــــةٍ   أَكـــولٍ لِحيـــاتِ الـــبِلادِ شَـــروبُ[4]

وقوله:

{ الخفيف }

وإذا هزّه الخليفة للْجُلَّى   (م)   مضَـــــاها كالصَّـــــارِمِ الهُنْـــــدُوانِي[5]

فلم يزد الشاعر على أن جعل الخصيب سلاحًا في يد الرّشيد، فتارةً يكون كعصا موسى يلقيها الرّشيد في ساحة أعدائه لتأكل شرهم وأذاهم، وتارةً أخرى يكون سيفًا مهندًا يُخرجه الخليفة من غمده ليواجه به عظائم الأمور. وفي هذا استدراكٌ لموقف الشاعر السّابق من هارون الرشيد، فلو لم يكن الخليفة صاحب خبرةٍ ودرايةٍ، وحكمةٍ وبلاغة رأي، ما تقلدّ الخصيب منصبه، ولا استحقّ مقامه، يقول أبو نواس:

{ الطويل }

فَمَـــنْ يَـــكُ أَمْســـى جـــاهِلًا بِمقـــالتي   فـــإنَّ أَميـــرَ المـــؤمنينَ خَبيـــرُ

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 482.

[2] **المصدر السابق**: ص 481.

[3] ينظر: المرازيق، أحمد إبراهيم: **رائية أبي نواس قراءة في الأنساق الثقافية**، ص 249، 250.

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 484.

[5] **المصدر السابق**: ص 477.

ويقول:

{ الكامل }

عَلِـــــمَ الخَليفـــــةُ أنَّ نِعمتَـــــهُ   حلّـــتْ بِســـاحَةِ طيّـــبِ النَّثْـــرِ[2]

لا بدّ أنّ أبا نواس كان يبحث عن أمانٍ لم يجده، وعن صلاتٍ لم يخطبها وعن مرتبةٍ لم ينلها، ولعله لم يجدْ في مصرَ مَنْ يعينه على شوقه إلى وطنه ومرابع صباه، فأشفق على نفسه من طول المقام غريبًا دون قريبٍ أو نديم، فاختار العودة إلى دياره التي نزح عنها قهرًا، يقول:

{ الخفيف }

ذكـــــر الكـــــرخ نـــــازحُ الأوطـــــان   فصَـــــــــــبا صـــــــــــبوةً ولات أوانِ

لـــيس لـــي مســـعدٌ بمصـــرَ علـــى الشَّـــوْ   ق إلـــــى أوْجُـــــه هنـــــاك حســـــان

نـــــازلاتٍ مـــــن الســـــراة فكرخـــــا   يـــا إلـــى الشّـــطِّ ذي القصـــور الـــدّواني[3]

وربّما شقّ عليه ما وقع في مصر من شغب وخصام بسبب سياسة الخصيب [4]، فآثر التحول، وهجا الخصيب، وضمّ صوته إلى أهل مصر، فنعته بالكلب الذي لا يجني من يجالسه إلاّ الكرب. فيقول:

{ الكامل }

نَفَـــسُ الخَصـــيبِ جَميعُـــه كَـــذْبُ   وحديثُـــــهُ لِجَليسِـــــهِ كـــــرْبُ

تبكـــي الثيـــابُ عليـــه مُعْوِلَـــةً   أن قـــد يجـــرُّ ذيولَهـــا كَلْـــب[5]

ولم يكن هجاء أبي نواس للخصيب سوى هجاء للحياة التي أمل بها، ولكنّه لم يلقَ ما كان يأمل[6]، فعاد إلى بغداد تسبقه أماديحه في الخصيب، وتترامى إلى أذن الرشيد الذي نكب البرامكة، وأزال ملكهم وأبدل آل الربيع بهم، فهل كان الشاعر مستعدًا لمواجهة التغيرات التي طرأت على بلاط الرّشيد ؟ أم أنه سيعود إلى خمرته ومجونه دون أن يعبأ برضى الرّشيد أو سخطه ؟

---

[1] **المصدر السابق**: ص 481 .

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 485.

[3] **المصدر السابق**: ص 476.

[4] ينظر: صدقي، عبد الرحمن: **أبو نواس**، ص 199.

[5] أبو نواس: **الديوان**، ص 534.

[6] ينظر: عساف، ساسين سيمون: **الصورة الشعرية**، ص 81.

لا شك أنّ النواسيّ بات متهمًا لدى الرشيد؛ فقد استجدى عاملًا من عماله، ويمم وجهه شطر ولاية من ولاياته فيما كان الشعراء يتسابقون إلى مدحه ويغذون الخطا إلى كسب وده.

وما أنْ حطّ أبو نواس رحاله في بغداد حتى طلبه الرشيد وأخذ عليه استخفافه بنبيّ الله موسى عليه السّلام في قوله في الخصيب [1]:

{ الطويل }

فـإن يـكُ فـيكم أفـكُ فرعـونَ باقيًـا   فـإنَّ عصـا موسـى بكـفِّ خَصـيبِ[2]

وأمر الرشيد صاحب الشرطه بقتل أبي نواس في ليلته إلاّ أنّ الأمين أرسل تهديدًا لصاحب الشرطة بالقتل إن مسّ شعرةً منه، وبقي أبو نواس عند صاحب الشّرطة إلى أن توفي الرشيد، وتولى الأمين الخلافة عام(193هـ) [3] .

ثانيًا– الانقلاب المعرفي والمواجهة السياسية في عهد الأمين بن هارون الرشيد

لم يظفر الشاعر ببغيته في بلاط الرشيد، ولم ينل الحظوة التي كان يصبو إليها، ويمكن القول إنّ مرحلة اتصال أبي نواس بالرشيد مرحلة أربكت الشاعر، وحاصرت ذاته الخلّاقة، وقولبتها في إطار قبضة الخليفة، ولا يعني هذا أنّ الشاعر توقف عن النظم في شعر الخمر، أو التزم حدود المألوف ولكنّه كان مقيدًا بأغلال القيم والأسس التي سنّها أصحاب السلطة ليلزموا بها مجتمعًا غارقًا بالفتن والأهواء، وخائفًا من السجن الذي أطال الرشيد حبسه فيه، ولذلك فقد شكّل موت الرشيد نقطة تحول في حياة أبي نواس؛ حيث مضت تلك الحقبة التي اهتزّ فيها صوت الشاعر وضاقت فيها حدوده، وبدأت حقبة جديدة عنوانها التحرر والانفلات، والتمادي في التمرّد؛ لا سيّما أنّ عوامل مختلفة أطلقت العنان لنفوذ الشاعر، وساهمت في تقريبه من الخليفة الجديد. كان أولها علاقة وثيقة جمعته وآل الربيع الذين كانوا حماته وشفعاءه، فقد عرفهم الشاعر قبل أن يصبحوا وزراء بزمن طويل [4]، وتغنى بهم أيام الرشيد، فقال محتفيًا بتولي الفضل بن الربيع حجابة هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة:

---

[1] ينظر: ابن منظور: **أبو نواس،** ص 223.

[2] أبو نواس: **الديوان،** ص 484.

[3] ينظر: ابن منظور: **أبو نواس،** ص 223.

[4] ينظر: شلق، علي: **أبو نواس بين التخطي والالتزام،** ص 53. و فروخ، عمر: **أبو نواس،** ص 61.

{ السريع }

قـــولَا لِهـــارونَ إمـــامِ الهُـــدى ... عِنْـــدَ احتفـــالِ المَجْلِـــسِ الحاشِـــدِ

نصـــــيحة الفَضـــــلِ، واشـــــفاقُهُ ... أَخْلَـــى لـــه وَجْهَـــك مـــن حاسِـــدِ

بصـــــادِقِ الطّاعَـــــةِ، ديّانِهـــــا ... وواحـــــدِ الغائِـــــبِ والشّـــــاهِدِ

أنـــتَ علـــى مـــا بِـــكَ مِـــنْ قُـــدرَةٍ ... فلســـتَ مِثْـــلَ الفضـــلِ بالواجِـــدِ

أوْحَـــــدَهُ اللهُ فمـــــا مثلـــــه ... لطالـــــــبٍ ذاكَ ولا ناشِـــــــدِ

ولـــــــيس للهِ بمسْـــــــتَنْكِرٍ ... أنْ يَجْمَـــعَ العـــالمَ فـــي واحِـــدِ[1]

فلن يجد الخليفة _ مهما بلغت قدرته _ من يخلص في صدق طاعته كالفضل بن الربيع؛ فهو له ناصحٌ أمين، بل إنّه عالمٌ متكاملٌ في رجلٍ واحد، وفي هذا تمجيدٌ للفضل، وتمييزٌ له عن غيره من رجال الخليفة. ولذلك احتضن آل الربيع أبا نواس وآثروا صحبته، فطال اتصاله بهم ووقوفه ببابهم، وغالى في تعداد مآثرهم ومناقبهم [2]، فقال فيهم:

{ مجزوء الكامل }

آل الرّبيـــــــعِ فضـــــــلتُمُ ... فَضْـــلَ الخَمـــيسِ علـــى العَشـــيرِ

مَـــنْ قـــاسَ غَيْـــرَكُم بِكـــم ... قـــاسَ الثَّمـــادَ إلـــى البُحـــورِ[3]

فمن يحاول مقارنة آل الربيع بغيرهم لا محالة خاسر؛ إذ كيف للماء القليل أن يغلب البحور بعظم مائها وتتابع أمواجها ؟! فهم سادة يستحقون الملك بكرمهم ونبلهم، وسماؤهم مدرارة بالجود وأيديهم ممتدة بالعطايا، ويقول:

{ الرجز }

ســـادَ الملـــوكَ ثلاثـــةٌ مـــا مـــنهمُ ... إن حصّـــلُوا إلا أغَـــرُّ قريـــعُ

ســـادَ الرّبيـــعُ، وســـادَ فضـــلٌ بَعـــده ... وعلـــتْ بعبـــاسَ الكـــريمِ فُـــروعُ

عبـــاسُ عبـــاسٌ إذا احتـــدمَ الـــوَغى ... والفضـــلُ فضـــلٌ، والرَّبيـــعُ رَبيـــعُ[4]

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 454

[2] ينظر: صدقي، عبد الرحمن: **أبو نواس**، ص 155.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 467.

[4] **المصدر السابق**: ص 463. وينظر: ص 445، 446، 581.

ولم تكن علاقة أبي نواس بآل الربيع تحاكي علاقته بالبرامكة؛ فلم تقتصر أماديحه فيهم على وصف كرمهم، وتعدادِ هباتِهم؛ ذاك أنّهم لم يمثلوا له مصدرًا للعطايا فحسب، وإنّما كانوا طوق نجاة يستعين به على ما رُزِء به من مصائب، لا سيّما بحبسه المتكرر في السجن. فدارت أشعاره بهم حول الشّكر، والرّجاء، والتّودد، والتّشفع، والامتنان، والعتاب، وطلب العفو والغفران[1].

ويرجع ثاني تلك العوامل إلى شخصية الخليفة الأمين الذي أحبّ اللهو والطرب، فلدى توليه الخلافةَ " طلبَ الخِصيان وأبتاعهم، وغالى فيهم فصيّرهم لخلوته لَيله ونهاره، وقوامِ طعامِه وشرابه، وأمرِهِ ونهيِهِ.... ورفضَ النّساء الحرائر والإماء حتى رمي بهن..... ثم وجه إلى جميع البلدان في طلب المُلهين، وضمّهُم إليه، وأَجرى عليهم الأَرْزاقَ، واحتجبَ عن أخويه، وأهل بيته، واستخف بهم وبقوّاده، وقسّم ما في بيوت الأموال، وما بحضرته من الجواهر في خصيانه، وجلسائه، ومحدّثيه، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته، ومواضيع خلواته ولهوه ولعبه.... "[2]، فكان ينأى بنفسه عن مسؤوليات الخلافة، وثِقَل الإمارة بشهادته بحق نفسه إذ قال للفضل بن الربيع: " يا فَضل أَتراني لا أُحسن التّدبيرَ والسّياسَة، ولكني وجدت شَمّ الآس، وشرب الكاس، واستلقاءً من غير نعاس، أشهى إلي من ذلك "[3]، إلّا أنّه كان شجاعًا ذا قوة مفرطة، وعلى قدر من الفصاحة والبلاغة والأدب يرقى إلى طيب نسبه، ونبل حسبه[4].

فقد انساق الأمين لموجة مجون كان من الصّعوبة إخمادها، أو التخفيف من اندفاعها،ولعله كان مؤيّدًا داعمًا لكل ما أشاعه أهل زمانه من فتن وملذات، الأمر الذي جعله أَثيرًا لدى أبي نواس ومن شاكله من الشعراء، إلا أنّ هالة من الخصوصيّة والتّفرد قد أحاطت بالشاعر، وقربته من الأمين إلى حدٍّ تلاشت فيه الحواجز الرسمية، حيث أضحى الخليفة نديم الشاعر، وصاحبه الذي لا يطيق بعده ولا يصبر عنه[5]، فانغمسا معًا في ضروب الفسق، وتشاركا كؤوس الشراب في مجالس

---

[1] انظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 160.

[2] ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي : **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت ، 1982 ، ج 6، ص 293، 294.

[3] ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج 8، ص 112.

[4] ينظر: الكتبي : **فوات الوفيات**، ج6، ص 46، وسالم، السيد عبد العزيز: **العصر العباسي الأول**، مؤسسة شباب للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1978 ، ص 71.

[5] ينظر: سلّام، محمد زغلول: **الأدب في عصر العباسيين**، ص 363.

حفتها الجواري، وطاف فيها الغلمان، وتأجّجت فيها نيران اللّذات، فكانا في نعيم لا يكدر صفوه شعورٌ بالإثم [1]، ولا ينفعه قانونٌ أو تشريع.

ولكنّ علاقة النواسيّ بالأمين لم تكن وليدة لتعهدِ الأمين الخلافة؛ وإنّما هي علاقة قديمة قد ترجع إلى طفولة الأمين، حيث يروي ابن منظور أنّ الرّشيد عهد إلى الكسائيّ وأبي نواس تعليم ولده [2]، وإنشاده الشعر النادر الغريب، ثم توطَدت العلاقة بينهما، لا سيّما بعد أن أَخرَج الأمين الشّاعر من السّجن الذي زُجَّ فيه في عهد الرّشيد، فقد نظم أبو نواس أبياتًا كانت سبيلًا إلى كسر قيوده، وفكّ أسره [3]، إذ يقول:

{ الوافر }

أَرقْــتُ، وطــارَ عــن عينـي النعــاسُ ... ونــام السّــامرون، ولــم يوَاسُــوا

أمـــين الله قــد مُلِّكْــتَ ملْكًــا ... عليــكَ مــن التّقــى منــه لِبــاسُ

تُســاسُ مــن السَّــماء بكــلِّ صُــنْعٍ ... وأنــت بــه تسُــوسُ كمــا تُســاسُ

وَوَجْهُــكَ يسْــتَهِلُّ نــدًى فيحْيَــا ... بــه فــي كــلّ ناحيــةٍ أُنــاسُ

كــأنَّ الخَلْــقَ فــي تِمثــالِ رُوحٍ ... لَــه جَسَــدٌ وأنــتَ عليــهِ راسُ

فــديْتُكَ إنَّ لَيْــلَ السِّــجْنِ بــاسٌ ... وقــد أرسـلتَ " لــيسَ عليــكَ بــاسُ"[4]

حيث شكا الشاعر إلى الخليفة أرقه ووحشته في ليل السجن المظلم بعد أن وصفه بالتقوى والعدل والكرم، فهو بحق خليفة الله على الأرض يسوس رعيته بأحكام السماء، وهو رأس الرعية وأساسها فتراه يرفل بثوب من السرور، ويضفي على كلمات أشعاره أبهى الحلل ويصور الخلافة تهتزُّ طربًا للخليفة، وتسعى إليه بحنين دائمٍ وشوق متأجج، وكأنّها اختُصّت به فلا تليقُ لأحدٍ غيْره، يقول:

{ مجزوء الكامل }

إنَّ الخِلافَــةَ لَــمْ تَــزَلْ ... تَزهــو وَتَفْخَــرُ بــالأَمين

وتحــنُّ مــن شــوق إلــيْ ... هـ حنــينَ دائمــةِ الحنــين[5]

---

[1] ينظر: عسّاف، ساسين سيمون: **الصورة الشعرية**، ص 81.

[2] ينظر: ابن منظور: **أبو نواس**، ص 209، 210.

[3] ينظر: الطبري ، ابن جرير محمد : **تاريخ الأمم والملوك**، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 7، ص 106، 107.

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 425.

[5] **المصدر السابق**: ص 411.

وتملّق أبو نواس الخليفة الجديد، فهو في خلافته مستبشرٌ طلقُ النّفس، لا يعتري قلبه هَم أو أسى، ولذا فقد طغى إعجابه بشخصية الخليفة ومجالس أُنسه على ما نظمه من شعرٍ في حضرته، وما قاله من مدح أو وصف في بلاطه؛ فالممدوح ليس الخليفة فقط، بل هو النديم المسامر، والصديق الحميم، " وإلا فأي ممدوح عظيم يقبل على نفسه أن يخاطبه شاعره بما يتخاطب به المحبوب من وصل وهجران وصلح وعتاب ووفاء وغدر ؟! " [1]، يقول الشاعر:

{ البسيط }

يــا مَــن يبــادلُني عِشْــقًا بِسُــلْوانِ   أمْ مَــنْ يَصــيّرُ لــي شُــغْلا بإنْســانِ

كيمــا أكــونَ لَــه عبــدًا يقُارِضُــني   وصْــلًا بِوَصْــلٍ وهجْرانًــا بهجــرانِ

إذا التَقَيْنــا بِصــلْحٍ بعــدَ مَعْتَبــةٍ   لــم نفتــرق بعــد موعــودٍ لِلُقيــانِ[2]

ويقول بلسان عاشقٍ محب:

{ الوافر }

أَزورُ محمّــــدًا فــــإذَا الْتَقيْنــــا   تكلَّمــــتِ الضَّــــمائرُ فــــي الصُّــــدورِ

فــأَرْجِعُ لَــمْ أَلمْــهُ ولــمْ يَلمْنِــي   وَقَــدْ رضــيَ الضَّــمير عَــنِ الضَّــمير

أمــورٌ لــيْسَ يَعْرِفُهــا سِــوَانَا   يُحيِّــرُ لُطْفُهــا بَصَــر البَصــيرِ[3]

فالشاعر لا يتردد بالاعتراف بعشقه للخليفة والتغزل به، ووصف جمال وجهه ومحيّاه متجاوزًا المديح المحض، والمديح المشوبَ بالإعجاب، إلى مديحٍ يغصّ بذكرِ الصّفات الحسيّة أو ما يسمى بالمدح الوصفي والغزلي [4]، وكثيرةٌ هي الأشعار الدّالة على ذلك [5]. وهذا أمرٌ لم يكن يجرؤ على القيام به في عهد الرّشيد، إذ كيف له أن يتغزّل بخليفةٍ تَحْجُب هَيبتُه عيونَ النّظار، فينكسون رؤوسهم، بل وتخافه النّطفُ التي لم تخلق بعد في أرحام أمهاتها [6] ؟؟ ولكن في المقابل

---

[1] خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 129.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 420.

[3] **المصدر السابق**: ص 363.

[4] ينظر: فروخ، عمر: **أبو نواس**، ص 160. و خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 131، 132.

[5] ينظر: أبو نواس: **الديوان**، ص 408، 418، 422، 423، 424.

[6] ينظر: **المصدر السابق** ص 401.

كيف له أنْ يَكتمَ ما كان يجري بينه وبين الأمين في مجالسِ السّمرِ من ودٍّ وألفةٍ خرجت عن حدودِ المألوف وألغت الفوارق الطبقية والاجتماعية، وإلاّ بماذا يفسّر قول الشاعر:

{ مجزوء الكامل }

نبّـــهْ نَـــديمَكَ، قَـــدْ نَعـــس   يَسْـــقيكَ كَأسًـــا فـــي الْغَلَـــسْ
صِـــرْفًا كـــأنَّ شُـــعاعَها   فـــي كـــفِّ شـــارِبِها قَـــبَسْ
تـــدعُ الفَتـــى، وكأنّمـــا   بلســـانِه منهـــا خَـــرَسْ
يُـــدْعَى؛ فيرْفَـــعُ رأسَـــهُ   فـــإذا اسْـــتَقَلَّ بـــه نكـــسْ
يسْـــقيقها ذو قُرْطَـــقٍ   يُلْهـــي، ويُعْجِـــلُ مـــن حَـــبَسْ[1]

وقوله:

{ الوافر }

ونَـــدْمَانٍ يـــرى غَبَنًـــا عليـــه   بـــأن يُمْسِـــي، ولـــيْسَ لـــه انْتشَـــاءُ
إذا نَبَّهتَـــه مـــن نـــومِ سُـــكْرٍ   كفـــاهُ مـــرَّةً منْـــكَ النِّـــداءُ
فلـــيس بقائـــل لـــك: إيـــهِ دَعْنـــي   ولا مُسْـــتخْبِرٍ... لـــك مـــا تشـــاءُ
ولكـــن: سَـــقِّني، ويقـــولُ أيْضًـــا   عليـــك الصِّـــرْفَ إن أَعْيـــاكَ مـــاءُ
إذا مـــا أَدْرَكَتْـــهُ الظُّهْـــرُ صـــلَّى   ولا عَصْـــرٌ عَلَيْـــه، ولا عِشَـــاءُ
يُصـــلّي هـــذه فـــي وقـــت هـــذي   فكـــلُّ صَـــلاتِه أبـــدًا قَضَـــاءُ
وذاكَ " محمـــدٌ " تفديـــه نفســـي   وحُـــقَّ لـــه، وقـــلَّ لـــه الفِـــداءُ[2]

إذ يصور الشاعر بلغةٍ راقصةٍ منتشية مجالس شراب نادم فيها الأمين فاصطحبا الخمر، وطربا لها كما يطرب العاشق المفتون إلى أن أطاحت بهما، وأفقدتهما القدرة على النطق[3]، بل لقد غالى أبو نواس في مجونه مع الأمين، وتمادى إلى حدود الزندقة، وبدا في غاية الاستهتار والتّمرد، ولم يتوانَ عن دعوة (حبيبه) الأمين إلى فعل كلّ ما يعصى به الإله الجبار، فلم يعدو مجلسهما عن كونه مجلس فسق وفجور تتداول فيه المعاصي بشتى أشكالها دون خوفٍ من رقيب أو حسيب. يقول أبو نواس:

---

[1] ينظر: أبو نواس: **الديوان**، ص 417. ينظر في مناسبة هذه الأبيات: ابن المعتز: **طبقات ابن المعتز**، ص 210، 211.
[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 23. و ينظر في مناسبة هذه الأبيات: ابن منظور: **أبو نواس**، ص 92، 93.
[3] ينظر: العشماوي، محمد زكي: **موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي**، ص 67.

{ البسيط }

لا اســـتزيدُ حبيبـــي مــــن مواتـــاتي وإنْ عَنُفْـــتُ عليـــه فـــي الشّـــكاياتِ

هـــو المُواصِـــلُ لـــي لكِـــنْ يُنَغِّصُـــني بِطـــولِ فَتْـــرةِ مـــا بـــين الزِّيـــاراتِ

قـــالوا ظفـــرتَ بِمـــن تهـــوْى فقلـــتُ لَهـــمْ الآن أكْثَـــرُ مـــا كانـــتْ صَـــبَاباتِي

لا عُـــذْرَ للصَّـــبِ أنْ تَهـــوى جوانحـــهُ وقـــد تَطَعَّـــمَ فُـــوه بالمُواتَـــاةِ

وداهـــريٌّ سَـــما فـــي فَـــرْعِ مَكْرُمَـــةٍ مِـــنْ مَعْشَـــرٍ خُلِقُـــوا فـــي الجـــودِ غايـــاتِ

ناديتُـــه بَعـــدَ مـــا مـــالَ النُّجـــومُ وَقَـــدْ صـــاحَ الـــدَّجاجُ ببُشْـــرَى الصُّـــبح مـــرّاتِ

فقلـــتُ، واللَّيْـــلُ يجْلُـــوهُ الصَّـــباحُ كمـــا يجلُـــو التبسُّـــم عـــن غُـــرِّ الثَّنيَّـــاتِ

يـــا أحمـــدَ المُرتَجـــى فـــي كـــلِّ نائبَـــةٍ قـــم ســـيّدي نَعْـــصِ جَبّـــارَ السّـــماواتِ

وهاكهـــا قهـــوةً صَـــهباءَ، صـــافيةً مَنســـوبَةٍ لِقُـــرى هِيـــتٍ وعانـــاتِ

ألُـــزُّهُ بحُميَّاهـــا، وَأزْجُـــره بـــاللّين طَـــوْرًا، وبالتَّشْـــديدِ تـــارات

حتّـــى تَغَنّـــى، ومـــا تـــمَّ الـــثّلاثُ لـــه حلـــو الشَّـــمائِلِ، محمـــودُ السَّـــجياتِ

" ياليْـــتَ حَظّـــيَ مـــن مـــالي ومـــن ولـــدي أنِّـــي أجـــالسُ لبْنَـــى بالعَشِـــيّاتِ"[1]

لقد رفض النّواسيّ التّلطي وراء السّواتر والأقنعة، وأراد أن يسمي الأشياء بمسمياتها دون أن يستخدم اللغة المضمرة أو المغلّفة بسياج القيم المتداولة لقلب الحقائق [2]، فتراه يعرض فتن زمانه بصدقٍ وشفافية طالت المجتمع والخليفة الذي يناط المجتمع بصلاحه أو فساده ، والأمين كان مِغناجَ الهوى، عاشقًا للخمر والسّمر، مشغوفًا بالغلمان[3]، لا يحول بينه وبين ما تشتهيه نفسه أو يصبو إليه هواه قرابةٌ أو حاشيةٌ أو بطانة [4].

ولم تجرَّ عليه صحبته لأبي نواس سوى زيادة في سوء السيرة يقول الطرطوشي: " وقد كانت صحبةُ محمد الأمين لذلك الرّجلِ الخليعِ والماجنِ الرّقيعِ أبي نواس الشّاعر، وصمةً عظيمةً عليه،

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 174.

[2] ينظر: بزيع، شوقي: **البطولة المضادة في شعر أبي نواس**، ص 100.

[3] ينظر: اليعقوبي: **مشاكلة النّاس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر**، تح: محمد كمال الدين عزّ الدين، عالم الكتب، القاهرة، ص 38.

[4] ينظر: رفاعي، أحمد فريد: **عصر المأمون**، ط 4، م1، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1928 م، ص 197.

أوهنَ بها سُلطانَه، ووضعَ عند الخاص والعام قدرَه، وأطلقَ أَلسنَة الخَلق بالشّتْم والثّناءِ القبيحِ على نَفسِه "[1].

فلا ريب إذن أن تستفحل نزعةُ المجون في عهد الأمين، وأن تغلب على المجتمع صفات اللهو والعبث، والغناء والطرب، والسّكر والتّشبيب بالقيان والغلمان، فكأنّ المجتمع أخذ يتخلى شيئًا فشيئًا عن أساسيات المجتمع الإسلامي، وأخذ يتشرّب صفات المجتمعات الدّخيلة التي كانت تضع نصب أعينها هدف هزّ الأمة الإسلامية وزعزعة أركانها [2]. فهل أرضى ذاك الحال أبا نواس ؟ وهل تحقق ما كان يطمح إليه من حرية اجتماعية وفنية – إن جاز التعبير – ؟ وهل استطاع إقناع ساسة عصره بأفكاره التمردية، فرفعوا عنه القيود وأطلقوا له العنان ؟؟ وكيف لشاعرٍ ثائر لا يقف عند حدود المألوف أن يسلم من ضغائن الغِلِّ والأذى، وأن لا يسعى الوشاة بينه وبين معشوقه ولا سيّما إن كان المعشوق الخليفة، عاشقَ الملّذات؟

فمخطئٌ منْ يظنّ أنّ الحياة قد ابتسمت للنّواسيّ وهو في كنف الأمين؛ ومخطئٌ من يظن أنّ أبا نواس كان مفتتنًا بسياسة عصره فينعم في أهوائه دون عقاب، وقد يغالي من يظن أن روح الثّورة خبت عند النواسيّ، وأنّه بات من خاصة رجال الخليفة فلن يرى بؤسًا أو ظلمًا أو حاجة؛ تارة بتهمة الكفر والزندقة، وتارة بسبب تغنيه بالخمر، وتارة أخرى بسبب عشقه الممنوع [3]، وفي كلّ مرة كان النواسيّ يقاسي ظلمة الوحدة، ووحشة الاغتراب وخطر الموت. فكان لا يفتأ يستجدي ويستعطف ويتظاهر بالطاعة مضمرًا التّمرد، يبطن سخريته في سياق مدحه، رافضًا الرّياء والنّفاق والكذب؛ فالأمين نفسه كان متحللاً من الكثير من القيم والأحكام، وكان يقبل على الخمر ويشجع من يشربها[4]، أولا يتضح ذلك في قول أبي نواس:

---

[1] الطرطوشي، محمد بن الوليد الفهري: **سراج الملوك**، تح: محمد فتحي أبو بكر، تق: شوقي ضيف، ط1، م2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994 م،

[2] ينظر: رشيد، مؤيّد فاضل: **شبهات حول العصر العباسي الأول**، ط1، دار و الوفاء للطباعة و النشر، المنصورة، 1986، ص 18، 19.

[3] ينظر: ابن منظور: **أبو نواس**، ص 126، 127. و ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج 6، ص 295. والطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج 7، ص 107.

[4] ينظر: الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والغتراب والتمرد**، ص 163، 144.

{ الكامل }

مَلِــــكٌ أَغــــرُّ إذا شَــــرِبْتَ بِوَجْهِــــهِ ... لَــــم يعْـــدُكَ التَبجيــــلُ والإعظــــامُ[1]

وقوله:

{ الطويل }

ولاحٍ لَحــــانِي كَــــيْ يجــــيءَ ببدعــــةٍ ... وتلــــكَ لَعَمْــــري خُطَّــــةٌ لا أُطيقُهــــا

لَحــانيَ كــيْ لا أشــربَ الــرّاحَ، إنّهــا ... تُــوَرّثُ وزرًا فادحًــا مَــنْ يــذوقُها

فمــا زادنــي اللّاحُــون إلا لجاجــةً ... عليهــا، لأَنّــي مــا حَييــتُ رفيقُهــا

أأرفُضُــها واللهُ لــم يــرْفُضِ اسْــمَها ... وهــذا أميــر المــؤمنين صــديقها[2]

ولكنّه على الرّغم من ذلك منع عنها أبا نواس، وأمر بحبسه، فما كان من الشاعر إلّا أن قال مستعطفًا:

{ الطويل }

تَحَسَّـــنَتِ الـــدّنيا بِحُسْـــنِ خَليفَـــةٍ ... هــو البَــدْرُ إلّا أنَّــه الــدَّهرَ مُقمِــرُ

إمــامٌ يَســوسُ النَّــاس سَــبعينَ حجَّــةً ... عَلَيْــه لــه منهــا لِبــاسٌ ومِئْــزَرُ

يُشــيرُ إليــهِ الجــودُ مــن وَجْناتِــه ... ويُنْظَــرُ مــنْ أَعطافِــهِ حيــثُ يُنْظَــرُ

أيــا خَيْــرَ مَــأْمولٍ يُرجّــى أنــا امــرؤٌ ... رَهــينٌ أسـيرٌ فــي سـجونِكَ مُقْفِــرُ

مضــى أشــهرٌ لــي مــذْ حُبســت ثَلاثَــةٌ ... كــأنّي قــد أَذْنَبْــتُ مــا لــيس يغْفَــرُ

فــإن كنــتُ لَــمْ أُذنــب ففــيمَ تَعَقُّبــي ... إنْ كنــتُ ذا ذَنْــبٍ فَعفــوكَ أَكْثَــرُ[3]

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 408.

[2] **المصدر السابق**: ص 9.

[3] ينظر: الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج7، ص 107، 108.

وقد وردت هذه الأبيات في رواية الديوان، ص 426، بقول أبي نواس :

{ الطويل }

تَحسّنَتِ الدُّنيا بِوجْهِ خَليفَةٍ ... هو الصُّبحُ إلّا أَنَّه الدّهرَ مُسْفِرُ

إمامٌ يَسوسُ المُلكَ تسعينَ حجَّةً ... عليه له منه رداءٌ ومِئْزَرُ

يُشير إليه الجودُ من وجناتِهِ ... ويُنْظَرُ في أعطافِهِ حين يَنْظُرُ

مَضَتْ لي شِهورٌ مِذْ حُبستُ ثَلاثةٌ ... كأنّي قد أذْنَبْتُ ما لَيْسَ يُغْفَرُ

فإنْ كنتُ لم أذنِبْ ففيمَ حَبَسْتَني ... وإنْ كنتُ ذا ذنبٍ فعفوكَ أَكْبَرُ

لقد رفض الشاعر سياسة الخليفة تكميم الأفواه، فلجأ إلى السخرية المبطّنة ليواجه سلطان القمع والإرهاب الفكري المسلّط عليه [1]، فانظر إلى قوله:

{ الخفيف }

أيّهـــا الراحـــان بـــاللوم لومـــا لا أذوق الـــــراح إلّا شـــــميما

نـــالني بـــالملام فيهـــا إمـــام لا أرى لـــي خلافـــه مســـتقيما

فاصـــرفاها إلـــى ســـواي فـــإنّي لســـت إلا علـــى الحـــديث نـــديما

كبـــر حظـــي منهـــا إذا هـــي دارت أن أراهـــا وأن أشـــمّ النســـيما[2]

وكلّما ضاق عليه الخناق علت وتيرة سخريته، وبات أقرب إلى فضح أساليب السّاسة والكشف عن أقنعتهم، فالشاعر يصرح بخوفه من حصار الأمين له إذ يقول:

{ الخفيف }

غَنِنَـــا بـــالطّلولُ كيـــفَ بَلِينَـــا واسْـــقِنَا نُعْطِـــكَ الثَّـــاءَ الثَّمينَـــا

مـــن سُـــلافٍ كأنَّهـــا كـــلُّ شَـــيءٍ يَتمنّـــى مُخَيَّـــرٌ أنْ يَكونَـــا

وغَـــزالٌ يُـــديرُها بِبنـــانٍ ناعمـــاتٍ يزيـــدُها الغَمْـــزُ لِينَـــا

كلَّمـــا شِـــئْتُ عَلَّنـــي بِرضـــابٍ يَتْـــرُكُ القَلْـــبَ للسّـــرورِ خَـــدينَا

ذاكَ عَـــيْشٌ لـــو دامَ غَيـــرَ أَنّـــي عِفْتُـــهُ مُكْرَهًـــا وَخِفْـــتُ الأَمينَـــا[3]

ويتهكم من حياة الدّعة والرّخاء التي نعمُ بها الخاصة في قصورهم، وأكره الشّاعر ومن شاكله على تركها ظلمًا [4]، إذ يقول:

{ الهزج }

وفـــي الـــدّيوانِ غُـــزلان رمـــتْ أعْينَهـــا مرْضَـــى

رِبِيبَـــاتُ قصُـــورِ الخـــلْ دِ مـــا إنْ تَعْـــرِفُ الغَمْضَـــا

ولا جـــانَبْنَ مُـــذْ كُـــنَّ نَعـــيمَ العَـــيْشِ، والخَفْضَـــا

ويـــرِدُنَ عُـــرِيَ الأمْـــرِ إلـــى أحْـــورَ مُسْتَقْضَـــى

---

[1] ينظر: الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد**، ص 165.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 29.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 30.

[4] ينظر: الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد**، ص 185.

إمـــــــامٍ، ظـــــــالمٍ فـــــــظٍّ فمـــــا قـــــال بـــــه يُرْضَـــــى
إذا مـــــا أوْتَـــــرَ المـــــوُتِ رُمـــــنهمْ عَجَّـــــلَ النَّبْضَـــــا
وإنْ أقْـــــرضَ ذا هـــــذَا نـــــوالًا عَجَّـــــلَ النَّقْضَـــــا[1]

فانظر إلى انقلاب الشاعر على نديمه ونعته إياه بالظّلم والفظاظة، وانظر إلى استهزائه من ميل الخليفة إلى الغلمان وتعلّقه بهم بحيث غدا قدوة للناس، فيقول:

{ مجزوء الرمل }

احمْـــــدُوا اللهَ كثيـــــرًا يـــــا جميـــــعَ المســـــلمينَا
ثـــــمَّ قولـــــوا لا تَملُّـــــوا ربَّنـــــا أَبْـــــقِ الأَمينَـــــا
صَـــــبَّرَ الخِصـــــيانَ حتّـــــى جعـــــلَ التَّصـــــبيرَ دينَـــــا
فاقْتـــــدَى النّـــــاسُ جَميعًـــــا بـــــأَميرِ المُؤمنينَـــــا[2]

ولا غرو أنّ استهداف الأمين لأبي نواس، وسعيه لتقييد حريّته، والحدّ من طلاقة الأفكار التّمرّدية في أشعاره لم تكن سوى محاولةٍ من الخليفة لإنقاذ ملكه، وإقناع من كان يسعى لعزله أنّ الخلافة تترفع عن الاقتران بالعابثين المتهتكين، وتنأى عن الشّعراء الماجنين، ولذا سيطرت نبرة الحزن على قول أبي نواس:

{ الكامل }

يـــا دارُ مـــا فَعَلَـــتْ بِـــكِ الأَيّـــامُ ضـــامَتْكِ والأَيـــامُ لَـــيْسَ تُضـــامُ
عَـــرَمَ الزَّمـــانُ علـــى الـــذين عهِـــدْتُهُمْ بـــكِ قَـــاطنين، وللزَّمـــانِ عُـــرامُ
أيّـــامَ لا أغْشَـــى لأهْلِـــكِ منْـــزِلًا إلّا مُراقبـــةً، علـــيَّ ظـــلامُ
ولقـــد نَهـــزْتُ مـــع الغُـــواةِ بـــدلُوهِمْ وأسَـــمْتُ ســـرْحَ اللَّهْـــوِ حيـــثُ أســـامُوا
وبلغْـــتُ مـــا بلـــغَ امْـــرُؤٌ بشـــبابِه فـــإذا عُصَـــارَة كـــلِّ ذاكَ أَثـــامُ[3]

فقد تغير حال الشاعر، وبات نزيلًا للسّجون بعد أن كان نديم الخليفة الّذي لا يطيقُ فراقه، وعانى ثقل الحديد ووهن الجسد، وضاقت به الدّنيا فلم يجدْ ملاذًا [4].

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 717.
[2] **المصدر السابق**: ص 554.
[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 407، 408.
[4] ينظر: **المصدر السابق**، ص 424، 517.

ما من شكٍّ أن علاقة أبي نواس بالأمين كانت في غاية التّعقيد والتّشابك؛ فقد أوصدت الأبواب في وجه النديم الحميم بعد أن كانت مفتوحة على مصراعيها، وغدا النّواسيّ الذي كان يتغنى بالأمس قائلًا:

{ مجزوء الكامل }

اشـــــرَبْ – فُـــــدِيتَ – عَلانِيَـــــهْ	**أمُّ التَّســـــــــــــتُّرِ زانِيَـــــــــهْ**
اشـــــرَبْ فَـــــديتُكَ، واســــــقِني	**حتّـــــــــى أنـــــــامَ مكانِيَـــــــهْ**
لا تَقْـــــــــــنَعَنَّ بِسَـــــــــــكْرَةٍ	**حتّـــــــــى تَعـــــــودَ بثانِيَـــــــهْ**
ودَع التّســـــــــــتر والرِّيَـــــــــا	**ءَ، فمَـــــا هُمـــــا مـــــن شـــــانِيَهْ[1]**

غدا مقموعًا مكبوتًا يؤرّقه الخوف من السّجن، ويضني نفسه في البحث عن وسائل يستعطف بها الخليفة ووزيره الفضل، فتارةً بعظم ذنبه قائلًا:

{ الوافر }

حَلَفْـــــتُ بِـــــرَبِّ يَـــــسٍ وطَـــــه	**وأمِّ الآي والـــــــــذّكْرِ الحَكـــــــــيمِ**
لــــئِنْ أَصْـــبَحْتُ ذا جُـــرْمٍ عَظـــيمٍ	**لقـــد أصْـــبَحْتَ ذا عَفـــوٍ كَـــريمِ[2]**

وتارة يدّعي أنّه اتعظ من سجنه فلن يقع في غلطٍ أو سهوٍ يدفع أصحاب السّلطة إلى الرّيبة منه، إذ يقول:

{ الكامل }

يـــا فَضْـــلُ قَـــدْ أَوْدَعتَنـــي عِظَـــةً	**مـــا بعـــدها غلَـــطٌ، ولا سَـــهْوُ**
وبرِئْـــــتُ ممّـــــا تسْـــــتَريبُ بِـــــهِ	**فلْيَهننـــــي بـــــكَ ذلـــــك البَـــــرْوُ**
واقْبَـــلْ أبـــا العبـــاسِ عُـــذريَ مِـــنْ	**لفْـــــظِ الصَّـــــبيِّ مذاقُـــــه حُلْـــــوُ**
إنْ ضـــاقَ عَفْـــوَكَ وهـــو ذو سَـــعَةٍ	**عنّـــــي فلـــــيسَ بواســـــعٍ عَفْـــــوُ**
أنْــتَ الّــذي ألِــفَ السَّــماحَ فمــا	**غيْـــرُ السَّـــماحِ لقلبِـــه لَهْـــوُ**
تَغْـــدُو جَميـــعَ العِـــرْضِ وافِـــرهُ	**والمـــالُ مُعْتَصـــرُ النَّـــوى نِضـــوُ[3]**

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 136.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 458.

[3]**المصدر السابق**: ص 458.

فانظر إلى اللغة الرّقيقة التي اتكأ عليها أبو نواس ليبعد شكّ الفضل عنه، ويشعره بصدق توبته، وبصفاء نيّته في طلب العفو، إنها لغة مغايرة لمبدأ الشاعر الذي اختار طريق المواجهة وقرَرَ الخروج على المألوف، ولكنّها لغة مطواعة لمبتدعها توافق الحالة الشعورية التي تعتريه، وتخضع للسخرية المقنّعة التي يوردها في قصائده بقصد الكشف عن الوجه الآخر لبعض سياسي الدولة، وفي مقدمتهم الخليفة الذي كان يشرب الخمر ويقوم بالأحكام والسنن، يقول:

{ المديد }

تَضْحَكُ الدُّنيا إلى مَلِكٍ ... قامَ بالأحكامِ والسُّنَنِ

يا أمينَ اللهِ عِشْ أَبَدًا ... فإذا أنت أفْنَيْتَنَا فَكُنِ

كيف تسخو النفسُ عنك، وقد ... قمتَ بالغالي منَ الثّمنِ[1]

ويقول:

{ مجزوء الكامل }

أضْحى الإمامُ مُحمدٌ ... للدّينِ نُورًا يُقْتَبَسْ

ورث الخلافة خمسة ... وبخَيْرِ سادسهمْ سَدَسْ

تبكي البدور لضحكه ... السَّيفُ يضحكُ إنْ عَبَسْ[2]

فأي سيف هذا الذي قصده أبو نواس إن كان الأمين منهمكًا في لهوه وعبثه، مغاليًا في قصفه واستهتاره، ولم يخرج بغزوة ولم يحقق انتصارا ؟ بل أي قنابل وقنا تلك التي عناها في قوله:

{ الطويل }

لقد أَلْبَسَ اللهُ السَّلامَةَ أُمَّةً ... يكونُ أَميرُ المؤمنينَ أَمينَهَا

حَميْتَ رَحاهَا بالقنابلِ والقَنَا ... وأبْقَيْتَ دنْياها عليها ودينَها

يراكَ بنو المنْصورِ أولادهمُ بها ... وما أضمروا غير التي يظهرونها[3]؟

لعلّها أسلحةٌ كانت تتصدّى لكلمة الشاعر، وتسعى إلى كتم صوته الذي كان يحاول فضح ما تخفيه حُجُب القصور عن عيون الشعب، أولا يعزز ذلك قول الشاعر:

---

[1] [1] أبو نواس: **الديوان**، ص 413.

[2] **المصدر السابق** : ص 417.

[3] **المصدر السابق** : ص 414.

{ الكامل }

أَلَسْتَ أَمينَ اللهِ سَيْفُكَ نقْمَةٌ إذا ماق يوْمًا في خِلافِكَ مائقُ

فكيفَ بإسماعيلَ يسْلَمُ مثْلُهُ عليك، ولم يسْلَمْ عليك منافقُ

أُعيذكَ بالرَّحمنِ مِنْ شَرِّ كاتبٍ لَهُ قَلَمٌ زانٍ، وآخر سارقُ[1]

فلا يعدو سيف الأمين عن كونه سلاحًا يُشْهرُ في وجه كلِّ مخالفٍ للخليفَة في القول أو الفعل، ولكنَّه مُعمىً عن كاتب سرِّه (إسماعيل بن صبيح) الذي بدا وقلمه في غاية الفساد، فهو زانٍ لا يؤَمَّنُ على نساءِ سيِّدِه، وسارقٌ يهوى اختلاس أموال الدولة [2]، وكان قد أنشأ مزرعة بخمسين ألف دينار من خزينة المسلمين، وأحسن سقايتها، فافتضح أبو نواس خيانته قائلًا:

{ الطويل }

بَنَيْتَ بِما خُنْتَ الأَميرَ سِقايةً فلا شَرِبُوا إلّا أمرَّ مِنَ الصَّبْرِ[3]

فكيف يكون له هذا الموضع القريب من الخليفة، وكيف يتستر الأمين على فجراته على الرغم من علمه بها، يقول:

{ الطويل }

فإنْ يُسِّرَ إسماعيلُ في فَجَراتِهِ فليس أميرُ المؤمنين بنائِمِ[4]

إن النواسيّ إذ يهجو (إسماعيل بن صبيح) لقاصد هجاء الخليفة نفسه، ففساد كاتبه مردود لفساده وسوء إدارته، وتروي بعض كتب التاريخ حادثة تبرز عبث الأمين بشؤون دولته ورعيته حين عزم النّظر في أمورهم في ليلة سكر اصطبح فيها الخمر مع ندمائه ومغنيه " فحضر كتاب الدواوين بأكثر ما في دواوينهم، وأقبل إسماعيل بن صبيح يقرأ عليهم، ومحمد يأمر وينهى بأحسن أمرٍ ونهي وأشده، وربما شاور من حوله بالشّيء بعد الشّيء، وكلَّما وقّع في شَيء وُضِعَ بالقرب من إسماعيل بن صبيح، ورُفعتِ المَوائِدُ، ودَعا بالنّبيذِ، وكان لا يشرَبُ في القدح أقل من رطل واحد في تميم العمل، ثم دعا بخادم له، فناجاه بشيءٍ أَسرَّهُ إليه فمضى ثم عاد، فلما رآه نهض واستنهض

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 513.

[2] ينظر: شلق، علي: **أبو نواس بين التخطي والالتزام**، ص 407، 409.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 514.

[4] **المصدر السابق**: ص 514.

سليم بن علي وإبراهيم بن المهدي، فما مشوا عَشرة أَذْرع حتى أقبلَ جَماعة من النّفاطين فضربوا تلك الكُتبَ والأعمالَ بالنّار، وكان الفضل بن الربيع حاضرًا، فلحق محمدًا وقد شَقَّ ثوبه وهو يقول: اللهَ اللهَ أعدلَ مِنْ أَنْ يَرضى أَنْ يكونَ مُدبّرَ أمورَ أُمَّةِ نبيِّهِ محمد صلى الله عليه وسلم مَنْ هذه أفعاله ! ومحمد يَضْحَكُ ولا يُنْكِر على الفضل قوله " [1].

فأيّ استهتارٍ بأمورِ الحكم وقضايا الشّعبِ أَعظَم من ذاك الاستهتار ؟! فلا ريب إذن أن يستوحِشَ النّاسِ من الأَمين وأن ينحرفوا عنه، وأن يميلوا إلى أخيه المأمون لحسن سيرته وطيب ذكره [2].

وعلى الرغم مما تمتّع به أبو نواس من ذكاءٍ ودهاءٍ مكّناه من انتقاد سياسيي عصره وكشف أستار الزّيف والنّفاق عنهم، فإنه كان سلاحًا في يدِ الفتنة التي اجتاحتْ أحداثُها بغداد في أواخر عصر الأمين، إذ لم يعد باستطاعة الخليفة التّغاضي عن زلاتِ أبي نواس و أخطائه، ولم يعد قادرًا على أن يصمّ أُذنيه عمّا يسمعه من أذًى لحق به لقربه منه، وربما ضاق ذرعًا بجرأته المعلنة التي تطاول فيها على الخليفة ذاته وساواه بلئام الناس وسفهائهم، إذ يقول:

{ الطويل }

ومُسْتَعْبِدٍ إخوانَهُ بِثرائِهِ ... لبستُ لَهُ كِبْرًا أبرَّ على الكِبْرِ
إذا ضمَّني يوْمًا وإيَّاهُ محْفِلٌ ... رأى جانبي وعْرًا يزيدُ على الوعْرِ
أخالفُه في شكْلِه، وأجُرُّهُ ... على المنْطِقِ المَنْزورِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ
فواللهِ لا يبدي لسانِي لَجَاجَةً ... إلى أحدٍ حتّى أُغَيَّبَ في القَبْرِ
فلا تطْمعن في ذاكَ منّيَ سُوقَةٌ ... ولا مَلِكَ الدُّنيا المُحَجَّبَ في القصْرِ
فلو لمْ أرِثْ فخْرًا لكانت صِيانتي ... فَمي عن سُؤالِ النَّاسِ حسْبي من الفخْرِ[3]

ورمى به في سياق غزله الإباحيّ فقال:

{ المنسرح }

إنّي لَصَبٌّ لا أَقولُ بِمَنْ ... أخافُ من لا يخافُ مِنْ أَحَدِ

---

[1] الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، **الوزراء والكتاب**،تح: مصطفى السقط،وإبراهيم الأبياري،وعبد الحفيظ الشلبي،ط1،مطبعة البابي الحلبي وأولاده،القاهرة،1938، ص 300.

[2] ينظر: أبو نواس: **الديوان**، ، ص 292.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 597.

إذا تفكَّـــرْتُ فـــي هـــوايَ لـــه مسســـتُ رأســـي طـــارَ عـــن جَسَـــدِي؟!
إنّـــي علـــى مـــا ذكـــرتُ مـــن فـــرقٍ لآمـــــلٌ أنْ أنالَــــــهُ بيـــــدِي[1]

وقال:

{ مجزوء الكامل }

يـــا قاتـــلَ الرَّجـــلِ البَـــريءِ وغَاصِـــبًا عِـــزَّ المُلـــوكْ
كيـــفَ السَّـــبيلُ لِلَـــثْمِ ســـا لفتَيْـــكَ أَوْ تَقْبيـــلِ فِيـــكْ
اللهُ يَعْلَـــــمُ أَنّنــــي أَهـــوى هَـــواكَ وأَشْـــتَهيكْ
وأصـــدُّ عنْـــكَ حـــذارِ أَنْ تَقَـــعَ الظُّنـــونُ عَلـــيَّ فيـــكْ
إنّـــي أهابُـــكَ أنْ أبـــو حَ بمـــا أجـــنُّ وأَتقيـــكْ[2]

حيث يظهر النّواسيّ الخليفة في صورة جبّار لا يرعوي عن البطش بأيّ رجل بريء، وقد بثت سطوتُه الرّعبَ في قلب الشّاعر فلم يتمكن من البوحِ بعظم حبِّه له، ولربّما ودّ أبو نواس لو كان الخليفة رجلًا عاديًا يسامره ويشتهيه دون أن يتحسّب لظنٍ أو جبروت.

لقد كان أبو نواس " يحاول بحيلته وذكائه أن يكسر دائرة الاستبداد عبر اختراقات مبتكره [3]، فامتطى صهوة خمرته ليوجه نقدًا لاذعًا لأرباب السلطة وليفصحَ من خلال الصور المتناقضة عن الحقائق الخفية لفساد العصر وسادته، يقول:

{ مجزو الرمل }

اسْـــقِني، واسْـــقِ ذفافَـــهْ يـــا أبـــا الحـــرّ سُـــلافَهْ
واسْـــقِ رأسَ اللَّهـــوِ والظَّـــرْ فِ علـــى يُمْـــنِ العِيافَـــهْ
قهـــوةً ذاتَ اخْتيـــالِ ســـلمتْ مـــن كـــلِّ آفَـــهْ
إنَّ غيْـــري مَـــنْ قَلاهـــا لرجـــاءٍ أوْ مَخافَـــهْ
هاتِهـــا جَهـــرًا، ودَعْنـــي مِـــنْ أحاديـــثِ خُرافَـــهْ
ضـــاع بَـــلْ ذَلَّ الـــذي عَـــنَّ فَ فيهـــا يـــا ذُفَافَـــهْ
مثْلَمَـــا ذَلّـــتْ وَضـــاعَتْ بَعْـــدَ هـــارونَ الخِلافَـــهْ[4]

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 425.
[2] ابن منظور: **أبو نواس** ، ص 197.
[3] بزيغ، شوقي: **البطوله المضادة في شعر أبي نواس**، ص 99.
[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 96.

فالشاعر يعلن حربًا لا مجال فيها للتراجع، وينسف ما كان بينه وبين الأمين، بل إنه يدعو عليه بالضّياع والذّل، أو ليس هو الذي أضاع خلافة أبيه وأفقدها عزّها ؟! أو ليس هو الذي بدأ الحرب مع الشاعر إذ ضَيّق الخناق عليه ؟! أو ليس هو الذي حرّض رعيته على الزّيف والرّياء إذ حَلّلَ لنفسه اللّهوَ والملذات وحرمها على غيره ؟! ولكن هل كان حال الخلافة في عهد هارون بأصلح من حالها في عهد الأمين ؟ وهل أتيح للشّاعر فيها حرية افتقدها في عهد ولده ؟! وإن لم يكن ذلك ، أولا يدعو موقف الشاعر إلى تأملٍ قد يقود إلى الاستغراب؟!

فلم تكن سيرة الرّشيد على الرغم ممّا دسّ فيها من تشويه لصورة الخليفة العادل العابد مماثلةً لصورة الأمين التي تناقلتها كتب التاريخ التي أبدى بعضها تحفظًا على نقل أخباره بِحُجَة سوئِه وقلّة ورعِه [1]. ولم تكن صلة النّواسي بالرّشيد مماثلةً لصلته بولده؛ إذ نال أبو نواس مكانة وقربًا من الأمين جعلته يرقى إلى مصافِ النخبة [2]، ولا سيّما أنّه كان مظهرًا للأمين محبة ومودة قادته إلى طاعة الخليفة في أوامره ونواهيه، يقول:

{ الكامل }

أَطِــعْ الخَليفَــةَ، واعْــصِ ذا عــزْفِ ... وتَــنَحَ عــن طَــرَبٍ، وعــن قَصْــفِ

عـــينُ الخَليفَـــةِ بـــي مُوَكَّلَـــةٌ ... عقَـــدَ الحِـــذَارُ بطرْفِـــهِ طرْفِـــي

صــــحَّتْ عَلانِيَتِـــي لَـــهُ، وأرى ... دِيــنَ الضَّــميرِ لَــهُ علــى حَــرْفِ

فلَـــئنْ وَعَـــدْتُكَ ترْكَهَـــا عِـــدَةً ... إنّـــي عَليْـــكَ لَخـــائِفٌ خُلْفِـــي

دارَتْ فَواقِعَهـــــــا فَنـــــــاظِرَهُ ... مُتَصَّـــنِعٌ بِخِـــلافِ مـــا يُخْفِـــي[3]

ولكنها طاعةٌ مشوبةٌ بالحَذَر، ومرهونةٌ بالإجبار، فهل ساورَ أبو نواس شكٌّ بأنه سيغدر يومًا ما؟! بل هل يطلق على تبدل الأحوال بين الأمين وشاعره غَدر ؟!

لا شكَّ أنَّ النّواسيَّ قد وقع فريسة للحرب الإعلامية المعلنة بين الأمين وأخيه المأمون، حيث بدا الشاعر سيفًا مسلطًا على الخليفة فكان لا بدَّ من إبعاده وتقييده، وهذا أمر لم يكنْ يرمي إليه الأمير، ولكنَّ أوراق قوته بدأت تتساقط، وعُرى جبروته بدأت بالتّمزق، وأضحت خلافته على شفير الهاوية، كما أضحى النّواسيّ خطرًا لا سبيبل للخلاص منه سوى بالسّجن، ولم يكن بيد الشّاعر

---

[1] ينظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص 295.

[2] ينظر: ابن منظور: **أبو نواس**، ص 102، 103.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 66.

سوى الصّراخ في وجه الظلم، فقد تمكّن اليأس منه، ولم تلح له بارقة أمل بالنجاة إلّا بدخول المأمون بغداد [1] ، فإذا به يقول:

{ الكامل }

يـــــا ربّ إنّ القـــــومَ قَـــــدْ ظَلَمـــــوني ... وبـــــلا اقتـــــرافِ مُعَطِّـــــلٍ حَبَســـــونِي

وإلـــــى الجحُـــــودِ ومـــــا عليـــــه طـــــويَّتي ... ربّـــــي إليـــــكَ بِكَـــــذِبِهم نَسَـــــبونِي

مـــــا كـــــانَ إلا الجَـــــرْيُ فـــــي مَيْـــــدانِهم ... فـــــي كـــــلِّ خِـــــزْيٍ، والمجانَـــــةُ دينِـــــي

أمـــــا الأمـــــينُ فَلَسْـــــتُ أرجـــــو دَفْعَـــــهُ ... عَنّـــــي فَمَـــــن لَـــــي اليـــــومَ بالمـــــأَمْونِ؟![2]

ولكنّ قدر النّواسيّ ساقه إلى الحريّة قبل أن تدخل جيوش المأمون بغداد [3]، فتُكثِر فيها الهدم والتّحريق والتّخريب، وتدمّر البلاد، وتقوّض من شأن الخليفة الّذي انفضَّ عنه طلّاب الجاه، وأرباب المراتب، وأصحاب الأموال والودائع والذّخائر، وحتّى الشّعراء، وفي مقدمتهم أبو نواسي الذي بات منشغلًا عن كارثة عصره بِلَهْوِه ومُدامه، يعبّ كأسًا ويسكب أخرى، ويقارع الأقداح بدلّاً من السّيوف، ويترامى بالرّيحان بدلًا من النّبل والرّماح، ويستبدل صوت المعازف وتمايل الخلّان بوطيس الوغى وسفك الدّماء [4]، فيقول:

{ الهزج }

إذا عَبَّـــــا أبـــــو الهيجـــــا ... ءِ للهيجـــــاءِ فُرْســـــانَا

وســـــارتْ رايـــــةُ المـــــوتِ ... أمـــــامَ الشَّـــــيْخِ إعْلانَـــــا

وشَـــــبَّت حربُهـــــا واشْـــــتَ ... علـــــتْ تُلْهِـــــبُ نِيرانَـــــا

وأبـــــدتْ لوعـــــةَ الوقْـــــعِ ... ةِ أَضْراسًـــــا وأَسْـــــنانَا

جعَلْنَـــــا القـــــوسَ أيْـــــدينَا ... ونُبْـــــلَ القـــــوسِ سَوســـــانَا

فغـــــادَتْ حَرْبُنـــــا أُنْسًـــــا ... وعـــــدنا نحـــــن خلّانَـــــا

بفتيـــــانٍ يـــــرونَ القَـــــتْ ... لَ فـــــي اللَّـــــذَةِ قُربانَـــــا

إذا مـــــا ضـــــربوا الطّبْـــــلَ ... ضَـــــربنا نَحْـــــنُ عيـــــدانَا

---

[1] ينظر: صدقي، عبد الرحمن: **أبو نواس**، ص 232.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 596.

[3] ينظر: الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج 7، ص 110.

[4] ينظر: صدقي، عبد الرحمن: **أبو نواس**، ص 246، 247.

وأحجـــــــــــارُ المجـــــــــــانيقِ   لنــــــــا تفّـــــــاحُ لبنانَــــــــا
ومَنْشـــــا حَرْبنــــــا ســــــاقٍ   ســــــبا خمـــــرًا فَسَـــــقّانَا
يحــــثُّ الكـــأْسَ كَــــيْ تَلْـــح   ق أُخرانــــــــا بأُولانَـــــــــا
فهــــــذي الحـــــربُ لا حــــربٌ   تغـــــمّ النّـــــاسَ عـــــدوانَا
بهـــــا نَقْـــــتلهم ثُـــــمَّ   بهـــــا ننشـــــرُ قَتلانَـــــا[1]

وتخاذل أبو نواس عن نُصرة الأمين، بل واعترف بجبْنه وضعفه، و ادّعى أنّه لا يصلح للحرب والقتال، وأبدى استعداده للفرارِ والهرب متى سَنحت له الفرصة، يقول:

{ المنسرح }

يــا بِشْــرُ مــا لــي والسّــيفِ والحَــرْبِ   وإنَّ نَجْمِـــي للَّهْـــوِ والطَّـــربِ
فـــلا تثِـــقْ بِـــي فـــإنني رجـــلٌ   أكـــعٌّ عنـــد اللّقـــاء والطَّلَـــبِ
وإنْ رأيْـــت الشُّـــراة قـــد طلعُـــوا   أَلْجَمْـتُ مُهْـرِي مـن جانِـبِ الـذَّنَبِ
ولســـتُ أدري مـــا السَّـــاعدان، ولا الــــ   تُّـرْسُ، ومــا بيْضَــةٌ مــن اللَّبَــبِ
هَمِّـــي إذا مـــا حـــروبُهم غلبـــتْ   أيُّ الطَّـــريقيْن لِـــي إلـــى الهَـــربِ
لـــو كـــان قصـــفٌ، وشـــربُ صـــافيةٍ   مـع كـلّ خـوْدٍ تختـالُ فـي السُّـلُبِ
والنَّـــوْمُ عنْـــدَ الفتـــاةِ أرشـــفها   وجـــدْتني ثَـــمَّ فـــارسَ العـــربِ[2]

فأبو نواس منشغلٌ بعالمه الخاص حيث اللّهو والطرب، والعيش الوادِع، واللّذة التي لا تنتهي، فهذا ميدانه ومعترك بطولته، وهي بطولةٌ مناقضةٌ تمامًا لما سعى غيره من الشّعراء إظهاره في قصائدهم من قدرتهم على الثّبات، وصلابتهم عند مواجهة الأعداء، وإقدامهم في ساحة المعركة، وخبرتهم بأساليب القتال.

وما عساه يفعل إن كان الخليفة على رأس اللائحة السّوداء لجيش المأمون ؟ وكيف لرجل يعشق حياة اللّهو والملّذات أن يفتدي الخليفة بنفسه وقد ضاق عليه الخِناق واشتدّ به الأَمر، وبات أصدقاؤه بالأمس أعداءه اليوم، وأمسى مادحوه قادحيه بعد موته، وأخذوا يتسابقون إلى ذمّه والتّشنيع فيه وتعداد مثالبه للتّقرب من الغالب[3] ؟ ولكنّ النواسيّ آثر الانسحاب وتجنب هموم السياسة،

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 198.
[2] **المصدر السابق: الديوان**، ص 212.
[3] ينظر: صدقي، عبد الرحمن: **أبو نواس**، ص 251.

والتقاعس عن فتنة ربّما لن تجرّ عليه سوى السّجن والاختناق، فبكى فراق الأمين بألم يجسد اغترابه بعده، فقال:

{ الطويل }

طـوى المـوتُ مـا بَيْنـي وبـينَ مُحمّـدٍ	**ولـيْسَ لمـا تطـوي المَنِيَـةَ ناشِـرُ**
فـلا وصْـلَ إلّا عَبْـرَةٌ تسْـتَديمُها	**أحاديـثُ نفْـسٍ مـا لَهـا الـدّهْرَ ذاكِـرُ**
وكنـتُ عليـهِ أَحْـذَرُ المـوت وحْـدَهُ	**فَلَـمْ يبْـقَ لـي شـيءٌ عليـه أحَـاذرُ**
لـئن عمـرَتْ دُورٌ بمَـنْ لا أَودُّه	**فقـدْ عُمـرت ممَّـن أحـبُّ المَقـابِرُ**[1]

فهو إذ يبكي الأمين يبكي نديمًا عاش معه حياة حافلة بالصفاء والمودّة والمحبّة، وعشق للجمال على الرغم من كل ما كان فيه من منغصات. وقد أقام النّواسيّ بينه وبين الدّهر حربًا كانت الغلبة فيها للدّهر الذي أصاب ثأره من الشّاعر حين قبضَ معشوقَه ورفيقَ سمَرِه [2]. يقول:

{ الوافر }

أُعـزِّي – يـا محمـد – عنْـكَ نَفْسـي	**معـاذَ اللهِ والمِـنَنِ الجِسـامِ**
فهـلَّا مـاتَ قـومٌ لـم يموتُـوا	**ودُوفِـعَ عنْـكَ لـي أجَـلُ الحِمَـامِ**
كـأنَّ الـدَّهْرَ صـادف منـك ثـأْرًا	**أو اسْتَشْـفَى بِهُلكِـكَ مـن سَـقامِ**[3]

وفي هذا انعكاس لمتانة العلاقة التي جمعت النواسيّ بالأمين، على الرّغم ممّا تَخَلّلها من احتجاجٍ وتمرد، وأصوات رافضة لسياسات أولي الأمر في إدارة الدّولة، ومداراة شؤون الرّعية، فلم يكن الشّاعر ذا منصبٍ سياسيٍ، أو على قدر من الحنكة السياسية فيهجو أوامر السادة ونواهيهم، ولكنّه كان مُعرَّضًا لفسادٍ تفشّى في مجتمعِه، مُدْرَكًا لخطورة فشل سياسةِ حكّامهِ وتسلّط حاشيتهم. فشعر أبي نواس منبرٌ ينقلُ صوتَه ويعبر عن رؤيته، ويتطابق مع أفعالهّ، فقد حاول الشاعر التّخلص من كلّ القيود ليرضي ذاته الثائرة على الكبت، والضّائقة بالزّيف والنّفاق.

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 581.

[2] ينظر: خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد**، ج 1، ص 238، 239.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 578.

المبحث الثاني: الانقلاب المعرفي والمواجهة الاجتماعية في شعر أبي نواس

أولًا : شعوبية أبي نواس .

احتضن العصر العباسي الأول ألوانًا من الثقافات والقوميات والمذاهب التي كانت دعامة الانبعاث الحضاري والتطور الفكري في مجتمع تصارعت فيه انقلاباتٌ ونزاعاتٌ لم تعرف في عصور سابقة. وكانت الشّعوبية في مقدّمة تلك النزاعات، ومن أشدها اتصالًا بذاك التطور[1]، فقد خرج المجتمع العربي من جوّ الاستهانة بكلّ ما هو أعجميّ إلى جوّ سيطرة الأعاجم[2]، وقد عملوا على نخر الأصول العربيّة، وزعزعة أركان حضارتها لإحداث انقلاب اجتماعي جأرت به أصواتُ شعرية تغنّت بأصولها الفارسية، وقدّست أفانين الحضارة الجديدة، ونادت بالمجون والإغراق في الملذّات في مقابل شنّها هجماتٍ عنيفةً على العرب وأصولهم ، وقيمهم وعاداتهم ، وحضارتهم[3].

وقد تفاوتت تلك الأصوات في حدتها تبعًا لمقدار تعصبها لعنصرها ، وغلوّ درجة حقدها على السيادة العربية إلى حد التّطرف ، وتحديدًا عند مقارنة الحياة الفارسيّة بمدينتها وتحضرها ونعومتها من جهة ، بالحياة العربية ببداوتها وشظف عيشها وقسوتها من جهة ثانية .

وعني دارسو الأدب العباسي بشعوبية ذلك العصر، وصنفوها إلى " شعوبية مذهبية " غالت في احتقار العرب وتسفيههم، وسعت إلى إظهارهم بصورة مزرية مثيرة للسخرية و الاستهزاء[4]، فكان شعراء هذه الشعوبيّة " لسانها الغاضب ، وسلاحها المسلول، وأبواقها المفتوحة، ..... يجهرون أحيانًا بالعداء، أو يستترون وراء أقنعة اللغة وكناياتها التي لا تنضب إذا هددهم السّلطان بالويل والنكال"[5]، وانضمّ إلى جانب الشّعوبية المذهبيّة شعوبية أخرى، مثلها التّيار العابث الذي عشق الحياة بكلّ مظاهر الرّقة والنعومة واللهو واللّذة التي شاعت فيها. وقد رُمي كثير من الشعراء

---

[1] ينظر : خليف ، يوسف : **الشعر والحياة الاجتماعية في القرن الثاني الهجري** ، ص 82 .

[2] ينظر : شلق ، علي : **أبو نواس بين التخطي والالتزام** ، ص 369 .

[3] ينظر : الساريسي : عبد الرحمن : **الشعر العربي في العصر العباسي** ، دار حنين للنشر والتوزيع ، ص 85 .

[4] ينظر : خليف ، يوسف : **الشعر والحياة الاجتماعية في القرن الثاني الهجري** ، ص 84 .

[5] قدورة ، زاهية : **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 110 .

المجّان في ذلك العصر بهذا الضرب من الشعوبية بسبب نزعاتهم التجديدية ، وثوراتهم على الحياة الخشنة المجدبة [1].

وكان بشار بن برد النّافخ الأكبر في أبواق الشّعوبية المذهبية ؛ بسخطه وتهكمه على العرب ، إذ إنه كان شاهدًا على ما عاناه بعض الموالي من اضطهاد وعنصرية أيام الأُمويين ، وشهد تغير أوضاعهم وارتفاع منزلتهم في عهد العباسيين ، ومثلت أشعاره تفريغًا لما اعتمل في داخله من حقد وبغض ومرارة ، وعكست سعادته بتدهور أحوال العرب ، وانتصار الفرس عليهم [2].

ويعرض هذا المبحث للانقلاب في المفاهيم الاجتماعية والحضاريّة في شعوبيّة أبي نواس مركزًا على موقفه من :

1- الأنساب العربية .

2- الأطلال .

3- العادات ، والمظاهر الاجتماعية التي شاعت في مجتمعه .

فقد رأى بعض النقاد في تعصب أبي نواس للفرس وحضارتهم، وحطّه من شأن العرب وتقاليدهم شعوبية محضة لا تقل عن شعوبية بشار[3]؛ حيث يورد في أشعاره دعواتٍ صريحة يجاهر فيها ببغضه العرب، ويظهر سخريةً لاذعةً من حياتهم، ووسائل عيشهم، ويدعو إلى التّمتع بالحياة المترفة بحدائقها الغنّاءة، وملذّاتها الوافرة ، وخمرتها التي تسلب الألباب وتتوغل في الروح،وغلمانها أولي الحسن، وجواريها اللّواتي يتمايلن على إيقاع عزف الكؤوس في الخمّارات والديّارات، فلا تقاس الأطلال والدّمن بالبساتين والخمّارات والقصور، و لا ترتقي ألبان العرب إلى الخمرة المعتقة الصّافية، يقول الشاعر:

---

[1] ينظر : عيسى ، حكمت : **شعر المجون في القرن الثاني الهجري بين الإبداع والزندقة والشعوبية** ، ص 213 .

[2] ينظر : خليف ، يوسف : **في الشعر العباسي نحو منهج جديد** ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ص 35 .

[3] ينظر : مندور ، محمد : **النقد المنهجي عند العرب** ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 79 . و حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 90 . و التطاوي ، عبد الله : **القصيدة العربية قصائد واتجاهات** ، ص 139 . و شلق ، علي: **أبو نواس بين التخطي والالتزام** ، ص 378 .

{ الوافر }

دَعِ الأَطـــلالِ تَسْـــفيها الجنـــوُبُ وتبلـــي عَهْـــدَ جِـــدَّتِها الخُطـــوبُ
وخـــلِّ لِراكِـــبِ الوَجْنـــاءِ أَرْضًـــا تَخُـــبُّ بِهـــا النَّجيبـــةُ والنَّجيـــبُ
بِـــلادٌ نَبْتُهـــا عُشَـــرٌ وطَلْـــحٌ وأَكْثَـــرُ صَـــيْدِها ضَـــبْعٌ وَذيـــبُ
دَعِ الأَلبـــانَ يَشْـــرَبُها رِجـــالٌ رَقيـــقُ العَـــيْشِ بَيْـــنَهمُ غَريـــبُ
فَأَطْيَـــبُ مِنـــه صـــافِيَةٌ شَـــمولٌ يَطـــوفُ بِكَأْسِـــها ســـاقٍ أَديـــبُ
فهـــذا العـــيْشُ لا خِـــيَمُ البَـــوادِي وهـــذا العَـــيْشُ لا اللَّـــبَنُ الحَليـــبُ
فـــأينَ البَـــدْوُ مـــن إيـــوانِ كِسْـــرى وأيـــنَ مـــن الميـــادينِ الـــزُّرُوبُ ؟![1]

1- موقف أبي نواس من الأنساب العربية

ويَرْجُع سَبَبُ شعوبية أبي نواس إلى نسبه الفارسي[2] ؛ فقد كان مجتمع الشاعر معتركًا للأحساب والأنساب ، يُلِحّ إلحاحًا عنيفًا على تقسيم النّاس إلى موالٍ، وعرب، يتفاخرون بجذورهم العدنانية أو القحطانية ، ويتنازعون الانتماء إلى عرب الشمال أو عرب الجنوب ، وبلغ بهم التنافس إلى تقسيم شرف الانتساب إلى البيت النّبوي بين العلويين والعباسيين ، ومضى أبو نواس باحثًا عن نسب عربي يرتق فيه تمزقه ، ويداري فيه إحساسه بالضيق والاغتراب [3]، فتارة ينتمي إلى اليمن ، إذ يقول:

{ الوافر }

وخمَّـــــارٍ طَرَقْـــــتُ بـــــلا دليـــــلٍ ســـوَى ريـــح العتيـــقِ الخســـروانِي
فقـــــامَ إلـــــيَّ مـــــذْعورًا ، يلبِّـــــي وجـــونُ اللَّيْـــلِ مثـــلُ الطَّيْلَسَـــان
وقـــال : " أمـــنْ تمـــيمٍ ؟ " قلـــتُ : كـــلَّا ولكنِّـــي مـــن الحـــيِّ اليَمـــاني"[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 11 ، 12 .

[2] ينظر : ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ص 12 ، 13 . و قدورة ، زاهية : **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي** ، ص 112 .

[3] ينظر : العقاد ، عباس محمود : **أبو نواس** ، ص 110 . وعيد ، رجاء : **أبو نواس شاعر ظلمه قومه** ، ص 130 ، 131.

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 88 .

وتارة ينقلب على اليمنيين وينتمي إلى نزار ، وينتسب إلى الفرزدق [1]، ويدّعي أنه من بني تيم اللات، وأنّه ينتسب ولد عبيد الله بن زياد تارة أخرى [2]، ولكنه عندما فشل بات منقلبًا عليهم جميعًا واشتدت أهاجيه فيهم ، فقال :

{ البسيط }

قــالوا ذَكَــرْتَ دِيــارَ الحَــيِّ مِــنْ أَسَــدٍ ... لا درَّ دَرُّكَ قُــلْ لــي مَــنْ بنــو أَسَــدِ

وَمَــنْ تَمــيمٌ ، وَمَــنْ قَــيْسٌ وإِخْــوَتُهُمْ ... لَــيْسَ الأَعاريــبُ عِنْــدَ اللهِ مِــنْ أَحَــدِ

دَعْ ذا عَـــدِمْتُكَ ، واشــــرَبْها مُعَتَّقَــــةً ... صَــفراءَ تُعْنِــقُ بَــيْنَ المــاءِ والزَّبَــدِ[3]

وتراه يطعن الأُسر ذات النفوذ ، ويُعرّضُ بالقبائل العربية حاطًا من شأنها مستخفًا بقيمتها ، مستسخفًا بعقلية الأعاريب أبناء البادية ، وما في حياتهم من جفاء وخشونة [4] ، يقول :

{ المنسرح }

واهْــــجُ نِــــزارًا وأفــــر جِلْــــدَتَها ... وهتِّــــكِ السِّــــتْرَ عَــــنْ مَثالِبِهَــــا

أمّــــا تمِــــيمٌ فَغَيْــــرُ داحِضَــــةٍ ... مــــا شَلْشَــلَ العبْــدُ فــي شَــوَارِبِهَا

وقــــيْسُ عَــــيْلَانَ لا أُريــــدُ لَهــــا ... مــــن المَخــــازِي سِــــوى مَحرِبِهَــــا

ولــــم تَقَــــفْ كَلْبَهَــــا بَنــــو أَسَــدٍ ... عبيــــــدَ عيْرَانـــــةٍ ورَاكبِهَــــــا

ومــــا لِبَكْــــرِ بْــــنِ وائِــــلٍ عِصَــــمٌ ... إلّا بحمْقائِهَــــــــا وكاذِبِهَــــــــا

وتغْلِــــبٌ تَنْــــدُبُ الطــــولَ ولــــمْ ... تثْــــأَرْ قتــــيلًا علــــى ذَنَائِبِهَــــا

نِيْلَــــت بــــأدْنَى المُهــــورِ أخْــــتُهُمْ ... قسْــــرًا ولــــم يَــــدْمَ أنْــــفُ خاطِبِهَــــا[5]

فلا يسرّ أبا نواس الانتماء لأولئك العرب الذين يتفاخرون بأنسابهم وأحسابهم دون أن يضيفوا شيئًا للحضارة ، فليس قاطنوا تلك القبائل سوى سفهاء يرعون الغنم ، ويأكلون الضّب ، وليسوا سوى غلاظٍ شدادٍ ظلّام ، فيقول :

---

[1] ينظر : ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 34 .

[2] ينظر : صدقي ، عبد الرحمن : **أبو نواس** ، ص 50 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 46 .

[4] ينظر : الفاخوري ، حنّا : **تاريخ الأدب العربي** ، المكتبة البوليسية ،بيروت، 1953، ص 402 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 508 ، 509 .

{ الطويل }

إذا مـــا تَمِيمِـــيٌّ أتـــاكَ مُفَـــاخِرًا   فَقـلْ عَـدِّ عـن ذَا ... كيـفَ أكْلُـكَ للضَّـبِّ
إذا ابْتَــدَرَ النَّــاسُ الفعــالَ فَخـذْ عصًـا   ودعْـــدِعْ بمعـــزى يـــابْن طالقَـــةِ الـــذِّرْبِ
وأمَّـــا بنُـــو درْوَانَ والحـــيُّ كاهِـــلٌ   فمـــنْ جِلْـــدَةٍ بـــين الحـــزيميْنِ والعَجْـــبِ
فَخـــرْتُمْ ســـفَاهًا أن غَـــدَرْتُمْ بـــرِبِّكمْ   فمهـــلًا بنـــي اللَّكْنَـــاءِ فـــي كَبَّـــة الحـــرْبِ
فـــأنْتُم غطـــارِيسُ الخمـــيسِ إذا غـــزا   غـــذَاؤكُمُ تلـــك الأخـــاطيطُ فـــي التُّـــرْبِ[1]

لقد حاول أبو نواس التّصدي لتيارات عصره ، و صدّ تدافع موجاته ، فتراه ناقمًا متمردًا على كلّ مظهرٍ لا يروق له ، ولا يلائم هواه ، و لم تكن العصبيّة القبليّة إلّا إحدى تلك المظاهر ؛ فالشاعر شخصية أرادت ترك بصماتها و إثبات تميّزها في عالمها و ما تلاه من العوالم ، فلا ريب أن تدفع به حالة الإبداع ليظهر كلّ ما يعتمل في نفسه من مشاعر متباينة كان سببَها نظامٌ اجتماعيٌ هو في نظرِهِ غَيْر عادل ، فكيف لأبي نواس أن يقتنع بذاك النّظام بعد أنْ أدرك عقم محاولاته في التماس نسب عربي[2] ؟ وكيف له أن يقوّض ذاته الرّافضة لتمييز ليس له أساسٌ حضاريٌ أو حداثةٌ ثقافيّة ؟

ولمواجهة تلك العصبية أعدّ أبو نواس لسانًا غاضبًا ساخطًا مفاخرًا لا بنسبه العربي وإنّما بنسبه الفارسي ، إذ إنّ الفرس لا يفخرون بأحسابهم ، و لا يعتدون بأرومة قبائلهم ، ولا يتباهون بعشائرهم ولكنّهم كانوا شديدي الإدلال بالترف وبتطور الحضارة [3] ، فيما ظلّ العرب " أعرابًا بدوًا ..... يحيون بأجسادهم في المدينة وأرواحهم لا تزال عالقةً بحبّ كل بيدائيّ بدائيّ ، ومشاعرهم ونمط تفكيرهم وطراز عيشهم لا تزال هناك في الصّحراء تقلّد ساكنيها وشعراءها ، وتعزف من بحورهم الرّملية و الشّعرية فلا تأخذ إلّا القذا والسّراب " [4] ، و لذا كان لا بدّ للشاعر من عقد مقارنة بين التقدم الفارسيّ و التّأخر العربيّ ، مرتكزًا على الخمرة الفارسيّة بوصفها إشعاعًا للحضارة و رمزًا للتّطور ، يقول :

---

[1] أبو نواس: **الديوان** ، ص 510 ، 511 .

[2] ينظر : عيد ، رجاء : **أبو نواس شاعر ظلمه قومه** ، ص 131 .

[3] ينظر : قدورة ، زاهية : **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي** ، ص 112 .

[4] شرف الدين ، خليل : **أبو نواس** ، ص 180 .

{ الطويل }

راحَ الشَّـــقِيُّ علـــى الرُّبـــوعِ يَهـــيمُ   والـــرَّاحُ فـــي راحِـــي ، ورُحْـــتُ أَهِـــيمُ
ولفـــارسِ الأَحْـــرارِ أنْفَـــسُ أنْفُـــسٍ   وفَخـــارُهمْ فـــي عِشْـــرَةٍ مَعـــدومُ
قـــالوا الصَّـــبُوح فقلـــتُ : أكْـــرَمُ مَشْـــهَدٍ   طابَـــتْ ، وطـــابَ لهـــا أخٌ وَحَمـــيمُ
فـــي رَوْضَـــةِ لَعـــب النَّعـــيمُ بِحُورِهَـــا   فَلَهُـــنَّ فـــي خلـــل الـــدِّيارِ رسُـــومُ
فعـــنِ اليمـــين جـــداولٌ مَنْسُـــوقَةٌ   وعـــنِ الشِّـــمالِ حَـــدائقٌ وكُـــرومُ
وإذا أُنـــادِمُ عُصْـــبَةً عَرِبِيَّـــةً   بَـــدَرت إلـــى ذِكْـــرِ الفخـــار تَمـــيمُ
وَعـــدَتْ إلـــى قَـــيْسٍ ، وعـــدَّت قَوْسَـــها   سُـــبِيتَ تَمِـــيمُ ، وجَمْعُهـــمْ مَهْـــزومُ
وَبَنُـــو الأَعـــاجِمِ لا أحـــاذِرُ مـــنْهمُ   شَـــرًا ؛ فمنطِـــقُ شـــربهم مـــذْمُومُ
وجمِـــيعُهم لـــي حـــين أَقْعُـــدُ بيْـــنَهُم   بتَـــذَلُّلٍ ، وتَهَيُّـــبٍ مَوْســـومُ[1]

والخمر شراب الأكاسرة الملوك ، قارعها أجداد أبي نواس قبل أن تدور النّجوم في أفلاكها[2]، إذ يقول :

{ الطويل }

فقـــال : " عَـــروسٌ كـــانَ كِسْـــرى رَبِيبَهَـــا   معتّقـــةٌ ، مـــن دونهـــا البـــابُ والسّـــتْرُ"[3]

فأيّ تراث ذالك الذي تفخر به بكرٌ وتميم ؟ و أيّ عيش ذاك الذي يتطاولون به على _ الفرس _ بني الأحرار الذين لا يشرفون بالانتماء للعرب ، ولا يمدون بصلة لأنسابهم ، يقول الشاعر:

{ الوافر }

معـــاقرةُ المُـــدَامِ بِوَجْـــهِ ظَبْـــيٍ   حَـــوى فـــي الحسْـــنِ غايـــاتِ الرِّهـــانِ
أَلَـــذُّ إلـــيَّ مِـــنْ عـــيْشٍ بـــوادٍ   مـــع الأَعْـــرابِ مَجْـــدُوبِ المكـــانِ
قُصَـــارَى عيْشِـــهمْ أكْـــلٌ لِضَـــبٍّ   وشـــرْبٌ مـــنْ حَفِيـــرٍ فـــي شِـــنَانِ[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 193 ، 194 .
[2] ينظر : العقاد : **أبو نواس** ، ص 114 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 100 . وينظر : ص 73 ، 102 .
[4] **المصدر السابق** : ص 103 . والشِّنان : القربة الصّغيرة .

ويقول على لسان الخمّار:

{ الطويل }

فقلنـــا لـــه: "مـــا الاسْـــمُ؟ " قـــالَ: "سَـــمَوْأَلٌ. عـلـــى أَنَّنـــي أُكْنَـــى بعَمـــرٍو و لا عَمْـــرَا
ومـــــا شـــــرّفتْني كُنْيَـــــةٌ عَرَبِيَّـــــةٌ ولا أَكْسَـــــبَتني ســــــناءً و لا فَخْـــــرًا
و لكنَّهـــــا خَفَّـــــتْ وَقَلَّـــــتْ حُروفُهـــــا و لَيْسَـــتْ كـــأخرى إنَّمَـــا خلِقَـــتْ وَقْـــرًا"[1]

ولعلّ تلك الأبيات تعكس روحًا شعوبيّة صارخة هاجم فيها أبو نواس الكنية العربية ، وجعلها موضع ازدراء وسخرية ، فهي في نظره لا تمثل شرفًا و لا عزّة ، وإنّما اتخذت لخفّة لفظها فقط ، فلماذا يتصارع النّاس على الانتماء لأهلها أو الولاء لهم [2] ؟ ولذا ترى الشّاعر معاديًا ساخرًا لكلّ من أراد أن يلتمس لنفسه نسبًا عربيًا يخفي فيه نسبه الأعجمي ، فما المانع من اعتزاز الموالي بذواتهم ؟؟ ولماذا لا تحارب تلك العقدة التي التصقت بهم على الرّغم من الانفتاح والتّحضر ؟! يقول :

{ البسيط }

الحمـــدُ للهِ هـــذا أَعْجَـــبُ العَجَـــبِ الهَيْـثَمُ بـنُ عَـديٍّ صـارَ فـي العـرب !
يـــا هيـــثمُ بـــن عـــديٍّ لســتَ للعـــرَبِ ولَسْـتَ مـــن طـــيّءٍ إلا علـــى شَـــغَبِ
إذَا نســـبْتَ عـــديًّا فـــي بنـــي ثُعَـــلٍ فقــدِّمِ الــدّالَ قبـل العـينِ فــي النَّسَـبِ

للهِ أنـــت فمـــا قربـــى تهـــمّ بهـــا إلّا اجتليـت لهـا الأنسـاب عـن كثـب
فـــلا تـــزالُ أخـــا حِـــلٍّ ومرتحَـــلٍ إلـــى المـــوالي وأحيانًـــا إلـــى العَـــرَبِ[3]

فهل تظن يا هيثم بن عدي أنّ لهثك وراء نسب عربي سيرفع عنك وضاعتك ويعلي من قيمتك ؟ وهل تعتقد أنّ اجتهادك هذا سينفي عنك أن تكون من الأدعياء ؟! يقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 61 .
[2] التطاو ي ، عبد الله ، **القصيدة العباسية قضايا واتجاهات** ، ص 137 ، 140 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 524 .

{ الوافر }

مـــررتُ بِهَيْـــثَمَ بـــن عـــديِّ يوْمًـــا   وقِـــدْمًا كنـــتُ أمنحـــه الصَّـــفاءَ

فــــأعرض هيـــــثمٌ لمّــــا رآنِـــــي   كــــأنّي قــــد هجـــوتُ الأدعيـــاءَ

وقـــد آليـــت أن أهجـــو دعيًّـــا   ولـــو بلغـــت مروءتُـــه السَّـــماءَ[1]

ولقد رأى أبو نواس في تنكر بعض الموالي ومحاولتهم الاستعراب نفاقًا وتلونًا يدعو إلى الاشمئزاز ، فقال معايرًا الفضل الرقاشي :

{ مجزوء الرمل }

قلـــــتُ يومًـــــا للرّقاشـــــيِّ (م)   وقـــــــد سَـــــــبَّ المَـــــــوالِي

مــــا الـــــذي نحّــــاكَ عــــن أصْ   لِـــــكَ مِـــــنْ عَـــــمٍّ وخـــــالِ

قــــال لِــــي : قــــد كنــــتُ مــــوْلًى   زمنًـــــا ثـــــمّ بَـــــدَا لِـــــي ....

أنـــــــا بالبَصْـــــــرَةِ مـــــــوْلًى   عربـــــــــــيٌّ بالجبـــــــــــالِ

أنـــــــا حقًّـــــــا أدّعـــــــيهمْ   لِســـــــــوَادي وهُزَالِـــــــــي[2]

وقال في ذمّ (أشجع السُّلَمي) [3] :

{ الخفيف }

قُــلْ لِمَــنْ يــدّعِي ســليْمَى ســفاها   لسْـــتَ منهـــا ولا قُلَامَـــةَ ظُفْـــرِ

إنّمـــا أنـــت مـــن ســـليمى كـــواو   ألْحِقَـــتْ فـــي الهجـــاءِ ظلمًـــا بِعَمْـــرِو[4]

ولم تقتصر سخرية أبي نواس على أدعياء النسب فحسب ، وإنّما طالت النّسابين أيضًا ، وفي هذا يقول :

{ الطويل }

أبـــا منْـــذرٍ مـــا بـــالُ أنْســـابِ مـــذْحجٍ   مُرَجّمَـــــةٌ دونِـــــي ، وأنْـــــتَ صـــــديقِي

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 523 .

[2] **المصدر السابق** ، ص 571 .

[3] أشجع بن عمرو السُّلَمي ، شاعرٌ فحلٌ من قيس عيلان ، ينظر : الزركلي : **الأعلام** ، ج1 ، ص 331 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 545 .

فـــإنْ تـــأْتِني يأْتِــكْ ثنـــائِي ومــدْحتِي　　　　وإنْ تـــــأْبَ لا يُسْـــــدَدْ علـــــيَّ طريقِـــــي[1]

فهو يعبث بـ (ابن الكلبيّ) [2] ، نسّابة ذلك العصر ، ويغرق في تنكّره للعرب والسّخط على أنسابهم[3] .

فهل قصد أبو نواس من وراء ذلك أن يتخلص من عقدة النّسب لضعة نسبه ، أم أنّه أراد أن يردم عادةً اجتماعيّة كانت سببًا في بثّ الفرقة وإذكاء العصبية ؛ لتحول أنظار مجتمعه إلى مظاهر الحضارة الجديدة والدّعوة إلى الافتتان برقتها وتألقها ؟ أم أنّه كان يسعى لمحاربة داءٍ يسمّى بــ " عصاب الماضي " الذي يدعو إلى التّشبث بالقديم والاطمئنان داخل أسواره ، والرّهبة من كلّ دعوة لتحطيم النموذج والانقلاب عليه[4] ؟

إنّ أبا نواس صاحب ثورة تجديدية ، ولم يرق له يومًا أن يكون من أنصار القديم لا في شكل حياته و لا مضمونها ، وهذا ما انعكس على قصائده التي واجه بها الواقع ، فمضى يتصيد عثرات التقاليد الاجتماعية التي كانت ولا تزال مبعثًا لافتخار العرب وعلو كعبهم بين الأمم الأخرى ، مثبتًا فشلها وتخلفها أمام شعلة الحضارة ، وعجلة التقدم ، فما الانتساب إلى بطون القبائل العربية وأفخاذها سوى قيودٍ انبثقت من رحم الجاهلية ، وهدفت إلى تقويض الإبداع ، والحدّ من التّقدم ، ولذا كان لا بدّ من رفضها والتحرر منها ، فهي ليست سمة " لمجتمع المستقبل" [5] ، و ليست باعثًا على التّجديد ، فلماذا لا يقتدي العرب بالفرس ويعمدون إلى إخراج أنفسهم من أغلال الماضي ، وينسجمون مع الحداثة ؟!

و لذا بات أبو نواس ساخرًا من العرب شامتًا بهم ؛ فتارة يصفهم " ببني الرّعناء " ، فيقول :

{ البسيط }

ببلـــــدةٍ لَـــــمْ تَتَّصِـــــلْ كَلْـــــبٌ بِهـــــا طُنُبًـــــا　　　　إلـــــى خِبــــاء ، ولا عـــبْسٌ وذُبيــــانُ

---

[1] أبو نواس ، **الديوان** ، ص 602 .

[2] ابن الكلبي : هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو منذر ، المؤرّخ ، عالمٌ بأنساب وأخبار العرب كأبيه ، من أهل الكوفة ، ت – 204 هـ ، ينظر : الزركلي : **الأعلام** ، ج 8 ، ص 87 ، 88 .

[3] ينظر : حسين ، طه : **خصام ونقد** ، ط 9 ، دار العلم للملايين ، 1979 م ، بيروت ، ص 243 .

[4] ينظر : أدونيس : **زمن الشعر** ، ص 142 .

[5] **المرجع السابق** ، ص 142 .

أرْضٌ تَبَنَّـــــــى بهــــــا كسْــــــرَى دَســـــــاكِرَهُ   فمـــا بِهــا لِبَنــي الرَّعْنــاءِ إنْســانُ[1]

وتارةً ينعتهم " بالأشقياء " ، فيقول :

{ البسيط }

عَـــاجَ الشّـــقيُّ عَلـــى دَارٍ يُســـائِلُهَا   وعُجْـــتُ أَسْـــأَلُ عَـــنْ خَمَّـــارَةِ البَلَـــدِ[2]

ويغالي بالحطّ من شأنهم والتندر منهم ، في مقابل إعلائه شأن الفرس ، وتغنيه بأنسابهم وحضارتهم، ألم يسمهم بـ " بني الأحرار " ؟ ألم يرَ أنّهم أكرم النّفوس وأنبلها ؟ [3] ، يقول :

{ الوافر }

تُراثًـــــا عَـــــنْ أَوائِـــــلِ أَوّلينَـــــا   بنــــي الأَحْـــرارِ أَهْـــلِ المَكْرُمـــاتِ[4]

فلا عجب إذن أن يؤثر الانتماء لخمرتهم على الانتماء العرقيّ السّائد في مجتمعه ، وأن يتبع إلهامه الذّاتي الذي جعله في طليعة المتمرّدين ؛ ليؤكد تعاليه وانفصاله عن فكر عصره [5]، يقول :

{ الوافر }

أنَـا ابْـنُ الخَمْـرِ مَـالي عَـن غِـذَاها   إلـــى وقـــتِ المَنِيَّـــةِ مِـــنْ فِطـــامِ
وَأَســـقيها مِـــنَ الفِتْيـــانِ مِثْلِـــي   فَتَخْتـــــالُ الكَريمَـــــةُ بـــــالكِرامِ[6]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 127 . وقد ورد هذا البيت في رواية أخرى ، إذ يقول :
{ البسيط }
أرضٌ تبنّى بها كسرى مساكنه   فما بها لبني اللّخناء إنسان
قيل : " فبنو الأحرار عندهم العجم ، وبنو اللّخناء عندهم العرب ؛ لانّهم من ولد هاجر وهي أمة ، وقد غلطوا في هذا التأويل وليس كلّ أمة يقال لها اللّخناء ، إنّما اللّخناء من الإماء الممتهنة في رعي الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنّما أخذ من (اللّخن) وهو نتن الريح ، يقال : (لَخَنَ السّقاء إذا تغيّر ريحه) " ، ابن عبد ربّه : **العقد الفريد** ، ط 2 ، ج3 ، القاهرة ، 1952 م ، ص 409 ، 410 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 46 ، وينظر : ص 139 .

[3] ينظر : شرف الدين ، خليل : **أبو نواس** ، ص 190 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 209 .

[5] ينظر : نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس** ، مجلة إربد للبحوث والدّراسات ، م 1 ، ع 1 ، 1998م ، ص 55 .

[6] أبو نواس : **الديوان** ، ص 374 .

ولا عجب أن يختار النّواسيّ من النّدماء ما يتفق وذاته المنفلتة من التقاليد والتّبعية ، ومن يجاريه في البحث عن طيب الأصل بالانتماء إلى الكرم ، فيقول :

{ الوافر }

لأنَّ الكَــــرْمَ مِـــــنْ كَـــرَمٍ وجُـــودٍ ومـــــاءُ الكَـــرْمِ لِلرَّجُـــلِ الكَـــريمِ

ونـــــادِمْ إنْ شَــــرِبْتَ أَخــــا مَعــــالٍ فـــإنَّ الشُّـــرْبَ يَجْمُـــلُ بـــالقُرومِ

وإنّ المَــــرْءَ يصْـــحَبُ كـــلَّ جِيـــلٍ ويُنْسَــبُ فـــي المُـــدامِ إلـــى النَّـــديمِ[1]

ويقول :

{ البسيط }

والقَـــومُ إخْـــوانُ صِـــدْقٍ بيْـــنَهُم نَسَـــبٌ مِـــنَ المَـــوَدَّةِ مـــا يَرْقَـــى لـــه نَسَـــبُ

تراضَـــــعُوا دُرَّةَ الصَّـــــهباءِ بَيــــــنهمُ وَأَوْجَبـــوا لِنَـــديمِ الكَـــأْسِ مـــا يَجِـــبُ[2]

لقد عمل أبو نواس على التّخلص من قيود النّسب ، وبدا جادًا في وضع أسس جديدة للمنادمة والمسامرة تحتكم إلى الخمر التي كانت أول من عادى ذكر الأنساب والأحساب في مجلسها ، ولذا يقول :

{ المديد }

لا تشِـــــنْهَا بــــالّتي كرِهَــــتْ فَهـــي تــــأْبَى دَعْـــوَةَ النَّسَـــبِ[3]

ولأنّ الخمر تبغض الاتصال بالأنساب فعلى الندماء التّمسك بآداب المنادمة ، وفي مقدمتها ترك الفخار ، إذ يقول :

{ الوافر }

وثالِثُهـــا وإن كنْـــتَ ابـــنَ خَيْـــر ال بَرِيَّـــةِ مَحْتَـــدًا ، تَـــرْكُ الفَخـــارِ[4]

ويقول لافتًا النّديم إلى ضرورة تخيّر الجلّاس ، وتجنب التّعريض بعيوب النّاس ؛ لأنّ في ذلك مخالفةً لآداب مجلس المنادمة :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 144 .

[2] **المصدر السابق** ، ص 192 .

[3] **المصدر السابق** ، ص 678 .

[4] ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 185 .

{ الكامل }

نَفْـــسُ المُدامَـــةِ أَطْيَـــبُ الأَنْفـــاسِ أَهْـلًا بِمَــنْ يَحميــهِ عــن أنْجــاسِ
فــإذا خَلَــوْتَ بِشُــرْبِها فــي مَجْلِــسٍ فــاكْفُفْ لِســانَكَ عَــنْ عُيــوبِ النَّــاسِ
فــي الكَــأْسِ مَشْــغَلَةٌ وفــي لَــذّاتِها فاجْعَــلْ حَــديثَكَ كُلَّــهُ فــي الكــاسِ
صَــفْوُ التَّعاشُــرِ فــي مجانَبَــةِ الأَذَى وعلــى اللَّبيــبِ تَخَيُّــر الجُــلّاسِ[1]

ولكن أيّ عيوبٍ تلك التي قصدها أبو نواس ، وأيّ أذىً ذاك الّذي دعا إلى مجانبته ؟ لا شكّ أنّه كان يخشى أن يعيّره ندماؤه بوضاعة نسبه ؛ فطلب منهم أن يكفّوا عن الافتخار بآبائهم وأجدادهم ، وأيّ شيءٍ كان سيؤذي النّواسيّ أكثر من الطّعن في نسبه ؟! فلقد هجاه الرّقاشيّ قائلًا:

{ الرّمل }

نَبطِــــيٌّ فـــإذا قِيـــلَ لَـــهُ أَنْــتَ مَــولى حَكَــمٍ قــالَ : أَجَــلْ
هـــو مَـــوْلى اللهِ إنْ كـــانَ بِـــه لاحقًـــا فـــاللهُ أَعْلَـــى وَ أَجَـــلْ
واضــعًا نسْــبَتَهُ حيــثُ اشْــتَهى فــإذا مــا رابَــهُ رَيْــبٌ رَحَــلْ[2]

وهاجمه اللّاحقيّ ، فقال مشككًا في نسبه :

{ المجتث }

أبـــو نـــواسَ بـــن هـــاني وأُمُّـــــــهُ جُلِبّـــــــانِ
والنّـــاسُ أَفْطَـــنُ شَـــيءٍ إلـــى دَقيـــقِ المَعـــانِي
إنْ زِدْتُ حَرْفًـــا علـــى ذا يـــا صـــاحِ فَـــاقْطَعْ لِســـانِي[3]

وقوله :

{ مجزوء الرمل }

هـــانِئ الجُـــونُ أَبـــوهُ زادَهُ اللهُ هَوانًـــــــا
ســـائِلِ العَبّـــاسَ واسْـــمَعْ فِيـــهِ مِـــنْ أُمِّـــكَ شـــانَا
عَجنـــوا مـــن جُلبَّـــانَ لِيَكيـــــدوكَ عجانَـــــا[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 221 . وينظر : ص 123 .
[2] ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ج 25 ، ص 34 .
[3] ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 36 .
[4] **المصدر السابق** : ص 36 .

وكان السّفهاء والعيّارون يصيحون به كلّما مرّ بهم يقولون :

{ المجتث }

أبـــــو نُــــــواسَ اليَمــــــانِي وأُمُّـــــــــــهُ جُلِبَّـــــــــــانِ

(والنّغــــــلُ) أَفْطَـــــنُ شَــــيْءٍ إلـــــى حُـــــروفِ المَعـــــانِي

وقصدوا بـ(النّغلِ) أبا نواس [1] .

فماذا عساه يفعل وقد اتُخذ نسبه مطيّة لهجائه والتقليل من شأنه ؟! ولم يكن لأبي نواس أن يتغاضى عن شتمه ، ولم يكن له أن يقنع بقيودٍ فرضها عليه مجتمعه ، وإن حاول مجاراتهم في بعض المواضع ، يقول :

{ الطويل }

ونَـــدْمانِ صِـــدْقٍ مِـــنْ خُزاعَـــةَ فـــي الـــذُّرَا أَغَـــرَّ ، كضـــوءِ الصُّـــبحِ ، حلْـــوِ الشَّـــمائِلِ[2]

ويقول :

{ الطويل }

طريْـــتُ إلـــى خمْـــرٍ ، وقصْـــفِ الدّســـاكرِ ومنــــزلِ دهْقــــانٍ[4] بهـــا غيـــر دائِـــرِ

بِفتيـــان صـــدْقٍ مـــن سَـــراةِ ابـــن مالـــكٍ وازد عَمــــانٍ ذي العُلــــى والمفــــاخِرِ[5]

ولكنّه غدا مستعيضًا عن أنساب العرب بطلبه من الدّهقان أن يتبنّاه ، فالانتساب إليه في نظر الشّاعر أصلح من اللهث وراء نسبٍ عربيٍ لقبيلة لم يعرف أهلها يومًا نعيمًا و لا رخاءً ، وفي هذا انقلابٌ على المألوف ، يقول :

{ مجزوء الخفيف }

اسْـــــقِني يـــــا بْـــــنَ أَدْهَمَـــــا واتَّخـــــذْني لَـــــكَ ابْـــــنَ مَـــــا

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 37 .

[2] **المصدر السابق** : ص 185 .

[3] الدسكرة : كلمة فارسية ، وتعني " بناءٌ شبه قصر حوله بيوت ، والجمع دساكر ، تكون للملوك .... وقيل : بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي " . الجواليقي ، أبو منصور : **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم** ، تح: ف. عبد الرحيم ، دار القلم،ط1، دمشق ، 1990 ، ص 310،311 .

[4] الدهقان : زعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم أو القرية . ينظر : **المصدر السابق** ، ص 303 .

[5] أبو نواس :**الديوان** : ص 208 . وينظر : ص 175 .

اسْـــــــــــقِنِيها ســـــــــــلافَةً	**ســــــــبقَتْ خَلْـــــــقَ آدَمَـــــــا**
اسْــــــقِنِيها وَغَــــــنِّ صَــــوْ	**تَـــا – لـــكَ الخَيْـــرُ – أَعْجَمَـــا**
لَـــــيْسَ فـــــي نغْـــتِ دِمْنَـــةٍ	**لا و لا زجْـــــــرِ أشْـــــــأمَا**[1]

فالصوت الأعجميّ هو ما كان ينشده أبو نواس ؛ لأنّ المباهج أكثرها أعجمية ، ولأنّه يقدّر الحياة بملذّاتها ومسرّاتها ، ولأنّه يسعى جاهدًا لردم الهوة التي اختلقها عصره بين المثقّف الواعي ومدّعي الثقافة ، بين المتحضر الذي يعي زمنه ، ومن يعش في غير زمنه [2] ، ولم يعدم الشّاعر وسيلة لتحقيق ما يصبو إليه . فكانت خمرته بما خلع عليها من صفاتٍ أعجميّة مثالًا للتّمرّد ، ومسلّة لاتهامه بالشّعوبية الثائرة على العرب بتفاصيل حياتهم ، إذ إنّ أبا نواس لم يعادِ أنساب العرب فحسب ؛ وإنّما اعترض على عاداتهم وتقاليدهم ، وأساليب عيشهم ، وبالمقابل لم يتعرّض لمفاضلة عقليّة ، ولم يتطرق لتعداد مناقب جوهريّة تفرّق العرب عن الفرس ، وتحكم بالأفضليّة للعنصر الأعجميّ بناءً على تفوق عقليّ أو تميّز عرقيّ [3] ، فجلّ ما كان يلفت الشّاعر متعلقٌ بالتطور الحضاريّ ، والازدهار العمراني ، والتطور المدنيّ . وهذا ما عكسه موقفه من الأطلال .

2- موقف أبي نواس من الأطلال .

لم تمثل كأس أبي نواس حاجة جسدية ، وضرورة نفسية فحسب ؛ وإنّما كانت باعثًا على الابتكار ، ومنبعًا للتحولات ، ومحفزًا للثورة [4] ، وتوظيفًا للمقلوب المتمرّد الذي يهاجم القديم ، ويدعو إلى هدمه ، ويرفع لواء الحريّة الفرديّة والمجتمعيّة ، ويرفض النّموذج الموحد الذي يحطّم القدرة الفنيّة ، ويقوّض الإبداع .

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 80 .

[2] ينظر : نافع ، عبد الفتّاح : **أضرب الرّفض في خمريات أبي نواس** ،، مجلة إربد للبحوث والدّراسات ، م 1 ، ع 1 ، 1998 ، ص 56 . و عطوان ، حسين : **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول** ، ص 113 .

[3] حسين ، حسني محمود : **الشّعوبية في شعر أبي نواس** ، مجلّة المورد ، م 9 ، ع 1 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 م ، ص 73 .

[4] ينظر : فاضل ، جهاد : **قراءة جديدة لأبي نواس** ، الفكر العربي ، (معهد الإنماء العربي) ، م 4 ، ع 26 ، 1982 م ، ص 260 .

لقد أراد أبو نواس أن يعيش زمانه ، وأن يوصف بالشّاعر المحدث ؛ باختراقه الأساليب القديمة وقضائه على النظم السّائدة ، وتحطيم الأشكال التّقليدية اجتماعيّة كانت أو أدبيّة [1] ، وأراد أن يبثّ في مجتمعه روح التجديد ، فثار على الأطلال ، ورفض قدسيتها ، ومزّق الهالة التي تحيط بها ، بل وسفّه الواقفين عليها ، فقال :

{ الطويل }

أيــا بــاكيَ الأطْــلالِ غَيَّرَهَــا البِلَــى ... بكيْــتَ بِعــينٍ لا يَجِــفُّ لَهــا غَــرْبُ

أَتَنْعَــتُ دارًا قــد عَفَــتْ ، وَتَغَيَّــرَتْ ... فــإِنِّي لمــا ســالمتَ مِــنْ نَعْتِهــا حَــرْبُ[2]

إنّها حربٌ على صوت الصّحراء ، بقفرها وخشونتها وعلى ساكنيها البدو بقسوتهم وغلظتهم ، وثقل عيشهم ، ودعوةٌ للتغني برفاهيّة الحضارة والإقبال على رقيّ العيش الّذي لم توفره حياة البعل التي عاشها الأعراب ، يقول :

{ البسيط }

ليسَــــتْ لِــــذُهْلٍ ولا شَــــيْبانِها وَطَنًــــا ... لكنّهــــا لبنــــي الأحــــرارِ أَوْطــــانُ

ومــا بهــا مِــنْ هَشــيمِ العَــرْبِ عَرْفَجَــةٌ ... ولا بهــا مــن غــذاء العْــرب خُطْبــانُ

لكــــن بهــــا جُلُّنَــــارٌ قــــد تَفَرَّعَــــهُ ... آسٌ ، وكَلّلَــــــــــهُ وَرْدٌ وَرَيْحَــــــــــانُ

فــإن تنسَّــمْت مــن أرْواحِهــا نَسَــمًا ... يومًــا تنسَّــمَ فــي الخيشــومِ رِيْحــانُ[3]

إذ يصف الشّاعر بلدةً فارسيّة يستبعد أن تصلح يومًا لسكنى العرب ، فهي تعتبق بنسائم الورد والآس ، وتكلّل بالسّوسن والرّيحان ، وهي لا تمتُّ للعرب بصلة ، فهم متّصلون بحياة الجدب والقحط ، ولا يعرفون سوى الهشيم والعرفج ، ولا يجيدون سوى الوقوف على الأطلال البائدة دون أن يجنوا شيئًا من ذلك ، فما فائدة البكاء على ما عفر واندثر ؟ يقول :

{ المنسرح }

لا تَبْــكِ رَسْــمًا بِجانِــبِ السَّــنَدِ ... ولا تجُــــدْ بالــــدّموعِ لِلْجَــــرَدِ

ولا تُعَــــرِّجْ علــــى مُعَطَلَــــةٍ ... ولا أَثــــافٍ خلَــــتْ ، ولا وتَــــدِ

---

[1] ينظر : نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس** ، ص 49 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 10 .

[3] **المصدر السابق:** ص 127 . الهشيم : يابس كلّ كلأ وكلّ شجر . العرفج : مفردها عرفجة ، و هو شجر ينبت بالبادية. الخطبان : حبات الحنضل والعرب تأكلها في المجاعة .

ومِـــلْ إلـــى مَجْلِـــسٍ علـــى شَـــرَفٍ   الكَـــرْخِ بَـــين الحَـــديقِ ، مُعتمـــدِ

ممهَّـــــــدٍ صُـــــــفِّفَتْ نمارِقُـــــــه   فـــي ظِـــلّ كَـــرْمٍ مُعـــرَّشٍ خَضِـــدِ

قـــد لحفتْـــكَ الغُصـــونُ أرْدِيَـــةً   فَيَوْمُـــكَ الغَـــضُّ بـــالنَّعيمِ نَـــدِي[1]

إنّ أبا نواس شاعرٌ يؤثر النّعيم على الشّقاء ، ويدعو إلى نبذ البؤس والحرمان ، فيقول :

{ الرمل }

اتْـــرِكِ الأَطْـــلالَ لا تَعْبَـــأْ بِهـــا   إنَّهـــا مِـــنْ كُـــلِّ بُـــؤْسٍ دانِيَـــهْ[2]

ويدعو إلى الإقبال على الخمر التي تحقق اللّذة ، وتَحمل شاربها إلى عالم الغبطة والسعادة، فشتان بين من يبتاع خمرًا يلذّ بها ، وبين من يبكي الحجارة والصحراء ، يقول :

{ الطويل }

عـــاجَ الشَّـــقِيُّ عَلـــى دارٍ يُســـائِلُها   وعُجْـــتُ أَسْـــأَلُ عَـــنْ خَمَّـــارَةِ البَلَـــدِ

لا يُرْقِـــئُ اللهُ عيْنَـــيْ مَـــن بَكـــا حجـــرًا   ولا شَـــفَى وَجْـــدَ مَـــنْ يَصـــبُو إلـــى وَتَـــدِ

دَعْ ذا عَـــدِمْتُكَ واشْـــرِبْها مُعَتَّقَـــةً   صَـــفْراءَ تُعْتِـــقُ بَـــيْنَ المـــاءِ والزَّبَـــدِ[3]

ويجري الشاعر محاكمة عقليّة بين ما يؤمن به من اندفاع نحو الحياة المتحضّرة المسرفة في اللّين ، وبين ما دعا إليه سابقوه وبعض معاصريه من وقوفٍ على الدّمن والآثار ، وسؤالها واستنطاقها عن المحبوبة التي رحلت دون أن تترك أثرًا لعاشقها ، فهل ستجيب تلك الديار ؟ يقول أبو نواس :

{ مجزوء الرمل }

قِـــــفْ بربْـــــعِ الظّاعِنينَـــــا   وابْـــــكِ إنْ كُنْـــــتَ حزينَـــــا

واسْـــــأَلِ الـــــدّارَ متـــــى فـــــا   رقـــــتِ الـــــدّارُ القَطِينَـــــا

قـــــد ســـــألْناها ، وتـــــأبَى   أَنْ تُجيـــــبَ السّـــــائِلينَا[4]

وكيف ستقف يا من شهد الحضارة ، وعاصر التقدم ، وسكن المدائن ، ونهم من الملذّات والمتع على أطلال بائدة سمعت بها دون أن تراها عيناك ؟ يقول :

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 172 .

[2]**المصدر السابق**: ص 119 .

[3]**المصدر السابق** : ص 46 .

[4] **المصدر السابق** : ص 31 .

{ الكامل }

فعـــلامَ تــــذْهَلُ عَــــن مُشَعْشَــــعَةٍ وتَهـــيمُ فـــي طَلَـــلٍ وَفـــي رَسْـــمِ

تصِــفُ الطُّلــولَ علــى السَّــماعِ بِهــا أَفَــذو العَيــانِ كَأَنْــتَ فــي العَلَــمِ ؟

وإذا وَصَـــــفْتَ الشَّـــــيءَ مُتَّبِعًـــــا لَــمْ تَخْــلُ مِــنْ زَلَــلٍ ، وَمِــنْ وَهْــمِ[1]

فإن كنت قد آثرت الوهم على الحقيقة فأنت مخادعٌ لنفسك ، ومنتحلٌ شخصًا غير شخصك [2] إذ أنت تعمي عينيك عمّا يحيط بك من قصورٍ ، وحدائق ، ورياض مزدانة بالزّهور والأقاحي ، متجاهلٌ كؤوس شرابٍ مضاءة بالآلئ محاطة بالدر ، تجلي الهموم ، وتنفّس البلاء ، وترفع الكرب، إذ يقول :

\{ البسيط }

مـــالي بـــدارٍ خلـــتْ مِـــنْ أَهْلِهَـــا شُـــغُلُ ولا شَـــجانِي لهـــا شـــخْصٌ ولا طَلَـــلُ

ولا رســـــــومٌ ، ولا أبْكِـــــــي لمنزلـــــــةٍ للأهـــل عنهـــا ، ولِلْجيـــرانِ مُنْتَقَـــلُ[3]

وأبو نواس يرفض أن يؤمن بما لم يره بعينه ، ولم يعاينه يقينًا ماثلًا أمامه ، ويرفض البيداء المقفرة والخيام المنصوبة يحيط بها الضّبّ والحرباء والورل ، وتسعى في جنباتها الأفاعي ، ولا يسمع فيها سوى نعيق الغراب ، وتعجّ أرضها بالشيح و العوسج ، وكل ما يوحي باليأس والشؤم والخراب ، ويدعو إلى إهمالها ، وعدم السؤال عن أحوالها ، فهي لا تستحق ذلك ؛ لأنها لن تسمع كلامك ، ولن تردّ سلامك ، وهذا ما لم نألفه عند غيره من الشّعراء ، فيقول :

{ السريع }

ابْخَـــــلْ علـــــى الـــــدَّارِ بِتَكلـــــيمِ فمـــــا لَـــــدَيْها رَجْـــــعُ تَســـــليمِ

و الْعَـــنْ غُـــرابَ البَـــيْنِ بغضًـــا لَـــه فإنّـــــــه داعيـــــــةُ الشّـــــــومِ

وَعُـــجْ إلـــى النَّـــرْجِسِ عـــن عوْسَـــجٍ والآسِ عـــــن شِـــــيحٍ وقَيْصـــــومِ

واغْـــــدُ إلـــــى الخمـــــر بإبَّانهـــــا لا تمتنـــــع عنهـــــا لتحـــــريمِ

فمـــن عـــدا الخمـــر إلـــى غيرهـــا عـــاش طَلِيحًـــا عـــيْنَ مَحـــرومِ[4]

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 58 .

[2] ينظر : نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس** ، ص 49 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 698 ، 700 .

[4] **المصدر السابق** ، ص 155 .

فالأولى بك أيّها الداعي إلى الوقوف على الطّلل البائد أن تعدل عنه ، وأن تستبدل دماره بكلّ ما ينشر الطيب ، ويبعث على الرّاحة والسرور ، وأن تيممَ وجهك شطر الخمر فتميل إليها بأحاسيسك ومشاعرك وأن تجعلها أولى اهتماماتك ، فما بالك تبكي على من مات واختفت آثاره؟ يقول :

{ المنسرح }

لا تبْــكِ ربْعًــا عفَــا بــذي ســلَمِ ويـــزَّ آثـــارَهُ يـــدُ القِـــدَمِ
وعُـــجْ بنـــا نجْتَلـــي مُخَـــدَّرَةً نســـيمُها ريـــحُ عنْبـــرٍ ضَـــرِمِ[1]

لقد اختفت تلك المعالم وأصبحت يبابًا ، فلا يعدّ وصفها سوى كذبٍ وإغراب [2] ، و لذا لا ريبَ أن يعادي الشاعر أولئك المتكسّبين الذين ابتعدوا عن الصدق الفني، وألزموا أنفسهم بما درج عليه سابقوهم بأن " أحسن الشعر أكذبه " ، وأن ينقلب على مذهبهم بتهكم وسخرية لاذعة ، إذ يقول :

{ الرمل }

قُــلْ لِمَــنْ يَبكــي عَلــى رَسْــمٍ دَرَسْ واقفًــا مــا ضَــرَّ لَــوْ كــانَ جَلَــسْ
اتْــرُكِ الرّبــعَ ، وســلمى جانبًــا واصــطبح كَرْخِيَّــةَ مِثْــل القَــبسْ[3]

وأن يستنكر مبدأهم باستحضار مظاهر الصحراء الجّافة المجافية للذّة والبعيدة عن الحضارة والمدنيّة ، فيقول :

{ السريع }

أحْسَــنُ مــن سَــيْرٍ علــى نَاقَــةٍ سَــيْرٌ عَلــى اللَّــذَّةِ مَقْصُــورُ[4]

ولا ريب أن يوظّف ما دعوا إليه توظيفًا مقلوبًا يخدم أفكاره ومذهبه الفنيّ ، فيقول :

{ البسيط }

عُـــجْ للوقـــوفِ علـــى رَاحٍ ورَيحـــانِ فمـــا الوُقـــوفُ علـــى الأَطْـــلالِ مِـــنْ شَـــانِي

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 189 . وينظر : ص 133 .
[2] ينظر : حسين ، حسني محمود : **الشعوبية في شعر أبي نواس** ، ص 69 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 134 .
[4] **المصدر السابق** ، ص 15 .

لا تَبْكِـــيَنَّ علـــى رَسْـــمٍ ولا طَلَـــلٍ   واقْصِـدْ عُقـارًا ، كعـيْنِ الـدّيكِ ، نَـدْمانِي[1]

فالشّاعر لا ينسجم مع الطلل لأنّه لا يحاكي شخصيته الواقعيّة الحيّة التي لا ترى في الماضي سوى فناءٍ وموتٍ وتعاسة ، ولا ترى في الوقوف على الطّلل سوى حرمانٍ يقيّد المتع التّي أباحها العصر ووفرها التطور [2] ، وهو لا يستطيع أن يمسك نفسه عن عالم اللّذة ، وأن يمنعها من الغوص في عالم المتعة والجمال ، عالم الخمر الّذي لا يفوقه عالمٌ ولا يحدُّ أفقه حدود، فهو الأجدر بالوقوف عليه والبكاء على المنع والحرمان منه ، فيقول :

{ الطويل }

لقـد جُـنَّ مَـنْ يَبْكـي عَلـى رَسْـمِ مَنْـزِلِ   وَيَنْـدُبُ أَطْـلالًا عَفَـوْنَ بِجَـرْوَلِ

فَـإِنْ قِيـلَ مـا يُبكيـكَ قـالَ : حَمامَـةٌ   تنـوحُ علـى فـرْخٍ بأَصـواتِ مُعْـوِلِ

تـذكِّرُني حَيًّـا حِـلالاً بِقَفْـرَة   وآخيـةٍ شـدّت بفهْـرٍ وجنْـدَلِ

ولكنّنـي أَبكـي علـى الـرّاح إنَّهـا   حَـرامٌ عَلَيْنـا فـي الكتـابِ المُنَـزّل[3]

لقد نشد أبو نواس الدّاء والدّواء ، وبكى معشوقته الّتي هام بها فلم تمنحه يومًا إلّا الغبطة والسرور ، وهي بذلك تتفوق على معشوقات الشعراء اللواتي لم يخلفنَ في نفوس عاشقيهم سوى الأسى والحزن ، فعلامَ يلوم النّاس أبا نواس ؟ يقول :

{ البسيط }

دَعْ عَنْـكَ لَـومي فـإنّ اللّـومَ إغْـراءُ   وداوِنـي بـالّتي كانَـتْ هِـيَ الـدَّاءُ

صَـفْراءُ لا تَنْـزِلُ الأحـزانُ سـاحَتَها   لـو مسَّـها حَجَـرٌ مسَّـتْهُ سَـرّاءُ

لِتِلْـكَ أَبْكـي ، ولا أَبْكـي لِمَنْزلـة   كانَـتْ تَحِـلُّ بِهـا هِنْـدٌ وأَسـماءُ

حاشَـا لِـدرّة أن تُبْنَـى الخِيـامُ بِهـا   وأَنْ يَـروحَ عَليهـا الإبْـلُ والشَّـاءُ[4]

واستعان الشّاعر بالناقة لتحمله إلى حانة الخمر حيث اللّذة والمتعة ، فهي ليست مطيّة للوصول إلى أماكن الجدب والقحط ، يقول :

---

[1] أبو نواس: **الديوان،** 113 .

[2] ينظر : نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس** ، ص 50 ، 52 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 679 . وينظر : ص 36 .

[4] **المصدر السابق** ، ص 6 ، 7 .

{ الوافر }

وخَمَّـــارٍ حَطَطْـــتُ إليـــه لَـــيْلًا   قَلائِـــصَ قَـــد ونَـــينَ مِـــنَ السِّـــفارِ[1]

لقد أبى الشاعر أن يكون شقيًا ، ورفض أن يكون عبدًا للتّقاليد ، واعترض على المذهب القديم ، فثار على الأطلال وكلّ ما يرتبط بها من صحراء ونباتات وحيوانات ، وكلّ ما يدلّ على الخشونة والجفاف ، وصرخ آمرًا تارةً وناهيًا تارةً أخرى ؛ لينأى بنفسه ومعاصريه عن القيم السائدة البائدة المتحجرة التي لا تخضع لتبديل أو تغيير [2]، وليصل إلى مرفأ النّعيم ، حيث الجِنان الوافرة الظّلال ، والخمر المعتقة الصافية ، والراحة التي لا تُمل ، ولذا يقول :

{ الكامل }

اعْـدِلْ عَـنِ الطَّلَـلِ المحِيـلِ ، وعَـنْ هَـوى   نَعْـتِ الـدِّيارِ وَوَصْـفِ قَـدْحِ الأَزْنُـدِ

ودَعْ العَريـــبَ ، وخَلِّهـــا مـــعَ بُؤْسِـــها   لِمحـــارَفٍ أَلِـــفَ الشَّـــقاءَ ، مُزَنَّـــدِ

واقْصِـــدْ إلـــى شَـــطِّ الفُـــراتِ ، وعـــاطِني   قَبْـلَ الصَّـباحِ وعـاصِ كُـلَّ مُفَنَّـدِ[3]

3- موقف أبي نواس من بعض الظواهر الاجتماعيّة .

كانت الشعوبية سيفًا مسلَطًا على عنق أبي نواس ؛ بسبب وصفه المدن التي كانت تجري تحتها الأنهار ، وتزخر بالأزاهير والرّياحين ، وتعجّ بوسائل اللهو والرّقص والغناء ، ولتغنّيه بالتّصاوير الأعجميّة التي حملتها كؤوس الشّراب ، واحتفائه بالأعياد الفارسيّة ، ونسجه من ألفاظٍ فارسيّة حلية توشّح بها شعره ، وحفلت بها قصائده [4] ، "فالإسفنط ،والمرزبان، والطرجهار، والآذريون، والقرطق، والدّسكر، والدّروق، والدّرياق، والجلنار، والبوس، والدّيباج ، ألفاظٌ لا بدّ للمتجوّل في شعر أبي نواس أن يتعثّر بها ، وقد يستعصي عليه حصرها ، ولا سيّما أنّ معجم أبي

---

[1] أبو نواس: **الديوان،** ص 77 . ونين : تعبنَ . وينظر ، ص 93 .

[2] ينظر : نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس** ، ص 50 . و حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 46 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 168 . والمفند : المخطئ في رأيه والكاذب في قوله .

[4] ينظر : عطوان ، حسين : **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول** ، ص 113 . و حسين ، محمود حسني : **الشعوبية في شعر أبي نواس** ، ص 73 ، 74 . و خليف ، يوسف : **في الشعر العباسي نحو منهج جديد** ، ص 57 .

نواس اللفظيّ مفتتنٌ بكلّ ما هو وافدٍ دخيل يحمل معه كلّ ما يرسم ملامح الحياة الجديدة ويوضح معالمها " [1] ، فانظر إلى قوله في وصف كؤوس الشراب :

{ الطويل }

تُدارُ عَلَيْنا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ ... حَبَتْها بِأَلْوانِ التَّصاويرِ فارِسُ
قرارتها كسرى ، وفي جنَبَاتِهَا ... مَهًا تَدَّرِيَها بالْقِسِيِّ الفَوارِسُ
فلِلْخَمْرِ ما زُرَّتْ عَليه جيوبُها ... وللماءِ ما دارتْ عليه القلانسُ[2]

وتراه يوظّف أمثالًا فارسيّة تعكس إعجابه بثقافة الأعاجم [3] ، فيقول :

{ المنسرح }

سَأَلْتُها قُبْلَةً فَفُزْتُ بِها ... بعْدَ امْتِناعٍ وَشِدَّةِ التَّعَبِ
فَقُلْتُ بِاللهِ يا مُعَذِّبَتِي ... جُودِي بِأُخْرَى أَقْضِي بِها أرَبِي
فابْتَسَمَتْ ، ثُمَّ أَطْلَقَتْ مَثَلَا ... يَعْرِفُهُ العُجْمُ لَيْسَ بالكَذِبِ
لا تُعْطِيَنَّ الصَّبِيَّ واحِدَةً ... يَطْلُبُ أُخْرى بِأَعْنَفِ الطَّلَبِ[4]

وفي عيد النيروز ، يقول :

{ الطويل }

يباكرنا النوروز في غَلَسِ الدُّجى ... بِنَوْرٍ عَلى الأغصانِ كالأنجم الزُّهْرِ
يلوحُ كأعلامِ المطارِفِ وشْيهُ ... من الصفر فوق البيض والخضر والحمرِ
إذا قابلته الرّيح أوْمَا برأسه ... إلى الشَّرْبِ أَنْ سرُّوا ، ومالَ من السُّكْرِ
ومسمعةٍ جاءت بأخرس ناطقٍ ... بغيرِ لِسانٍ ظلَّ ينطقُ بالسّحرِ[5]

والنوروز أو النيروز عيد الرّبيع عند الفرس ، ويعني : " اليوم الجديد " ، وقد كان يطلق فيه الفرس احتفالاتهم ؛ لأنّه يؤذن بمقدم الربيع ، ويرمز إلى التّجدد والشّباب [6] . ويقول متغنيًّا "

---

[1] حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 55 .

[2] أبو نواس : **الدّيوان** ، ص 37 . وينظر : ص 146 ، 157 .

[3] ينظر : خليف ، يوسف : **في الشعر العبّاسي نحو منهج جديد** ، ص 57 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 274 . وينظر : المرزباني : الموشّح ، ص 321 .

[5] **المصدر السابق**، ص 222 .

[6] ينظر : صدقي ، عبد الرحمن : **أبو نواس** ، ص 57 .

بيوم رام " وهو اليومُ الحادي والعشرون من كلّ شهر ، كان يحتفل فيه الفرس، يلهون ، ويتبادلون كؤوس الشّراب [1] :

{ الخفيف }

اسْــــقِنَا ، إنَّ يَوْمَنَـــــا يـــــومُ رامٍ ولـــــرامٍ فَضْـــــلٌ علــــى الأيّــــامِ

مـــن شـــرابٍ ألـــذَّ مـــن نظـــر المـــع شـــوقِ فـــي وجْـــهِ عاشـــقٍ بابتســـامِ

فـــي ريـــاضٍ ربْعيَّـــةٍ ، بكَّـــرَ النـــو ءُ عليهـــــا بِمُسْـــــتَهَلِ الغَمـــــامِ

فَتَوَشَّـــــتْ بِكُـــــلِّ نَـــــوْرٍ أَنيـــــقٍ مِـــــنْ فُـــــرادَى نباتُـــــه ، وتُـــــوَأمِ

فَتـــــرى الشَّـــــرْبَ كالأَهلَّـــــةِ فيهـــــا يتَحسَّـــــوْن خُسْـــــرَوِيَّ المـــــدامِ[2]

وذاك المثالان ليسا إلا غيضًا من فيض ؛ فلقد صاغ أبو نواس من أدوات عصره ما يمثل عالمه الخاص ، وحشد في قصائده ألفاظًا تخدم أفكاره وتؤيّد مبادئه ، فما حياة المبدع ومدلول الإبداع سوى وسيلة ترسم معالم الحقيقة النهائية التي ينبغي التّسليم بها [3] ، وهذه الحقيقة ترى أنّ أبا نواس صوتٌ مميز وروحٌ صافية تحمل من مقومات الجرأة والصّدق الفنّي ما يمكنها من غزو البنية القديمة للمجتمع ، والخروج عن المألوف إلى مألوفٍ آخر ، بإلغاء القيم والعادات القديمة ، واختلاق أعراف جديدة ، دعائمها الحريّة وحق العيش في عالمٍ متناغم مع الأفكار التحررية ، ومنسجمٍ مع أدوات الحضارة التي تخترق القيم السّائدة وتحقق السّعادة ، وتطرد الهموم [4] . ولذا يقول :

{ البسيط }

لا خيـــر فـــي العـــيش إلّا بالمـــدام مـــع الْ أكْفَـــاء فـــي الـــورد والخِيـــرِيِّ والآسِ

ومُسْـــــمِعٍ يتغنَّـــــى ، والكـــــؤوس لهـــــا حَـــــثٌّ عليهـــــا بأخمـــــاسٍ وأسْـــــدَاسِ

" يـــا مُـــورِيَ الزَّنْـــدِ قـــد أعْيَـــتْ قوادِحُـــهُ اقْـــبِسْ إذا شِـــئْتَ مـــن قلبـــي بمقْبَـــاسِ"[5]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 69 .

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 69 .

[3] ينظر : الحميداني ، حميد : **قراءة في شعر أبي نواس** ، مجلة جذور ، م 5 ، ج 9 ، 2002 ، ص 34 ، 35 .

[4] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 51 . و شرف الدين ، خليل : **أبو نواس** ، ص 185 . و عطوان ، حسين : **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول** ، ص 113 . و عيسى ، حكمت : **شعر المجون في القرن الثاني الهجري بين الإبداع والزّندقة والشّعوبية** ، ص 224 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 140 . وينظر : ص 692 ، 160 .

لقد كان أبو نواس – على حدّ تعبير طه حسين – فردًا يمثّل ظاهرةً اجتماعيّة نسجتها تأثيراتٌ مختلفة [1] ، وتلك التأثيرات حدت بالشّاعر إلى التفكير والتأمل ، وحفزته على الإبداع الّذي ارتبط بالنّشاط الحضاريّ ، والمظاهر الجديدة لسلوكِ الأفراد في عصر المجون واللهو ، فاستغلّ الشاعر تلك المظاهر أمثل استغلال ، وعزَفَ أنغامًا شعوبيّة على قيثارة الافتتان بالحضارة الفارسية وعمد إلى تلوين أشعاره بأصباغٍ مختلفة [2] ، أظهرت إيثاره لملابس الفرس ، ومظهرهم ، وطريقة تصفيف شعرهم ، فهو يقول :

{ الخفيف }

أَشْـــتَهِي السَّـــاقِيَيْنِ ، لكـــنَّ قلْبـــي   مُسَـــتهامٌ بأَصْـــغَرِ السَّـــاقِيَيْنِ
لـــيس بـــاللَّابِسِ القمـــيصِ ، ولكـــن   ذي القَبَـــاء المُعَقْـــرَبِ الصُّـــدْغَيْنِ
الّــــذي بالجمــــال زيَّنَـــهُ الـــلَّ   هُ ، وحُسْـــنِ الجَبِـــينِ والحـــاجِبَيْنِ
خَرَسَـــنُوهُ ، ومـــا دَرَى مـــا خُرَاســـا   نُ بلـــبْسِ القَبَـــاءِ والمِئـــزَرِيْنِ[3]

حيث يصف الشّاعر ساقيًا ألبِس رداءً خراسانيًا يحكي معالم جسده ، كما أنّه " عَقْربَ " شعره على صدغيه فبدا في غاية الجمال ، ما ميزه عن غيره من السّاقين ، وجعله أثيرًا لدى الشاعر ، فيقول :

{ البسيط }

نازعتُهـــا واضـــحَ الخـــدَّيْنِ ، معتـــدلًا   يحكـــي ببهْجَتِـــه للنَّـــاسِ بَلْقيسَـــا
مقَرْطَـــق ، خرْسَـــنوه فـــي حداثتِـــه   لـــم يُغْـــذَ واللهِ فـــي مـــرْوٍ ولا طُوسَـــا ! [4]

والقرطق لباسٌ فارسيٌّ ، وقد خُرْسن به ذاك الغلام على الرّغم من أنّه لم ينشأ في خراسان ، ولم يربّ فيها [5] ، وهذا دليل على شيوع تلك الملابس في مجتمع أبي نواس ، إذ إنّها لم تعد حكرًا على الفرس وحدهم .

---

[1] ينظر : حسين ، طه : **خصام ونقد** ، ص 257 .

[2] ينظر : الخواجة ، إبراهيم شحادة : **شعر الصّراع السياسي في القرن الثاني الهجري** ، ط 1 ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1984 م ، ص 290 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 136 .

[4] **المصدر السابق:** ص 203 .

[5] يقال : غذوت الصّبيّ فاغتذى ، أي ربيته ، والتغذية : التربية ، ينظر : ابن منظور : **لسان العرب** ، ج 15 ، مادة [غَذَا] ، ص 119 .

ويصف الشاعر الزّنار الّذي كان يشدّه المجوس والنصارى على أوساطهم يميزون به ملابسهم ، ويظهرون به محاسنهم ، فيقول :

{ البسيط }

حتـــى إذا نقلـــتْ كاســـاتِها خُـــرُدٌ   مـــن بـــين ذِي قُرطـــقٍ ، أو ذات زنَّـــارِ
جـــاءَت بمشْـــرِقَةٍ تُهـــدَى السَّـــراةُ بهـــا   إن ضـــلَّ فـــي ظلمـــةٍ عـــن قصـــده السّـــارِي[1]

كما يعرض الشّاعر حليًّا كان يتقلّدها أولئك الغلمان ، ويزدانون بها على نحوٍ مغايرٍ لما كان عليه رجال العرب قبل العصر العباسي ؛ حيث عُرِفوا بالجدّة والخشونة ، فيما اختصت أدوات الزّينة بالنّساء وحدهنّ . يقول أبو نواس :

{ مجزوء الرّمل }

اســـــقني الـــــرَّاحَ علـــــى وجْ   هٍ رَأَيْنـــــــــاهُ نَظيفًـــــــــا
مِـــــنْ وَصـــــيفٍ بِـــــأَبي ذا   كَ وبـــــــالأمِّ وصِـــــــيفًا
مـــن مَهـــا الـــدِّيوانِ قـــد قُـــلِّ   دَ شـــــــذْرًا وشُـــــــنُوفًا
لابسًـــا فـــوق القمـــيص ال   جَـــــوْنِ قُبْطِيًـــــا خَفيفًـــــا[2]

وكان أولئك الغلمان يعلّقون زهر (الآذريون) ، وهو زهرٌ أصفر طيب الرائحة على آذانهم، لا سيّما إن كانوا في مجلس الشّراب ، وفي هذا يقول الشّاعر :

{ الخفيف }

ولهـــمْ مِـــنْ جَنـــاهُ آذَريـــونٌ   وَضَـــعوهُ مَواضِـــعَ الأَقْـــلامِ[3]

وكانوا يُلْقون على أنفسهم حلّة من ياسمين ، يقول أبو نواس :

{ مجزوء الرّمل }

بيـــــدي ســـــاقٍ عليـــــه   حلَّـــــةٌ مـــــن ياســـــمينِ
وعلـــــى الأُذُنَـــــيْنِ مِنْـــــهُ   وَرْدَتـــــا آذَرَيُـــــونِ[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 150 . وينظر : ص 46 ، 82 ، 160 ، 305 ، 683 .

[2] **المصدر السابق:** ص 369 . الشّذر : قطَع من الذهب أو حبات صغار من اللؤلؤ ، والشنوف : جمع شنف وهو القرط والقبطي : نوع من الأثواب المصرية .

[3] **المصدر السابق:** ص 69 .

[4] **المصدر السابق** ، ص 70 .

ويعمد أبو نواس إلى تفصيل طرق تصفيف الشعر المتّبعة لدى الغلمان إذ يقول :

{ البسيط }

معقـــرب الـــرّأس ، كالمســـراجِ ، صـــنْعتُه   سـحْرٌ ، ومـا مسَّـه تعقيـد سـحّارِ[1]

فذاك الغلام قد جعل شعره معقوفًا كذنب العقرب ،دقيقًا في أعلاه، منتفخًا في أسفله كالسّراج [2] ، ولعل تلك الطريقة كانت شائعةً لتصفيف الشّعر عند الخراسانيين ، إذ إنّ الشاعر كرر وصفها في غير موضع ، وقد ربطها بخراسان [3] . وفي وصفه طريقة أخرى لتصفيف الشّعر، يقول:

{ السريع }

يــا ذَا الَّــذي يَخْطِـرُ فــي مَشْـيَتِهْ   قَـدْ صَــفَّفَ الشَّــعْرَ علــى جَبْهَتِــهْ

وســـرَّحَ المِئْـــزَرَ مِـــنْ خلفْـــهِ   ودَقَّـــقَ البـــانَ عَلَـــى وَفْرَتِـــهْ[4]

حيث سوّى ذاك الغلام شعره على جبهته ، ودققه على جانب أذنيه ، فبدا كأنّه بدرٌ تامٌ في وسط ليل مظلم ، وفي هذا يقول :

{ البسيط }

كأنَّمـــا وَجْهُـــه و الشَّـــعر مُلْبسُـــه   بـــدْرٌ تـــنفَّسَ فـــي ذي ظلمـــةٍ داجِ[5]

ومن الغلمان من أطال شعره، وأرسله على ظهره فأخذ يتيه ببهائه وجماله على العباد ، وفي هذا يقول :

{ الوافر }

بِنَفْســـي مـــن يُعَـــذِّبُني هـــواهُ   كـــذاكَ ولـــيسَ لـــي أَمَـــلٌ سِـــواهُ

يتيـــهُ علـــى العِبـــادِ بِحُسْـنِ وَجْـــهٍ   وشَـــعْرٍ قَـــدْ أُطيـــلَ علـــى قفـــاهُ

وأَصْـــــداغٍ يرصِّـــــفُهَا أَميـــــرِي   علـــــى خـــــدٍّ تـــــلألأُ وجْنَتَـــــاهُ[6]

---

[1] أبو نواس : **الديوان**، ص 152 .

[2] **المصدر السابق:** ص 152 .

[3] **المصدر السابق:** ص 220 . وينظر : ص 15 ، 320 ، 337 .

[4]**المصدر السابق:** ص 314.

[5] **المصدر السابق** : ص 317 . وينظر : ص 342 .

[6] **المصدر السابق** :ص 349 . وينظر : ص 32 .

ومنهم من صفف شعره على هيئة حلقاتٍ تشبه حرف الواو ، وأطال أطرافه ولواها فأصبحت على هيئة حرف الفاء ، يقول الشاعر :

{ البسيط }

قَــدْ كَسَّــرَ الشَّــعْرَ واواتٍ ، وَنَضَّــدَهُ فــوق الجبــينِ ، وردَّ الصُّــدْغَ بالفــاءِ[1]

ولم يكن ما أظهره أبو نواس في أشعاره من طرق تصفيف الشّعر أو الملابس مقتصرٌ على الغلمان وحدهم ؛ بل إنّ الفتيات الغلاميّات كنّ يتشبهن بالغلمان في ملابسهنّ وقصّ غدائرهنّ ، ولذا يقول الشاعر :

{ الرجز }

عَــــــذَّبَني حُــــــبُّ غُلامِيَّــــــاتِ
ذواتِ أَصْــــــدَاغٍ مُعَقْرَبَــــــاتِ
مقوَّمــــــاتِ القَــــــدِّ ، مهضــــــوماتِ
يمْشــــــينَ فــــــي قُمْــــــصٍ مُــــــزَرَّرَاتِ[2]

لا بدّ أنّ أبا نواس سعى لإظهار مجتمعه بصورة مكتملة الخطوط والألوان ، وكان لوسائل الحضارة ، وما طرأ على المجتمع من تغيّر الأثر الأبرز في بهاء تلك الصورة وزهو ألوانها ، وكان لريشة الشّاعر دورٌ في عرض أدوات الثّقافة الوافدة التي لم تقتصر على الملابس ، وطرق تسريح الشّعر ، والحليّ ، والجواهر ، وإنّما تعدتها لتبرز ما كان يتزين به الجواري والغلمان من أصباغ ، ومساحيق كالزّواق ، والكحل ، والحنّاء ، التي حضرت في أبيات أبي نواس ، فيقول :

{ الطويل }

غُلامِيَّــةٌ فــي زِيِّهَــا ، بَرْمَكِيَّــةٌ مزوَّقَــةُ الأصْــداغ ، مطْمُومــةُ الشَّــعْرِ[3]

ويقول واصفًا توسّم الغلمان بالحنّاء :

{ البسيط }

مقــرَّطٌ ، وافــرُ الأرْدافِ ، ذو غُــنُجٍ كــأنَّ فــي راحَتَيْــهِ وَسْــمُ حِنّــاءِ[4]

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 702 .

[2]**المصدر السابق**: ص 166 ، 167 . وينظر : ص 278 .

[3] **المصدر السابق**: ص 264 .

[4] **المصدر السابق** : ص 701 .

ويقول مفتتنًا بجمال جارية تدعى " نبات " :

{ البسيط }

أمَّـــا نبـــاتُ فَقَـــد أضـــحت مخضَّـــبةً	**والشَّـــعْر مفْتـــرِقٌ بالبـــان مغْسُـــولُ**
قالـــت : تعلّلْـــتُ بالحنّـــاء، قلـــت لهـــا:	**مـــا بالتَّطـــاريفِ بالحنَّـــاء تعليـــلُ**
هــذي التَّطــاريف مــن غــنْجٍ ومــن عبَــثٍ	**كمــا زعمــت فمــا للطّــرفِ مَكحــولُ؟**
قالـــت كَحِلْـــتُ بعـــذْر العـــين مـــن رمَـــدٍ	**فقلـــتُ عـــذرًا فمـــا للشّـــعر مبلـــولُ؟[1]**

فقد خضبت " نبات " أصابعها بالحنّاء ، واكتحلت في تيه ودلال ، وغالت في تطيب شعرها إذ غسلته بالبان فأضحت فتنة تشغل النّاس ، كما شغلت الشّاعر فأضحى متغنيًا بجمالها وجمال من شاكلها من الجواري والغلمان ، ممن أسرفوا في التطّيب ، واستخدام أدوات الزّينة [2] .

ثانيًا : موقف أبي نواس من المرأة .

أدّت بعض النساء في العصر العباسيّ دورًا مهمًا في تغيير ملامح ذلك العصر ، وأسهمنَ إسهامًا كبيرًا في تبديل صفاته ، ودفعن به إلى هاوية الانحلال الخلقيّ ، بل إنّهنّ كنَّ وقودًا لأضخم موجة تحلل خُلُقيّ واجتماعي عرفها التاريخ العربيّ ؛ حين بتنَ مثارًا للهو والعبث ، فقد فرضت المرأة العبّاسية – حرّة وجارية – سلتطها على مجتمعها ، وألقت به في غياهب المجون، وقوضت دعائمه وأركانه حين جعلته في لهثٍ دائبٍ وراء الملذّات والمسرّات التي تفننت في ابتكارها وإظهارها [3] ؛ كردة فعلٍ عكسيّة على إيثار رجال عصرها للغلمان وتفضيلهم لمواصلتهم، ولا سيّما في عهد الأمين الّذي غالى في طلبهم ورفع منزلتهم إلى الحدّ الّذي دفع أمّه إلى أن " اتخذت الجواري المعدودات الحسان الوجوه ، فطرت رؤوسهنّ ، وجعلت لهنّ الطرر والأصداغ وشعور الأقفاء ، وألبستهنّ الأقبية والمناطق ، وكانت أوّل من فعل ذلك ، وبعثت بهنّ

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 309 . التّطاريف : خضاب أطراف الأصابع .

[2] **المصدر السابق** : ص 289 ، 303 ،385 .

[3] ينظر : الزعيم ، أحلام : **المرأة ودورها في حركة الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والثّقافيّة في العصر العباسي** ،الموقف العربي ، م 16 ، ع 184 ، 1986 م، ص97 ، 121 .

إليه ، وأبرزتهنّ للناس ، فاتخذ الناس الخاصة والعامة الجواري المطرورات ، وألبسوهنّ الأقبية والمناطق وسموهنّ الغلاميات " [1] .

فالغلاميات ظاهرة أشيعت بفعل التّطور الحضاري صاحب الأثر الأبرز في إثارة النزاعات بين الحرائر ، والجواري والغلمان ، كل منهم يحاول الاستحواذ على قلب الرجل والاستئثار بهواه ، فعمّت الخلاعة ، وطغى الفساد ، حيث غصّت القصور ، والبيوت والحانات ، والأسواق والطّرقات بالجواري ، والغلاميّات الفاتنات اللّواتي سعى الرّجال وراءهنّ طلبًا للمتع واللذائذ ، منصرفين عن المرأة الحرّة التي أخذت تتنازل عن مكانتها ومنزلتها ، حيث أقحمت في ميدان التّنافس مع الجواري والغلمان [2] ، ويمكن القول : إنّ امرأة ذلك العصر كانت أكثر ضياعًا واستلابًا عنه في العصور السابقة ؛ فقد غُيّبت عن مراكز القوى ، وباتت دمية تسعى إلى امتلاك وسائل النّفوذ بالانقياد إلى الانحلال ، والسير في طريق الغواية ، ثائرةً على الأعراف والتّقاليد التي هيمنت على المجتمع فترات طويلة [3] .

ولا شكّ أنّ الرجل ساهم في إشعال تلك الثّورة حين بات أسيرًا للغواية ، طائعًا لأدوات اللّهو، مقيمًا في دور الجواري والقيان اللّواتي لم يعدمن حيلةً للإيقاع به ؛ من خلال دور المغنّية أو الساقية ، أو النّديمة الخليلة ، أو الشاعرة التي كانت تباري كبار الشّعراء وتجاريهم ، وتثبت تفوقها عليهم ، أو المسامرة التي تروي القصص وتشيع الأخبار ، الأمر الذي اختلق مناخًا صاخبًا، حدا بالشّعراء إلى التّجرد من ثياب الفضيلة، وانتزاع برود الدّين والأخلاق بالخضوع إلى سطوة الغزل والخمر ومجالس الغناء [4] .

---

[1] اليعقوبي : **مشاكلة النّاس لزمانهم وما يغلب عليهم في كلّ عصر** ، تح : محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص 38 ، 39 .

[2] ينظر : عبده ، إسماعيل : **المرأة في شعر القرن الثاني الهجري** ، رسالة ماجستير ، كليّة الآداب بجامعة الإسكندريّة ، 1982م ، عالم الكتب ، م 3 ، ع 3 ، ص 377 .

[3] ينظر : الزعيم ، أحلام : **المرأة ودورها في حركة الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والثّقافيّة في العصر العباسي** ، ص97 .

[4] **المرجع السابق** : ص 97 ، 111 . و عبده ، حسين إسماعيل : **المرأة في شعر القرن الثاني الهجري** ، ص 377 .

فجاء حديثهم في مغامراتهم مع الجواري والقيان حديثًا مغايرًا للعفّة والطّهارة ، مؤثرًا للفحش والخلاعة بعيدًا كلّ البعد عمّا أمر به الإسلام ، ولكنّه كان صادقًا في تصوير الواقع المستجدّ بفكره الحرّ ، ونظرته المستقلّة [1] .

ولأبي نواس مذهبٌ خاصٌ في تعرية ذلك الواقع وتوضيح تلك النظرة ، وله لونٌ متميّزٌ مكنه من اعتراض قيم مجتمعه واختراقها بما يوافق أفكاره ويثبت تمرده ؛ فالمرأة في شعره امرأة مختلفة تمثل انقلابه الرافض لنصف المجتمع ، للمرأة المثالية التي تهافت الشّعراء على التغزل بها وتعداد مناقبها ، ووصف ما يعتريهم من لواعج حبّها وألم الاشتياق لها .

إذ لم يحفل أبو نواس يومًا بامرأةٍ حرّة تأسره وتشغف قلبه ؛ فلم يعد الوصول إلى المرأة في عصره أمرًا صعبًا ، بل أضحى سهلًا ميسورًا فيه من الإباحة ما جعله في درجة الابتذال والامتهان نظرًا لشيوع الإماء وغلبة الجواري من كلّ الأجناس والألوان [2] .

ولم يخل ذهن الشّاعر من صور المرأة العابثة المتهالكة على الخلاعة ، المسرفة في المجون ؛ و لا سيّما أنّه حُمِّل عقدًا نفسية نشأت معه في طفولته ، وبلغت أوجها في شبابه ، حيث مضى يبحث عن امرأة تناقض صورة أمّه التي دفعته إلى التّمادي في الانحراف عندما كان بحاجة ملحّة إلى عطف الأم ، ولعلّه ألفى ضالته في جارية اتسمت بالعفّة والطّهارة ، ولكنّها صدمته وأذلت كبرياءه ، على الرغم من أنّه كلف بها وهام في حبّها ، واحتمل في سبيل الوصول إليها ما لا يحتمله مداعبٌ ماجنٌ ، فتخاطفته لجّة الشذوذ ، وغرق في ظلام المعصية بميله إلى جنس الذّكور ، وإعلان بغضه النّساء [3] .

لقد أضحى أبو نواس هائمًا باللّذة التي تحول بينه وبين آلامه المختزنة في ماضيه ، مقبلًا على حياة ابتدعها لينسى عجزه عن الاتصال بالنّساء اتصالًا طبيعيًا كما كان غيره يكتوي بنار الوجد ويحترق بلوعة الحب ، فالشاعر خرج من بيته إلى خضمّ الحياة في ظروفٍ خاصة جعلته

---

[1] نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس** ، ص 56 .

[2] ينظر : النويهي : **نفسية أبي نواس** ، ص 89 .

[3] ينظر : شلق ، علي : **أبو نواس بين التخطي والالتزام** ، ص 197 ، 198 . و حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 107 .

بعيدًا كلّ البعد عن عذرية الحب ، مخفقًا كل الإخفاق في الظّفر بقلب الأنثى ، فاشلًا في إقامة حياة زوجيّة قائمة على حياةٍ متّصلة مع امرأة [1] .

ولأنّ أبا نواس أراد أن يتغلب على الثقل المُعتمل في داخله من صورة المرأة الخائنة " جلبان " ، والمرأة الرافضة " جنان " ، ولأنّه أراد الثورة على نمطيّة الصّورة تراه يعبّر عن بغضه واشمئزازه من النساء ، فيقول :

{ الوافر }

ومظْهـــــرةٍ لِخَلْـــــقِ اللهِ نُســــكًا	**وتلْقـــــــانِي بـــــــدَلٍّ وابْتِسَـــــامِ**
أتيْــــتُ فؤادَهـــــا أَشْـــكو إليــــه	**فلـــم أخْلُـــصْ إليـــه مـــن الزّحـــامِ**
فيـــا مـــنْ لـــيس يكفيهـــا خليـــلٌ	**ولا أَلْفَـــــا خليـــــلٍ كـــــلَّ عـــــامِ**
أظنُّـــكَ مِـــن بقيَّـــةِ قَـــوْمِ موسَـــى	**فهـــمْ لا يصْـــبرون عَلَـــى طعـــامِ** [2]

وتراه يصفهنّ بالغدر ، فيقول :

{ السريع }

قـــــوُلَا لِمَـــــنْ يَعْشَـــــقُ قصْـــريَّةً	**يسْـــتَفُّ حُرْفًـــا قَبـــل إفْلَاسِـــــهِ**
فَقَـــدْ ثَـــوى فـــي كـــفّ ســـدَّاجَةٍ	**مسْـــرعةٍ فـــي قلْـــعِ أضراسِـــــهِ**
تواصـــــلُ العشّـــاقَ حتـــــى إذا	**مـــــا أخـــــذ الفقْـــــرُ بأنفاسِـــــهِ**
دلّـــتْ بغـــدْرٍ ، وقـــرون الفتـــى	**تهتـــزّ بالكشْـــخِ عَلَـــى راسِـــهِ** [3]

وتراه يغالي في ذمّ المرأة وتعداد عيوبها إلى الحدّ الذي يفضي به إلى الكراهة والاستبشاع ، فالحيض ، والولادة ، وطقوس الطّهارة ، والجنابة ، أمورٌ تعزز من موقفه السّلبي من المرأة ، وتوضح سبب رفضه لها [4] . فهو يقول :

{ السريع }

صــــاحبَةَ القرْقـــــر لا تَشْـــغَبي	**تَحَمَّلـــــي طَالِقَـــــةً واذْهَبِـــــي**

---

[1] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 111 . و النويهي : **نفسية أبي نواس** ، ص 89 ، و حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 67 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 542 .

[3] **المصدر السابق:** ص 542 . الحُرْف : الحب . و السدّاجة : الكذّابة . وينظر ، ص 311 .

[4] ينظر : النويهي : **نفسية أبي نواس** ، ص 81 . و حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 65.

مُــــرّي فَكَـــم مِثلـــكِ مـــنْ حُـــرَّةٍ   رائعــــةٍ لــــم تَــــكُ مِــــنْ مَطْلَبِــــي
لا أشْــــتَهي الحَــــيْضَ ولا أَهْلَــــهُ   غَيْــرُكِ أَشْــهى مِنْــكِ فــي المَرْكَــبِ
لا أُدْخِـــل الجحـــرَ يـــدي طَائِعًـــا   أَخْشَـــى مِـــنَ الحَيَّـــةِ والعَقْـــرَبِ[1]

وهو معرضٌ عنها وإن كانت في حسنها كيوسف ، عليه السلام ، و وكبلقيس في الجمال والدّلال ، ولذا يقول :

{ الطويل }

أقُـــولُ لَهـــا لَمّـــا أَتتنـــي تَـــدُلّني   علـــى امْـــرَأةٍ موْصـــوفَةٍ بِجمـــالِ
أَصَـبْتِ لهـا يـا أخـتُ فحـلًا كمـا اشـتهتْ   إذا أغفلَـــتْ مِنِّـــي ثَـــلاثَ خِـــلالِ
فمـــنهُنَّ فسْـــقٌ ، لا يُنـــادَى وليـــدُهُ   ورقَّـــة إســـلامٍ ، وقلّـــة مـــال
ولـــوْ أنَّهـــا فـــي الحسْـــنِ كانَـــتْ كيُوســـفٍ   وبِلْقَـــيسَ ، أو كانـــتْ كخـــطِّ مثـــالِ
وقالـــت تزوَّجْنِـــي علـــى مهْـــرِ درهـــمٍ   لقلْـــتُ اذْهَبِـــي عنِّـــي فمهـــرُكِ غـــالِ[2]

إنّ المرأة التي يبحث عنها أبو نواس امرأةٌ مختلفة ، نموذجٌ متمردٌ منقلب ، امرأة حرّة لا تخضع للتقاليد أو القيم؛ دينية كانت أم أخلاقيّة ، إنّها أنثى لم تتضج بعد ، فتقترب بصفاتها من الغلام ، أو تكاد تكون غلامًا . هي (المذكرة المؤنّثة) التي تَبْعُدُ عن خشونة الذّكورة وقسوتها وعن مساوئ المرأة وسلبيتها ، والتي تغري عاشقها برقتها الأنثوية ، وبلباسها الغلاميّ ، وإهمالها لزينة النّساء [3] . وفيها يقول :

{ الطويل }

لقـــد صُـــبِّحَتْ بـــالخَيْرِ عـــيْنٌ تَصَـــبَّحَتْ   بوجْهِـكَ يـا " معْشُـوقُ " فـي كـلِّ شـارِقِ
مُقَرْطَقَـــةٌ لـــم يَحْنِهـــا ســـحْبُ ذَيْلِهـــا   ولا نازعتهـــا الـــرّيح فضْـــلَ البَنـــائِقِ
تُشـــارِكُ فـــي الصّـــنْعِ النّســـاءَ ، وســـلّمَتْ   لَهُـــنّ صـــنُوف الحلْـــيِ ، غيْـــر المنـــاطقِ
ومطمومـــــةٍ لـــــم تَتَّصـــــلْ بِذُؤَابَـــــةٍ   ولـــم تَعْتَقِـــدْ بالتّـــاجِ فـــوق المفـــارِقِ
غـــــلامٌ وإلّا فـــــالغلامُ شَـــــبِيهُها   وريْحـــانُ دنْيـــا ، لـــذَّةٌ لِلْمُعـــانِقِ
تجمَّـــعَ فيهـــا الشَّـــكْلُ والـــزّيُّ كلُّـــهُ   فلـــيس يُـــوَفِّى وصْـــفَها قَـــوْلَ نـــاطِقِ[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، الحاشية ، ص 312 . وينظر : أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 62 ، 64 .

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 312 .

[3] ينظر : العقاد : أبو نواس ، ص 136 . وحسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 65 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 258 ، 259 .

لقد خاطب الشاعر تلك الغلامية " بالمعشوق " ، وخلع عليها من الصّفات ما يؤهلها لتشبه الغلام ؛ فهي مقرطقةٌ ترتدي ثيابًا قصيرة فلا تضطرّ إلى جرّ ذيلها ، وشعرها قصيرٌ لم تطل على جوانبه ذوائب ، ولم تزين وجهها بالأصباغ تزينًا كاملًا كما تفعل النساء ، إلّا أنّها بدت ساحرة تستميل النّفوس بكل ما لديها من تيه ودلال [1] .

ويرى بعض النّقاد أنّ ميل أبي نواس إلى هذا النّوع من النّساء عائدٌ إلى شذوذه وطبيعته الجنسية التي تتشبّه بكلا الجنسين ؛ فهو يحبّ الفتاة لأنها كالفتى ، وحبّ الفتى لأنّه كالفتاة [2] ، ويبحث عن صفات الذكورة في الأنثى ، وعن صفات الأنوثة في الغلام ، ويجسد في شعره صورًا حيّة ناطقةً بالجمال المثالي الذي كان يسعى جاهدًا لإيجادة في معشوقيه من الغلمان ، ومعشوقاته من الغلاميات ، فنظر إلى قوله في وصف غلاميّة :

{ الوافر }

وخُـذْ مِـنْ كَـفِّ جارِيَـةٍ ، وَصـيفٍ ... رَخـيمِ الـدلِّ مَلْثـوغِ الكَـلامِ
لَهـا شَـكْلُ الغـلامِ وبـينَ بـيْنٍ ... تـرى فيهـا تكارِيـةَ الغُـلامِ
فأحيانًـا تقطِّـبُ حاجبيْهـا ... وأحْيانًـا تَثَنَّـى كالحسـامِ[3]

إنّه معجبٌ بالغلامية لأنّها ترضي مجونه ، حيث تصلح لما يصلح له الذّكر ، وما تصلح له الأنثى ، فلا عجب إذن أن يبكيَ شوقًا إليها ، فيقول :

{ السريع }

وخُـذْ مِـنْ كَـفِّ جارِيَـةٍ ، وَصـيفٍ ... رَخـيمِ الـدلِّ مَلْثـوغِ الكَـلامِ
لَهـا شَـكْلُ الغـلامِ وبـينَ بـيْنٍ ... تـرى فيهـا تكارِيـةَ الغُـلامِ
فأحيانًـا تقطِّـبُ حاجبيْهـا ... وأحْيانًـا تَثَنَّـى كالحسـامِ
أَضْـحَكَني الحـبُّ وأَبكَـانِي ... وهـاجَ شَـوْقِي طـولُ كتمـانِي
مِـنْ حُـبِّ حـوراءَ ، رُصَـافيَّةٍ ... كأنّهـا غُصْـنٌ مِـنَ البـانِ
مَطْموسَـةُ الشَّـعر ، غُلاميَّـة ... تصْـلُح لِلُّـوطيِّ والزَّانِـي[4]

---

[1] ينظر : بكار ، يوسف حسين : **اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري** ، ص 121 .
[2] ينظر : العقاد : **أبو نواس** ، ص 137 . و دكاش ، نضال الأميوني : **ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم** ، ص 152 ، 153 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 693 .
[4] **المصدر السابق** : ص 301 .

ولا عجب أن تراه يحثّها على ارتداء زيّ الغلام ، ومحاكاة تصرفاته ، حيث يرفع من قدرها ويجعلها تتيه على الجواري بقدرتها على إغراء الرّجال وإيقاعهم بغرامها وفتكها ، إذ يقول :

{ الوافر }

وَشَاطِرةٍ تَتيهُ بحسنِ وَجْهٍ ... كَضَوْءِ البَرْقِ في جُنْح الظَّلامِ
رأت زيَّ الغلامِ أَتَمَّ حُسْنًا ... وأَدْنَى للفسوقِ وللأَثامِ
فما زالَتْ تُصِّرف فيه حتّى ... حكتْهُ في الفعالِ وفي الكلامِ
وراحَت تَسْتطيلِ على الجَواري ... بفضْلٍ في الشَّطارَةِ والغَرامِ
وتَغْدو للصَّوالجِ كلَّ يَوْمٍ ... وتَرْمي بالبنائِقِ والسِّهامِ
تُرَجِّلُ شَعْرَها ، وتطيلُ صُدْغًا ... وَتَلْوِي كُمَّها فِعْلَ الغُلامِ[1]

لقد امتلكت الغلاميّات كلّ أسباب الغواية فبتن قادراتٍ على خداع الرّجل ؛ إذ يطمعه بالوصل فيلهبنَ قلبه ، فيجتهد في الوصول إليهنّ ، ولكنّه يقابل بالصّد ، ولذا ترى الشّاعر يبثُ آهات سقمه وشكواه من محبوبة جرّدت من عينيها سيفًا لا يهدأ حتّى يفتك بكلّ مستهامٍ فيرتوي من دمائه ، ولكنّه على الرّغم من ذلك يبكي فراقها وبعدها ، فيقول :

{ الوافر }

أَبَتْ عيْنَايَ بعْدَكَ أن تَنَامَا ... وكيفَ يَنَامُ مَنْ ضَمِنَ السَّقَامَا
بكَيْتُ منَ الفِراقِ لما أُلاقِي ... وراجعْتُ الصَّبابة والغَرامَا
مُذَكَّرةٌ مؤَنَّثَةٌ مَهاةٌ ... إذا بَرَزَتْ تشبِّهُهَا غُلامَا
تَقولُ لِسَيْفِها يا سَيْفُ أَبْشِرْ ... سَتُرْوَى مِنْ دَمٍ وَتَقُدُّ هَامَا
وقائلةٍ لها منْ وَجْه نُصْحٍ ... عَلامَ قَتَلْتِ هذا المُسْتَهَامَا ؟![2]

ويقول في فتاة خدعته بمظهرها الغلاميّ ، فأعيته في تتبعها ، وإغرائها ، والتوسل إليها بالخمر والشّعر لنيل وصلها :

{ الطويل }

وناهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ منْ خَدَمِ القَصْرِ ... سَبَتْني بُحسْنِ الجيدِ والوجْهِ والنَّحْرِ
غُلامِيَّةٌ في زِيِّها ، بَرْمَكيَّةٌ ... مزوَّقَةُ الأصْداغِ ، مَطْمُومةَ الشَّعرِ

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 374 .

[2] **المصدر السابق**:ص 250 . وينظر : 310 .

كَلِفْـتُ بمـا أبْصَـرْتُ مـن حسْـنِ وجْهِهَـا   زمانًـا ، ومـا حـبُّ الكواعِـبِ مِـنْ أَمْـري
فلمّـا تواصَـلْنَا تَوسَّـطْت لُجَّـةً   غَرِقْـتُ بِهـا يـا قَـوم مـن لُجَـجِ البَحْـرِ
فَصِـحْتُ " أَغثْنـي يـا غُـلامُ " فجـاءَني   وقـد زَلِقَـتْ رِجْلـي ، ولَجَّجْـتُ فـي الغَمْـرِ
فلـولا صِـياحِي بـالغلام ، وأنَّـه   تـداركني بالحبـل صـرْتُ إلـى القَعْـرِ
فآليْـتُ ألّا أَرْكَـبَ البَحْـرَ غازِيًـا   حيـاتِي ، ولا سـافرت إلّا علـى الظَّهْـرِ[1]

لقد استشاط الشّاعر غضبًا عندما اكتشف أنّها امرأةٌ ناضجة ، فثار عليها ، وثار على البحر الذي يرمز إليها ، وعقد عزمه ألّا يسافر إلّا في طريق البر [2] ، والتمس هذا الطريق في تعشّق الغلمان ، " وزاد من لذّة هذا العشق أنّه شيءٌ جديدٌ غريبٌ غير مألوف ، فيه مسحة الابتكار الّتي يهواها الذّهن الفنيّ ، وأنّ تحقيقه يحتاج من المحبّ على سعيٍ وجهدٍ ومحاولة ، وإلى تضرّع المحبوب والتّوصل إليه قبل أن ينال رضاه " [3] .

ولذا فقد فاضت أشعاره بالغلمان بمعاني الشّكوى والحزن واللّوعة من قسوة المحبوب ، إذ أضحى مصير الشّاعر بين يديه ، فيقول :

{ السريع }

أَفْنَيْـتُ فيـكَ مَعـالِمَ الشَّـكْوى   وصـفَاتِ مـا أَلْقَـى مـن الْبَلْـوَى
فلَـوَ انَّ مـا أشـكُو إلـى بشَـرٍ   لأَراحَنـي مِـنْ ذِلَّـةِ الشَّـكْوَى
لكنَّمـا أَشْـكو إلـى حجَـرٍ   تَنْبـو المعَـاوِلُ عَنْـهُ أوْ أَقْسَـى
ظَبْـيٌ بمَبْكـاهُ ومَضْـحَكِهِ   فِينَـا تُنيـرُ وتُظْلِـمُ الـدُّنْيا[4]

وكلّما تمنّع المحبوب ازداد الشّاعر تعلقًا به ولهفة عليه ، ولا سيّما أنّه غدا صريعًا لتفتير عينيه ، قتيلاً بخنجر حبّه ، فيقول :

{ السريع }

أوعـدتني القتـل مـن غيـر مـا   جـرمٍ وقلبـي رهـن كفيكـا

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 264 .
[2] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرف بين الأصالة والحداثة** ، ص 65 .
[3] النويهي : **نفسية أبي نواس** ، ص 89 .
[4] أبو نواس ، **الديوان** ، ص 266 .

يـــا موعـــدي بالقتـــل قـــد حـــالف   الخنجـــر فـــي قتلـــي يمينيكـــا[1]

وقد بلغ الأمر بالشاعر إلى أن جعل نفسه عبدًا لمحبوبه يتبعه أينما حلّ ، على الرّغم من أنّ ذاك المحبوب أشبع روحه عذابًا ، وجعله عرضةً للنوازل والكروب ، فيقول :

{ المجتث }

عـــــزُّوا أخـــــلَّايَ قلبـــــي   فقـــــد أصـــــبْتُ بلبّـــــي
يـــــا حِـــــبُّ مَلّكْـــــتَ رِقِّـــــي   مـــــن لا يُسَـــــرُّ بقُرْبِـــــي
أنـــــا الفـــــداءُ لظبْـــــيٍ   مُفَتَّـــــرِ اللَّحْـــــظِ ، رَطْـــــبِ
مـــــن لـــــيس يخْفَـــــى عليـــــه   حُبِّـــــي ، ولكـــــن يغبِّـــــي
لـــــم تمـــــشِ رجْلـــــي لشـــــيءٍ   حتّـــــى مشَـــــى فيـــــه قلبـــــي[2]

ولا يخفى على القارئ ما أضفاه أبو نواس على أبياته السّابقة من معانٍ تثير الشّفقة ، إذ هو يطلب الوصل ، ويقابل بالهجر ، ويستعد لفداء المحبوب المتمنّع عنه بنفسه ، ولكنّه يرفضه ، فيتوسّل إليه ، وينشد عطفه ، فيقول :

{ البسيط }

الجسْـــمُ مِنِّـــي سَـــقيمٌ شَـــفَّهُ النَّصَـــبُ   والْقَلْـــبُ ذُو لَوْعَـــةٍ كالنّـــارِ تلْتَهِـــبُ
إنّـــي هَوَيْـــتُ حَبيبًـــا لَسْـــتُ أَذْكُـــره   إلّا تَبـــادَرَ مـــاءُ العـــينِ يَنْسَـــكِبُ
مزَنَّـــرٌ يَتمشّـــى نَحـــوَ بيْعَتِـــهِ   إلهـــهُ الابْـــنُ فيمـــا قـــالَ والصُّـــلُبُ
يـــا لَيْتَنـــي القِـــسُّ أو مطْـــرانُ بَيْعَتِـــهِ   أو لَيْتَنـــي عِنْـــدَهُ الإنجيـــلُ والكُتُـــبُ
أو لَيْتَنـــي كنـــتُ قُرْبَانًـــا يقرّبُـــهُ   أو كـــأسُ خَمْرَتِـــهِ ، أوْ لَيْتَنـــي الحبَـــبُ
كيْمـــا أَفَـــوزُ بقـــرْبٍ منْـــهُ ينْفَعُنـــي   وينْجَلـــي سَـــقَمِي والبـــثُّ والكُـــرَبُ[3]

فانظر كيف يتمنى الشاعر أن يكون قسًا أو مطرانًا في كنيسة ذاك الغلام المسيحي ، وكيف يرضى لنفسه أن يكون قربانًا يقرّبه ، أو شيئًا من متعلقاته فقط ليحظى بقربه الذي يحقق له جلاء ما يبثّ من سقمٍ وبلوى . الأمر الذي يحدو بالباحث إلى التساؤل عن الدافع الكامن وراء انطلاق

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 354 .
[2] **المصدر السابق** ، ص 360 .
[3]**المصدر السابق:** ص 333 . وينظر : ص 366 .

أبي نواس إلى فضاء الغزل بالغلمان ، متجاهلًا ما سبقه من موضوعات الغزل ، منقلبًا على المفاهيم التي درج عليها أسلافه من الشعراء ، مثبتًا تمرّده بإضافة مفاهيم جديدةٍ لم تخضع لسلطان عقيدةٍ أو لسلطة رقيب [1] ، وإنّما هي وليدة الحداثة المنبثقة عن الحضارة والعصر الجديد ، العصر الّذي ألقى الضوء على مجون المجتمع ، وسلّط عدسته على ما فيه من فحشٍ وفساد في أسلوبٍ داعبٍ ظريف يرغم القارئ على الإعجاب بذاك الشعر ، وإن كان مصرًا أشدّ الإصرار وأعنفه على أنّه غزلٌ مخالفٌ للشريعة والطّبيعة التي جبلت عليها النّفوس ، وحتّى الأخلاق التي يحثّ عليها الدين [2] .

ويَخلُص الباحث إلى أنّ الشاعر سافرٌ في عبثه ومجونه ساخطٌ على القيود ، متحدٍ للمجتمع، فمن الصعوبة أن يوضع شعره في مقياس صدق العاطفة أو كذبها [3] ؛ لأنّه يبحث في نفسه عن نموذجٍ متفردٍ ، يظهر ما يجول في ذهنه من أفكار وعقائد ، و لا يعبأُ إن كانت تحوز رضى النّاس أو تستدعي غضبهم ، فكلّ ما يهمّه هو الحريّة ، ولذا يقول :

{ الوافر }

وعاذِلَـــــةٍ تَلُـــــومُ علــــى اصْــــطِفائِي ... غلامًـــا واضـــحًا مثــــل المهــــاةِ
وقالـــت : " قـــد حرمْـــتَ ولـــم تُوَفَّـــقْ ... لطيـــبِ هَـــوى وصـــالِ الغَانِيَـــاتِ "
فقلـــت لهـــا : " جهِلْـــت ! فلـــيس مثلـــي ... بخـــــادِعِ نَفْسِـــــهِ بالتُّرَّهَـــــاتِ "
أأختـــــارُ البِحـــــارَ علـــــى البَـــــرارِي ... وأحيانًـــا علـــى ظبْـــيِ الغـــلاةِ ...!!
دعينـــــي ؛ لا تلُـــــوميني ؛ فـــــإنِّي ... علـــى مـــا تَكْـــرَهينَ إلـــى الممـــاتِ
بـــــذَا أوْصَـــــى كتـــــابُ اللهِ فينـــــا ... بتفْضـــيلِ البنـــينَ علـــى البنـــاتِ[4]

هو يلجأ إلى منطقه المعكوس ، يحرّم الحلال ويستبيح الحرام ، ولا يرتكب الإثم فحسب ، ولكنّه يجاهر به ، ويواجه بعنادٍ لائميه ، مسقطًا قناع مجتمعه الذي جعله رأسًا في الضّلال[5] .

---

[1] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 71 ، 72 .

[2] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 111 . و الزعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد** ، ص 194 .

[3] ينظر : العقاد : **أبو نواس** ، ص 136 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 715 .

[5] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 42 .

إنّ المجون والضّلال مؤثراتٌ احتضنها أبو نواس ، وصاغها صياغةً خاصةً حين جعلها أشدّ حدّة وأكثر عنفًا ، وواجه بها مجتمعه الّذي احتضن شذوذه ، بل وهيأ له الحصول على لذّته بكلّ ما وفّره من أدوات الحضارة وأساليب الفساد ، فلم يدخل أبو نواس على عصره فسادًا لم يوجد فيه [1] ، ولم يكن ظهور بعض اللإناث بمظهر الذّكر ، وظهور بعض الذّكور بمظهر الأنثى إلى الحدّ الذي يصعب التّفريق بينهما من نسج خيال الشّاعر ، ولكنّه من نتاج الحضارة ومن صنعة التقدم ؛ فقد التبس أمر التمييز بينهما على الشّاعر نفسه ، فهو يقول :

{ مجزوء الخفيف }

يــــا أَبَـــا القاسِـــمِ قَلْبـــي   بِـــــكَ صَـــــبٌّ مُسْـــــتَهامُ
بــــأَبِي مرْكَبُــــكَ الصَّـــعْ   بُ الـــــذي لـــــيس يُـــــرَامُ
طِبْـــتَ والعَفَـــةُ عَـــنْ تَـــق   بيـــــلِ خَـــــدَّيْكَ حَـــــرامُ
فـــــأبنْ لـــــي أكَعَـــــابٌ   أنـــــتَ.. أم أنـــــتَ غُـــــلامُ ؟؟[2]

وكيف لا يقع الشّاعر في فخّ التّفريق بينهما ، وقد تزيّا الغلام بزيّ الفتاة ، وارتدت الفتاة لباس الغلام ، وبدا كلاهما غنجًا في مشيته ، أغنًّا في صوته ، أهيفَ القدّ ، معقربَ الصّدغ ، مخنّثًا صالحًا لكل إثم ؟! وفي وصفهم يقول الشاعر :

{ الطويل }

ومشْـــتَرَكٍ فيـــه إذا الـــوهم نالـــه   تَخَنُّـــثِ أنثـــى واعتـــدال غُـــلامِ[3]

ويقول :

{ البسيط }

يَسْـــعَى بِهـــا خَنِـــثٌ فـــي زيِّ جارِيـــةٍ   مُطَيَّـــبٌ صُـــدْغه فـــي طيِّـــبِ البـــانِ[4]

وكلاهما مرآةٌ لحياة التّرف والرّفاهيّة التي أرخت سدولها على مجتمع القرن الثاني للهجرة ، ومظهرٌ من مظاهر الفلتان الذي أباح الشّهوات [5] ، ووسع آفاق الملذات .

---

[1] ينظر : دهمان ، أحمد : **التفاعل بين الحياة والفن وتأثيره في الشعر العباسي** ، ص 108 ، 109 .
[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 730 .
[3] **المصدر السابق** ، ص 371 .
[4] أبو نواس: **الديوان،** ص 677 . وينظر : ص 150 ، 303 ، 350 ، 373 ، 681 .
[5] ينظر : دكاش ، نضال الأميوني : **ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم** ، ص 152 .

فبماذا تصنّف عُقَدُ الشاعر إذا ما قورنت بعقد عصره ، وبماذا يوصف شذوذه إذا ما قورن بشذوذ مجتمعه ؟ وكيف لشاعرٍ مثله مرهف الحسّ مضطرم الشعور رقيق المعاني أن يتغاضى عن منكراتٍ انجرف إليها معاصروه على أنّها وسيلةٌ للرقيّ وأداةٌ للتحضر دون أن يصفها ، بل أن يغوص فيها ويجاري تيارها ليثبت تفوقه عليها ؟

لقد حمل أبو نواس على عاتقه عبء الثورة ، وامتلك من الشّجاعة ما مكنه من تقديم صورةٍ أمينة عن واقعه المتجاوز الحدود ، فأضحى صاحب الفكر الثّوريّ الذي توغّل في كل مؤسسات مجتمعه منقلبًا على الأيدولوجيات القديمة [1] ، والعقائد التي رآها بالية ، مؤسسًا لثقافة جديدة استوجبها عصره، وكان هو الأقدر على حملها والنّهوض بعبئها .

[1] ينظر : أدونيس : **زمن الشعر** ، ص 140 .

الفصل الثالث

أثر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في لغة أبي نواس وأسلوبه الشعري

أولاً : لغة أبي نواس

ثانيًا : الأسلوب الشعري

1- التناص

2- الحوار والأسلوب القصصي

3- التكرار

4- السخرية

الفصل الثالث

أثر الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في لغة أبي نواس وأسلوبه الشعري

أولًا : لُغة أبي نواس

تُوصَف اللُّغة العربية بأنّها لغةٌ حيّة قابلةٌ للتّطور والنّمو ، وقادرةٌ على مواكبة الحياة في سيرها ، والتّماشي مع المجتمعات في تطورها ، فتتسع لكلّ جديد تبعًا لتغير العصر الذي تعيشه[1].

وقد بدأت اللّغة العربية مع بداية العصر العبّاسيّ ، واستقرار أوضاع المجتمع الجديد عصرًا لغويًا جديدًا ؛ فكانت محطّة للدّخيل والمعرب والمولّد الأعجميّ ، وكلّ ما توغل من ألفاظٍ أجنبية وفدت مع الحضارة ، وكانت دافعًا لظهور تيار تجديدي يدعو إلى تغيير يجاري التقدم والانفتاح بالثّورة على العربيّة القديمة بلغتها وأساليبها وكلّ ما دعا إليه التيّار التقليديّ المتعصب للبداوة والجزالة والغريب [2] .

ولأنّ " النّص الشعري ليس في الواقع إلّا بنية لغويّة تشتمل على مضمون مركب من وظائف لغويّة ونزعاتٍ نفسيّة ، ورموزٍ اجتماعيّة ، وومضاتٍ جماليّة " . [3] ، كان لا بدّ من الوقوف على لغة أبي نواس بوصفها لغةً منقلبةً أثبتت قدرتها على مواجهة تيّارات عصرها ، فكانت متعددة المستويات ، متنوعة الدلالات ، توافق مقتضى الحال ، وتنسجم مع الموقف الإبداعيّ الثائر الّذي يسعى إليه الشاعر . بل هي لغةٌ حيّة أرادت التحرر من سلطان الذّاكرة ؛ بإنصاتها لإيقاع عصرها، وما يحدث فيه من تغيرات فكريّة واجتماعيّة تهدف إلى ولادة وعيٍ جديد ، وتصّور مختلف للشعر بلغته ، وبنيته ، ووظيفته [4] .

---

[1] ينظر : بكّار ، يوسف : **اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري** ، ص 358 .

[2] ينظر : خليف ، يوسف : **الشعر والحياة اللغوية في القرنين الأول والثاني للهجرة** ، الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنشر، مصر ، ع 3 ، 1957م ، ص 41 – 43 .

[3] الواسطي ، محمد : **المنهج اللغوي وتطبيقه في شعر أبي نواس** ، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس – المغرب ، ع 13 ، 2004 م ، ص 9 .

[4] ينظر : تقتق بن يحيى ، لمياء : **القبيح الجميل في خمريات أبي نواس** ، حوليات الجامعة التونسيّة ، ع 43 ، 1999م ، ص 234 .

ولذا عمد أبو نواس إلى توظيف مستويات اللغة كلّها دون أن يقيم حدودًا لإبداعه ، فغرف من معجم الفصاحة ومعجم الابتذال ، واستخدم ألفاظًا حسنة وألفاظًا قبيحة تندّ عن الذّوق السليم ، وارتقى بشعره فنافس العلماء النحويين والفلاسفة المتكلّمين ، وانحطّ إلى درك الماجنين العابثين[1]، وقد قيل فيه : " لولا ما غلب عليه من الهزل ، لاستشهد بكلامه في كتاب الله ؛ وذلك لأنّه تعلّم اللغة من أساطينها ، ورحل إلى البادية فأخذ عن العرب ، وحفظ لغتهم ، وأتقنها " [2] .

لقد أثبت أبو نواس أنّه قادرُ على تجنيد طاقاته اللغويّة لابتكار معجمٍ يخدم منطقه المعكوس ويحقّق انقلابه ، ويعزّز من رفضه وثورته على المسلّمات الدينيّة والسياسية والاجتماعيّة ، فكانت خمرياته ومجونه وغزله عنوانًا لتمرّده ، ومرآة لنفسه ، ولا سّيما أنّه لجأ فيها إلى اللّغة الرقيقة العذبة التي ابتعدت عن التنافر ، وبرئت من التّكلّف ، فكانت أدعى للشّيوع والانتشار [3] .

وليس غريبًا على شاعر كان دأبه الحصول على اللّذة وطلب المتعة دون تأطيرٍ أو كبت كأبي نواس ، أن يحيل عالمه الشّعري إلى طقسٍ احتفاليٍ لاهٍ ، وأن يستخدم اللّغة المباشرة المجرّدة من الثوابت والقيود ، متجاهلًا أسس الكتابة الشّعريّة [4] ، معتمدًا على " تخيّر الألفاظ ، وإبدال بعضها ببعض إبدالًا يلأم الكلام به " [5] ، بما يخدم هدفه ويخضع لمذهبه الفنيّ المخالف ، وهذا ما يبدو جليّا في موضوعاته الانقلابيّة ؛ ففي انقلابه الدينيّ مثلًا ، يجعل أبو نواس من الحرام لذّة يتحدى بها مجتمعه ، ويواجه بها لوّامه ، فيقول :

{ الوافر }

فَخــــــذها إن أردتَ لَذيــــــذَ عَــــــيْشٍ   ولا تَعْــــدِلْ خليلـــــيَ بالمـــــدامِ
وإن قـــالوا : "حــــرامٌ؟ " قـــل: "حــــرامٌ ! "   ولكـــنَّ اللّـــذاذةَ فـــي الحــــرامِ[6]

ويلحظ القارئ تكرار أبي نواس للفظة " الحرام " على الرّغم من شدّة وقعها على أذن المسلم، مؤكدًا أنّ في الحرام هواه ، فليقبل المجتمع أو ليرفض ، فهذا لا يهم .

---

[1] ينظر : تقتق بن يحيى ، لمياء : **القبيح الجميل في خمريات أبي نواس** ، ص 233 .
[2] ابن منظور : **أبو نواس** ، ص 5 .
[3] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 120 .
[4] ينظر : تقتق بن يحيى ، لمياء : **القبيح الجميل في خمريات أبي نواس** ، ص 232 .
[5] بكّار ، يوسف : **بناء القصيدة العربيّة** ، دار الثقافة للطباعة والنّشر ، القاهرة ، 1979 م ، ص 171 .
[6] أبو نواس : **الديوان** ، ص 693 .

ولكنّه في المقابل يجعل الصّلاة استعبادًا والتّنسك كبيرة يجب تجنّبها ، فيقول :

{ مجزوء الكامل }

ودَعِ الصَّـــــــلاةَ وأَهْلَهـــــــا إنَّ الحِــــراثَ علـــــى البَقَـــرْ
إنَّ التَّنَسُّـــــــــكَ عِنْـــــــدَنا يـــا صـــاحِ مِـــنْ إحـــدى الكبَـــرْ[1]

ويجعل أبو نواس من زيارة الخمّارات ركنًا مقدسًا يُسْتبدل بالحجّ إلى الكعبة المشرّفة ، فيقول:

{ الكامل }

والحـــجُّ إنْ حجّـــوا فَحُـــجَّ مُبـــادِرًا حـــانوتَ خَمّـــارٍ وَعُـــجْ شَـــهْرَا[2]

ويغالي الشّاعر في عدائه لأوامر الشّرع ؛ حيث يحيل إبليس من عدوٍ يجب عصيانه إلى قريبٍ طاعة أوامره فريضة ، فيقول :

{ الكامل }

وأَطِـــعْ فَطاعَتُـــهُ عَلَيْـــكَ فَريضَـــةٌ إبلـــيسَ عَمَّـــكَ تُكْمِـــلِ الكُفْـــرَا[3]

وكيف لا تكون طاعته فريضة ؛ إذا كان في رأي الشّاعر فقيهًا ناسكًا يرقى إلى منزلة الأحبار ، فيقول :

{ الكامل }

إنّـــي قَصـــدْتُ إلـــى فقيـــهٍ عـــالمٍ متنسِّـــكٍ ، حَبْـــرٍ مـــن الأحْبـــارِ
متعمِّـــقٍ فـــي دينـــه ، مُتَفَقِّـــهٍ متبصِّـــرٍ فـــي العلـــم والأخبـــارِ[4]

وتغدو الذّنوب في منظورِ أبي نواس أخلاقًا نبيلة ؛ ولذا فهو يدعو إلى ارتكاب أشدّها فتكًا ، وأقبحها فعلًا ، فيقول :

{ الكامل }

لا تـــرْكَبَنَّ مِـــنَ الـــذُّنوبِ خَسِيسَـــها واعْمَـــدْ – إذا قارَفْتَهـــا – لِلْأَنْبِـــلِ
وخطيئـــةٍ تغْلُـــو علـــى مُسْـــتامِها يلقـــاكَ آخـــرُ طَعْمِهـــا الأوَّلِ

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 110 .
[2] **المصدر السابق** : 109 ، وينظر : ص 38 .
[3] **المصدر السابق** : ص 109 .
[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 200 .

ليستْ مِنَ اللّآتِي يقول لها الفتى عند التَّنَدُّمِ ليتني لم أفْعلِ[1]

لقد سعى أبو نواس إلى تشكيل علاقاتٍ جديدةٍ بين الألفاظ ؛ فلم يقلب مفاهيمها فحسب ، وإنّما عمد إلى إعادة قولبتها بما يوافق منطقه ، فالحلال والحرام ، والخطيئة والغفران ، والطاعة والمعصية ، والسرّ والعلانية ، ثنائيّاتٌ تقوم في أساسها على علاقة تنافرٍ وتضاد ، ولكنّ الشاعر أحالها إلى مفرداتٍ متكاملةٍ مترادفة ، تهدم النّموذج التّقليدي ، وتؤسس نموذجًا مختلفًا ، يسوّغ الممنوع ، ويبيح المحرّم ، فيقول :

{ الكامل }

حَلَّلْتُ لا حرجًا عليَّ حرامَها ولربَّما وَسَّعْتُ غيرَ مُحَلِّلِ[2]

ويقول مستهزئًا بحرمة البيت الحرام :

{ مجزوء الرجز }

لا تَقْرَبِ البَيْتَ الحَرامَ وَخَلِّهِ حَتّى يَحِلْ[3]

وتراه يبرر فعل الخطايا فلولاها لما وجد الغفران ، فيقول ناصحًا :

{ مجزوء الرّمل }

اتركِ التّقصير في الشّرْ بِ ، وخذْها بنشَاطِ

من كميتٍ كسنَى البرْ قِ ، أضَاءتْ في البواطِي

لِمْ – وعفو الله مبذو لٌ غدًا عند الصّراطِ –

خُلِقَ الغفرانُ إلّا لامْرِئٍ في النّاسِ خاطِي[4]

ويقول معلنًا عن بغضه التستر في ارتكاب المعصية ، وإيثاره إعلانها والمجاهرة بها بافتضاح :

{ مجزوء الكامل }

اشرَبْ – فُدِيتَ – علَانِيَهْ أمُّ التَّسَتُّرِ زانِيَهْ[5]

ويقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 199 .

[2] **المصدر السابق** : ص 199 .

[3] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 105 . وينظر : أبو نواس : **الديوان** ، ص 102 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 181 .

[5] **المصدر السابق** : ص 136 . وينظر : ص 126 ، و 730 .

{ مجزوء الكامل }

أطْيَـــــبُ اللَّـــــذاتِ مـــــا كـــــا   نَ جِهَـــــــــارًا بافْتضـــــــــاحِ[1]

لقد أجرى أبو نواس موازناتٍ بين مصطلحاتٍ دينيّة ، ومصطلحاتٍ عبثيّة مجونيّة ، وانتصر لمصطلح العبث والمجون على مصطلح الدين وجعله يقهره ، ويتفوق عليه ؛ لأنّ مسلكه في الحياة قائمٌ على الإنكار والمجاهرة ، فيقول :

{ الكامل }

بَكَـــرَتْ عَلَـــيَّ تَلـــومُني فَأَجَبْتُهـــا   إنِّـــي لأَعْـــرِفُ مَـــذْهَبَ الأَبْـــرارِ

فَـــدعي المَـــلامَ فَقَـــدْ أَطَعْـــتُ غِـــوايَتي   وَصَـــرَفْتُ مَعْرِفَتـــي إلـــى الإِنْكـــارِ[2]

ويقول مثبتًا تغلّب الحرام على الحلال :

{ الوافر }

يلائمنـــــي الحـــــرامُ إذا اجْتَمَعْنـــــا   وأَجفُـــو عَـــنْ مُلائَمَـــةِ الحَـــلالِ[3]

ويرى أبو نواس خُلْدَه في رحيق الخمر ، فيقول :

{ الطويل }

فَـــنَحْنُ وإنْ لَـــم نســـكن الخلـــدَ عـــاجِلًا   فمـــا خُلْـــدُنا فـــي الـــدَّهر إلّا رحيقُهـــا[4]

ولذا فهو يواجه لوّامه الذّين يصرون على تحريم الخمر ، ويحذرونه من عذاب النّار ، فيقول :

{ البسيط }

يا مَنْ يَلومُ على صَهْباءَ صافيةٍ   صِرْ في الجِنَانِ ، ودعْنِي أَسْكن النَّارَا[5]

لقد وجد أبو نواس في الشّعر بضاعةً رائجة ، وسلعةً نفيسة يحرص الخاصة والعامة على اقتنائها ، وألفى في تيّارات عصره محفّزًا على ابتداع طريقةٍ تجعل لأشعاره صدىً ولألفاظه وقعًا تنماز به فلا تخطئه أذن ، فبدت أشعاره مختلفة بما احتوته من ألفاظ عامية ، ومبتذلة ، وفارسية ، ومسيحية ، ومجوسية .

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 685 .

[2] المرزباني : **الموشح** ، ص 381 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 62 . وينظر : ص 67 ، و ص 126 ، و ص 679 .

[4] **المصدر السابق** ، ص 9 .

[5] أبو نواس: **الديوان**، ص 111 .

- **اللّغة العاميّة :**

رافق خروج أبي نواس عن المألوف من الأعراف والتقاليد خروجٌ عن الإطار اللغويّ ؛ فقد استطاع الشّاعر أن يتحرر من سلطة المحافظة اللغويّة باستخدامه ألفاظًا شعبيّة محكيّة درجت على ألسنة العامة [1] ، ومثال ذلك قوله :

{ الخفيف }

أُنْـــسَ نفْسِـــي كيـــف اسْـــتَجزْتَ اطِّراحِـــي　　　فـــيم ذا بـــل عـــلامَ ذا أَمْ لِأَيْـــشِ ؟![2]

فكلمة " لأيْشِ " إدغامٌ لكلمتين " أي شيءٍ ؟ " ، وهي لهجة عاميّة [3] ، ولم يغفل الشّاعر ألفاظًا عدّت من أساليب المجاملة الاجتماعيّة التي شاعت في عصره ، مثل : مولاي ، ومولائي ، وسيّدي، وأميري ، وحياتي ، ومعذّبتي ، ولا سيّما عند مخاطبة معشوقيه من الجواري والغلمان [4] ، فيقول :

{ المجتث }

مَـــــا لِـــــي وَلِلْعـــــاذلاتِ　　　زوَّقـــــنَ لـــــي تُرَّهـــــاتِ
سَـــــعَيْنَ مِـــــنْ كُـــــلِّ فَـــــجٍّ　　　يَلُمْـــــنَ فـــــي مَـــــوْلاتِي
يَـــــأْمُرْنَنَي أَنْ أُخلِّـــــي　　　مِـــــن راحَتَـــــيَّ حَيـــــاتِي[5]

ويقول :

{ مجزوء الوافر }

أميـــري حـــالَ عَـــنْ عَهـــدي　　　ومـــــا دامَ علـــــى ودِّي
إذا مـــا قلْـــتُ يـــا مَـــوْلا　　　يَ يومًـــا قـــال يـــا عَبْـــدِي[6]

---

[1] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشعر العبّاسي في مجال التجديد** ، ج 2 ، ص 330 .
[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 181 .
[3] ينظر : **حاشية الديوان** ، ص 181 .
[4] ينظر : بكّار ، يوسف : **اتجاهات الغزل في القن الثاني الهجري** ، ص 364 .
[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 227 .
[6] أبو نواس: **الديوان**، ص 391 ، وينظر : ص 226 ، 271 ،263 ، 274 ، 321 ، 383 ، 384 ، 726 ، 727 ، 729 .

وقد ابتدعت تلك الألفاظ لاستعطاف المحبوب واستمالة جانبه ، ولا سيّما إذا اشتدّ تمنّعه ، وطال هجرانه . ولذا كانت الألفاظ الرّقيقة ملاذًا للشاعر يتقرّب بها إلى المحبوب ، ويبدي من خلالها ضعفه واستكانته له ، علّه يعطف على حاله ، فيقول :

{ السريع }

فـــالموت أنْ يُــزْرَى علـــى عاشـــقٍ   يُقَـــالُ قـــد كـــن ، ولكـــن ســـلَا
يـــا ويْلَتـــي مـــن جســـدِي كلِّـــهِ   رُضِّـــضَ منّـــي مفْصِـــلًا مَفْصِـــلًا[1]

فلم يجد الشّاعر في نفسه حرجًا من استخدام ألفاظٍ ترددها النّساء في حال التّفجع والتّحسّر كـ " ويلي ، و ويلتي " بل تراه يكررها مستفزًا مشاعر محبوبه [2] ، فيقول :

{ المجتث }

يـــــا مَـــــنْ جـــــدَاهُ قَليـــــلُ   ومَـــــنْ بـــــلاهُ طَويـــــلُ
ويلْـــي ...! فلـــيس يـــرى لِـــي   حقًّـــــا ، ولـــــيس يُنيـــــلُ
ويلـــي ... ومـــا هكـــذا يـــا   ويْلـــــي يكـــــونُ الخليـــــلُ[3]

" ولمّا كان المذهب في الغزل إنّما هو الرّقة واللّطافة والشكل والدّماثة كان مما يُحتاج فيه أن تكون الألفاظُ لطيفةً مستعذبة ، مقبولةً غير مستكرهة ... " [4] ، فقد مال أبو نواس في غزله إلى كلّ سهلٍ سهلٍ عذب ، فاقتربت ألفاظه من مخارج الحروف ، فكانت كالماء الزّلال يسري في حنجرة القينة و المغنيّة ؛ فتشدو به أجمل الألحان ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها قوله :

{ السّريع }

قُـــــلْ لنـــــدَامايَ وجُلّاســـــي   هـــلْ لـــي مـــن عَبْـــدَةَ مـــن آسِ
أو قائـــــلٍ يخبرهـــــا خالفًـــــا   أنْ لـــيْس منْهـــا بـــيَ مـــن بـــاسِ
فراجِعِـــي الوصْـــلَ فـــإنْ زرتكُـــمْ   قـــدْرِ فـــراقٍ فـــاخْلقي راسِـــي
أولا ففـــيم الصـــدُّ عـــن عاشـــقٍ   لـــيس لكـــمْ مـــا عـــاشَ بالنّاسِـــي
لـــــو شـــــئْتِ والله لأرضـــــيتِهِ   فـــلا تُقيمِيـــهِ علـــى اليـــاسِ[5]

---

[1] أبو نواس: **الديوان،** ص 283 . وينظر : ص 361 .
[2] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشّعر العباسي في مجال التجديد** ، ج 2 ، ص 330 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 385 . وينظر : ص 228 .
[4] ابن جعفر ، قدامة : **نقد الشعر** ، تح : كمال مصطفى ، مكتبة الخاجي بالقاهرة ، ط3 ، 1978 م ، ص 198 .
[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 298 .

ويقول :

{ الطويل }

طفِقْـــتُ أُفَدِّيـــهِ ، وأَدْعُـــوهُ باسْـــمِه فقـــال مجيبًـــا : " مـــا تَشَـــا ! " بتثَاقُـــلِ[1]

حيث فرّ الشاعر من النطق بالهمزة ، وهذا دأب العامة الّذين يتجنبون ما ثقل نطقه من الأصوات والألفاظ .

– اللغة المبتذلة

لا شكّ أنّ أبا نواس شاعرٌ جاهر مجتمعه بفجوره ، وتحدّى أخلاقه بابتداعه سلوكًا جديدًا يُزَعْزَع الأسسَ ، ويحطّم القواعد التي دأب المجتمع الإسلاميّ على الحفاظ عليها . ولم تكن لغته التي وظّفها في شعره بمعزلٍ عن ذاك السلوك ، بل استطاعت أن تختزل أخلاقه ، وأن تعبّر عن سلوكه دون أن تستتر خلف حُجِبٍ ، أو تتوارى بسبب رادِع .

ولقد كانت لغة أبي نواس أداة من أدوات عصيانه ، فتماشت مع مذهبه ، وخضعت لأهدافه ، فوظّفها في حقولٍ دلاليّة مختلفة ، ويقف المتأَمّل في شعره على مفرداتٍ كثيرة لا يمكن عزلها عن سياقها ؛ لأنّها إن عزلت عنه فستغدو من سخيف اللّفظ الّذي لا يتماشى مع الذوق ، ولا تستبيحها الأخلاق ، أو هي – إن جاز التّعبير – مفرداتٌ تنتمي إلى سِجلّ " الفجور " [2] الذي تجاهل فيه الشّاعر ما اتفق عليه كثيرٌ من النّقاد من ضرورة تجنّب الألفاظ المبتذلة السّوقيّة ، ذاك أنّ " الشّعر كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنه ما تلاءم نسْجه ولم يَسْخف ، وحسُنَ لَفْظُه ولمْ يَهْجُن ، ولم يُستعمل فيه الغَليظُ من الكلامِ فيكون جَلِفًا بَغيضًا ، ولا السُّوقيُّ من الألفاظِ فيكون مُهلْهَلًا دونًا " [3] فطفت على شعر أبي نواس ألفاظٌ مستهجنة من قاع المجتمع ، وهي بعيدةٌ عن الفصاحة وتتجه نحو الإسفاف ، ولكنّها تخدم انقلاب الشاعر ؛ وتكشف عن ازدرائه لقيمٍ اجتماعيّة لم يكن ليتقبّلها على أيّ حال ، فإذا كان الحليب شراب العرب ، وفي نقاء لونه دليلٌ على صفاء عيشهم وكرمهم ،

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 186 . وينظر : ص 286 ، 306 ، 307 .

[2] ينظر : تقتق بن يحيى ، لمياء : **القبيح الجميل في خمريات أبي نواس** ، ص 230 ، 231 .

[3] العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : **الصّناعتين** ، تح : علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1952 م ، ص 60 .

وجودهم ، فهو في رأي الشّاعر شرابٌ حقيرٌ يدل على سخف العرب الذّين لم يعرفوا لذّة الخمر ولا طيب مجالسها ، فيقول :

{ الوافر }

إذا رابَ الحَليـــــبُ فَبُـــــل عَلَيْـــــهِ ولا تُحْــــرَجْ فمــــا فـــــي ذاكَ حُـــوبُ

فأطيْـــــبُ منـــــه صَـــافيةٌ شَـــمولٌ يطـــوفُ بِكَأسِـــــهَا ســـــاقٍ أَديــــبُ[1]

فهو يدعو إلى عدم التّحرّج من ذاك الفعل ؛ لأنّه في نظره نقضٌ لعادةٍ تخصّ العرب ، وهذا ما يوافق هواه ، فيقول :

{ الكامل }

جـــاهِرْ بِنَفْسِـــكَ واهْتِـــكِ السّـــتْرَا واخلـــعْ عَـــذارَكَ فـــي الهـــوى جَهْـــرَا

لا يَرْدَعنَّـــكَ عَـــنْ هـــواكَ تَحـــرُّجٌ إنَّ التّحَـــــرُّجَ يُـــــورِثُ الفَقْـــــرَا[2]

وإذا كان " اللّواط والزّنى " من المحرّمات الأخلاقيّة التي يعاديها الدّين وتأبى فعلها الأخلاق، فهي في رأي الشّاعر فضائل لا بدّ من وجودها في المجتمع ، ولذا يقول :

{ مجزوء الرّمل }

كُـــــــنْ لِمَـــــــنْ لامَ عَصِـــــــيّا واركَـــــــبِ الأَمْـــــــرَ الغَوِيَّـــــــا

واشـــــــرَبْ الخَمْـــــــرَ وجَـــــاهِرْ بالزِّنَـــــا مـــــا دُمْـــــتَ حَيَّـــــا[3]

ويقول :

{ الوافر }

تَمَتَّـــــعْ بـــــالخُمورِ وبـــــاللِّواطِ ولا تَخْـــشَ المُـــرورَ عَلـــى الصِّـــراطِ[4]

ولا يرعوي الشّاعر عن تكرار هذه الألفاظ ، ولا يتوانى عن ذكر كلّ ما يبتذله الناس في حديثهم ، ولعلّه يعمد إلى تفصيله دون حرجٍ أو خوف ، فيقول مبررًا فحشه في إقباله على الغلمان :

{ الوافر }

أَتَجْعَـــلُ مَـــنْ تَحـــيضُ بِكُـــلِّ شَـــهْرٍ ويَنْـــبُحُ جَرْوُهـــا فـــي كـــلِّ عـــامِ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 11 .

[2] أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 109 .

[3] **المصدر السابق** : ص 111 .

[4] **المصدر السابق**: ص 106 ، وينظر : ص 109 ، 112 . وينظر : **الديوان** ، ص 200 ، 201 .

كَمَـــن ألقـــاهُ فـــي سِـــرٍّ وَجَهْـــرٍ   وأَطْمَـــعُ مِنْـــه فـــي ردِّ السَّـــلامِ
أُكَلِّمُـــــهُ بمـــــا أهْـــوَى صَـــريحًا   بـــلا خـــوفِ المـــؤذِّنِ والإمـــامِ[1]

ويعجّ ديوان أبي نواس وما استدرك عليه من أشعارٍ جمعت في كتاب " الفكاهة والإتناس " بمثل تلك الألفاظ ، بل بما يزيد عليها فحشًا وبذاءة ، ولا بدّ للباحث من التّعثر بها ؛ إذ إنّ الشّاعر يكاد يحشوها حشوًا في خمرياته ومجونه وغزله ، فهي في رأيه سمةٌ للتَّحرر ، وطريقةٌ للخلاص من الثّوابت والقيود .

وقد اكتفت الباحثة بالأمثلة السّابقة ، دون أن تعرّج على ألفاظٍ أخرى يفيضُ بها معجم الشّاعر لكونِها منافرةً للذّوقِ ، ومعاديةً للأَخلاق .

- الألفاظ الفارسيّة

اطّلع أبو نواس على ثقافاتٍ تجاوزت حدود الثّقافة العربيّة ، وامتلك لسانًا فارسيًا جعل من قاموسه الشّعريّ قاموسًا يحفل بكلّ ما أضافه الامتزاج الحضاريّ من ألفاظٍ كانت ميدانًا للمواجهة مع الألفاظ العربيّة الأصيلة [2] ، غير عابئ بما كانت تسعى إليه حركة التّنقية اللغويّة آنذاك من حفاظٍ على صفاء العربيّة وصونها من الدّخيل الذي أخذ يتوغّل في نسيج الثقافة العربيّة بدلالاتٍ معجميّةٍ مختلفة [3] ، وجد فيها أبو نواس الخصوصيّة المجدية التي تحيله إلى الكثافة التعبيرية والحبك المعنويّ على نحوٍ لم يجده في الألفاظ العربية [4] .

فقد كانت الألفاظ الفارسيّة صوتًا حضاريًّا اجتذب الشّاعر إلى فضاءاتٍ مترفة لم يعهدها العرب في وصفهم أو غزلهم ، ولذا بدا أبو نواس مختلفًا في إكثاره من توظيف تلك الألفاظ ؛ حيث جعل منها أداةً لكلّ جديد ، فغدا شرابه فارسيًّا ، وأدواته فارسيّة ، وساقيه متّشحًا بأثوابٍ وحلىً فارسيّة تدلّ على تميّزها واختلافها ؛ ولا ريب فخمرته ذات أصولٍ فارسيّة ، قطفت ثمارها من كرم

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 707 .

[2] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشّعر العباسي في مجال التّجديد** ، ج 2 ، ص 232 .

[3] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 55 . وخليف ، يوسف : **الشعر والحياة اللغوية في القرنين الأول والثاني الهجري** ، ص 43 .

[4] ينظر : سليمان ، فريد حمد : **التوظيف الدّلالي للألفاظ الأعجميّة في شعر أبي نواس** ، مجلة آداب ذي قار ،كلية آداب جامعة ذي قار ، بغداد، ع 5 ، م2، ص 212 .

(دهْقَان) ، كان يوليها أشَدّ العناية والاهتمام ، يقول :

{ البسيط }

صـــهباءُ صـــافيةٌ ، عَـــذْراءُ ناصِـــعَةٌ   للسُّـــقْمِ دَافِعـــةٌ ، مـــن كَـــرْمِ دهْقَـــانِ
كـــرْمٌ تَخـــالُ علـــى قُضْـــبانِ نخلتـــه   يـــوم القِطـــافِ لَـــهُ هامـــاتُ حُبْشَـــانِ[1]

و (الدّهْقَان) زعيمُ فلّاحي العجم ، ورئيس الأقليم أو القرية ، وهو التّاجر [2] الّذي دأب أبو نواس على زيارته خاطبًا خمرته عروسًا للذّة [3] ، ولا بدّ للخاطب أن يبذل الغالي والنّفيس في سبيل الحصول على معشوقته [4] ، فهي لا تخرج إلّا للملوك ، وفي هذا يقول :

{ الطويل }

ذَخِيـــرَةُ دهْقـــانٍ حَواهَـــا لِنَفْسِـــه   إذا مَلِـــكٌ أَوْفَـــى عَلَيْـــه وسِـــيمُ[5]

فهي (مدامٌ خسرويٌ) " مَنْسوبٌ إلى عُظَماءِ الأَكاسِرَة " [6] ، وفيها يقول :

{ الخفيف }

فتـــرى الشَّـــرْبَ كالأهلَّـــةِ فيهـــا   يَحْتَسُـــونَ خُسْـــرَوِيَّ المـــدامِ[7]

وهي شرابٌ ذهبيُ مشعُ يدعى (الزّرجون) [8] ، يقول :

{ مجزوء الرمل }

اســـقني يـــا بْـــنَ أَذِيـــنِ   مِـــن شَـــرابِ الزَّرَجُـــونِ
ذهَبًـــا يُثْمِـــرُ دُرًّا   كُـــلَّ إبَّـــانٍ وَحـــينِ[9]

وقد انتقى أبو نواس خمرته من أجود الخمر وأصفاها ، فأطلق عليها (الإِسْفَنْط) [10] ، وقال فيها:

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 113 ، وينظر : ص 127 .

[2] ينظر : الجواليقي ، أبو منصور : **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم** ، تح : ف . عبد الرّحيم ، دار القلم ، ط1 ، دمشق ، 1990 م ، ص 303.

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 681 .

[4] **المصدر السابق** ، ص 118

[5] **المصدر السابق** ، ص 132 . وينظر : ص 131 .

[6] الجواليقي : **المعرّب** ، ص 285 .

[7] أبو نواس : **الديوان** ، ص 69 . وينظر : ص 88 ، 95 ، 103 ، 141 .

[8] ينظر : الجواليقي : **المعرّب** ، ص 338 ، 339 .

[9] أبو نواس : **الديوان** ، ص 70 .

[10] الجواليقي ، أبو منصور : **المعرّب** ، ص 110 ، 111 .

{ البسيط }

سَلْسَـــالَةَ الطَّعْــمِ ، إِسْــفَنْطٌ ، معَتَّقَـــةٌ   بِشُـــرْبِها قَـــيِّمُ الحـــانوتِ أَوْصـــانِي[1]

وإذا كانت خمرته على هذا النّحو من الرّفعة والتّعظيم ، فلا بدّ أن يكون فعلها في شاربها عظيمًا ، فهي (خندريس) [2] تذهب عقل شاربها فتنسيه كلَّ ما تعاور عليه من هموم ، فيقول :

{ الطويل }

تنــــــادي بهمِّــــــي تـــــارةً ، وبهمِّــــــهِ   ألا خلِّيـــــا قَلْبَيْهِمـــــا يَرمَـــــــانِ[3]

ولا تُغْفِنِــــي مِنْهـــا ، وإنْ قلـــتُ إنّنِـــي   فتًـــى لـــيسَ لـــي بالخَنْــدَريسِ يَــدانِ[4]

يَـــــــــــــــــــــــدانِ[4]

وهي معتَّقَةٌ حفظت في (الدَّساكر) [5] فمضت عليها حِقبٌ وسنون ، يقول الشّاعر :

{ المنسرح }

حتّـــــى تخيَّـــرتُ بِنْـــتَ دَسْـــكَرَةٍ   قَـــدْ عَجَمَتْهـــا السِّـــنُونَ والحِقَـــبُ[6]

واختصّ أبو نواس خمرته بأدواتٍ وكؤوس فارسيّة زادت من تفرّدها ، فيقول :

{ البسيط }

قامـــت بإبريقهـــا ، واللّيـــل معتكـــرٌ   فــلاح مـــن وجهها فـــي البيــت لألاء

فأرســلت مـــن فـــم الإبريـــق صـــافيةً   كأنّمـــا أخـــذها بـــالعين إغفـــاءُ

فلـــو مزجـــت بهـــا نـــورًا لمازجهـــا   حتّـــــى تولّـــد أنـــوارٌ وأضـــواءُ[7]

و(الإبريق) لفظةٌ فارسيةٌ معرّبة [8] ، ولعلّ أبا نواس عمد إلى استخدامها لما فيها من صفاءٍ صوتيٍّ يلائم الجوّ الذي صوّرته الأبيات السابقة ، فالقاف والباء والألف أصواتٌ صافيةٌ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 113 .

[2] الخندريس : " ينتف شاربُها لحيتَه لذهاب عقله " الجواليقي : **المعرّب** ، ص 271 .

[3] يرمان : يستوعبان اللذة .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 94 . وينظر : ص 112 ، 142 ، 152 ، 163 .

[5] الجواليقي : **المعرّب** ، ص 310 ، 311 . وينظر : **الديوان** ، ص 169 .

[6] **المصدر السابق** : ص 4 .

[7] أبو نواس : **الديوان** ، ص 6 ، وينظر : ص 94 ، 683 ، 689 ، 690 .

[8] ينظر : **الجواليقي** : المعرّب ، ص 120 .

واضحة ، ينسجم نطقها مع ما تطلقه الخمر من نورٍ وأضواء [1] تجبر الناظر إليها على أنْ يَكْسِر طَرْفَه ، وأن يضمّ أجفانه مخافة أن يؤذيه وهجها [2] .

ويعود الشّاعر ليؤكدَّ أنّ خمرته من شراب الأكاسرة الملوك ، ولذا فقد صبّت في أقداح مصوّرةٍ بصور كسرى وجنوده ، تدعى (الطَّرْجهار) ، فيقول :

{ الوافر }

مصـــوَّرةٍ بِصـــورَةِ جُنْــدِ كِسْــرى   وكِسْــرَى فــي قَــرارِ الطَّرْجَهَــارِ [3]

وبدا أبو نواس حريصًا على تنويع كؤوس شرابه ، وتعداد أشكالها ، ولعلّه وجد في ذلك لذّة ومتعةً طالما نشدها ، وبحث عنها ، ولكنّه لم يجدها في معجم الألفاظ العربيّة التي اختصّت بالبدواة وشظف العيش ، دون أن تلفت إلى أثر إناء الخمرة الواسع في نفوس شاربيها ، ومن تلك الألفاظ : (الدّواريق) [4] ، و (الرّاقود) [5] ، و (الباطية) [6] .

لقد كانت الألفاظ الفارسيّة معينًا غرف منه الشّاعر ، فألقى بدلائه في شتّى جوانب الحياة، ورأى في ملابس الفرس ، وأعيادهم ، ومتعلّقات حضارتهم ، مظاهر لا بدّ أن يهتم بها المجتمع، وأن يُعزّز وجودها ، وأن يهمل ما أورثته البادية من جدبٍ وقحطٍ كان الضّياع والاندثار أولى به.

---

[1] ينظر : سليمان ، فريد حمد : **التوظيف الدلالي للألفاظ الأعجمية في شعر أبي نواس** ، ص 2 .

[2] ينظر : **حاشية الديوان** ، ص 6 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 77 .

[4] الدّواريق : واحدها دورق ، مكيالٌ للشّرب ، ويطلق على الجرّة ذات العروة ، الجواليقي : **المعرّب** ، ص 301 ، 302 . وينظر : أبو نواس : **الديوان** ، ص 49 ، 171 .

[5] الرّاقود : إناءٌ من آنية الشّراب ، وهو دنٌ يفرش باطنه بالقار ، وجمعه الرّواقيد ، الجواليقي : **المعرّب** ، ص 328 . وينظر : أبو نواس : **الديوان** ، ص 705 .

[6] الباطية : كلمةٌ فارسيّةٌ ، إناءٌ واسعُ الأعلى ضيّق الأسفل ، الجواليقي : **المعرّب** ، ص 211 . وينظر : أبو نواس : **الديوان**، ص 131 .

فالقباء[1] ، والقرطق [2]، والسّراويل[3]،والزنّار [4]، والسّابري [5]، وقطربل [6]، والآذريون [7]،

---

[1] القباء : فارسيٌّ معرّب ، وهو الممدود من الثّياب ، والجمع أقبية . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 503 ، 504 .

يقول أبو نواس :

{ الوافر }

وجلُّ الجنْدِ تَحْتِ رِكابِ كِسْرى بأَعْمِدةٍ وأَقْبِيَةٍ قِصَارِ

الديوان ، ص 77 .

[2] القرطق : شبّه بالقباء ، فارسيٌّ معرّب ، والجمع قراطق . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 507 . يقول :

{ المنسرح }

في قُرْطقٍ زَانَه تخرْسُنُها قد عقْرَبَتْ صُدْغَها مَدَارِيَها

الديوان ، ص 191 . وينظر : ص 8 ، 66 ، 85 ، 159 ، 171 .

[3] السّراويل : " هو فارسيّ ، وأصله شَلْوار بمعنى الإزار ، وقع في اللّفظ المعرّب قلبٌ مكانيٌ فقدّمت الرّاء على اللّام ، وقلبت الشين سينًا فأصبح سِروال ، والجمع سراويل " . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 391 . يقول :

{ الهزج }

وفي الحمَّام يبْدُو لكَ (م) مَكْنُون السَّراويلِ

الديوان ، ص 367 . وينظر : ص 520 .

[4] الزّنار : ما يلبسه الذّميّ على وسطه . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 350 . يقول :

{ السّريع }

يا عاقِدَ الزُّنارِ في الخَصْرِ بِحُرْمَةِ الحانَةِ والفهْرِ

الديوان ، ص 82 . وينظر : ص 35 ، 195 ، 366 .

[5] السّابريّ : كلّ رقيقٍ من الثّياب البيض . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 386 . يقول :

{ الطويل }

وبعتُ قَميصًا سابِريًّا، وَجُبَّةً، وبعتُ رِداءً مُعْلَمَ الطَّرَفَيْنِ

الديوان ، ص 86 .

[6] قُطْرُبل : " كلمةٌ أعجميّةٌ وليس لها مثالٌ في كلام العرب البتّة " ، اسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر ، وهو متنزّهٌ متنزّهٌ للبّطالين ، وحانةٌ للخمّارين . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 522 . يقول :

{ الطويل }

طربْتُ إلى قُطْرُبُلٍ فَأَتَيْتُها بِمالٍ منَ البيضِ الصِّحاحِ ، وعَيْنِ

الديوان ، ص 86 . وينظر : ص 4 .

[7] الآذريون : زهرٌ أصفر في وسطه حملٌ أسود . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 35 . يقول :

{ الخفيف }

ولَهُمْ من جناهُ آذَريونٌ وَضَعوهُ مَواضِعَ الأَقْلامِ

الديوان ص 69 ، 70 .

والجلّنار [1]، والنّرجس [2]، والزّبرجد [3] ، والياقوت[4]، والطّنبور والنّرد [5]، والبستان [6]، والنّوروز [7]، مفرداتٌ مفرداتٌ حفل بها ديوان أبي نواس لارتدائها ثوب الحضارة التي وافقت تمرّده ، وسوّغت انقلابه؛ لما حملته من رقّة ونعومة في لفظها ودلالتها ، على النقيض من المفردات التي استقاها الشّعراء التّقليديون من معجم الصّحراء العربيّة ، كالرّيح والمطر ، والدّمن والأثافي ، والنّاقة ، والأبقار الوحشيّة ، والحيوانات ، والهوام ، التي باتت مختزنة في الماضي ، ولم تعد تنطق بالواقع المتجدد .

---

[1] الجلّنار : فارسيّة دخيلة ، زهر الرمان . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 39 . يقول :
{ مجزوء الرمل }

خنْدَريسًا، تنفح المِسْ ... كَ وَتَحكِي الجُلَّنَارَا

الديوان ، ص 112 .

[2] النرجس : نوعٌ من الرّياحين ، هو فارسيّ ، وأصله نَركِس بفتح النون وكسر الكاف الفارسيّة . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 606 . يقول :
{ السّريع }

والنَّرْجِسُ الغَضُّ لَدى وَرْدِهِ ... والورْدُ قد حُفَّ بنسْرينِه

الديوان ، ص 83 . وينظر : ص 160 ، 677 .

[3] الزّبرجد : فارسيٌّ معرّب ، وهو الزّمرد . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 307 . يقول :
{ الكامل }

صاغَ المِزاج لها مثال زَبَرْجَدٍ ... مُتَأَلِّقٍ ببدائعِ الأَضْوْاءِ

الديوان ، ص 704

[4] الياقوت : فارسيّ معرّب ، وهو نوعٌ من الأحجار الكريمة ، أزرق اللون . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 649 . يقول :
{ البسيط }

أَرْخَتْ عقودًا من الياقوتِ مُدْمَجَةً ... صفْرًا وحمْرًا بها كالجَمْرِ يَشْتَعِلُ

الديوان ، ص 699 .

[5] الطنبور والنّرد : أدواتُ للعب . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 444 ، ص 605 ، 606 . يقول :
{ الهزج }

حَلَفْتُ اليومَ بالطُّنْبو ... رِ، والكعبين، والنّرد

الديوان ، ص 729 .

[6] البستان : فارسيّة دخيلة . الجواليقي : المعرّب ، ص 37 . يقول :
{ البسيط }

ياحبَّذا مَجْلِسٌ قد كانَ يَجْمَعُنا ... بطَيْرَناباذَ في بُسْتانِ عَمّارِ

الديوان ، ص 145 .

[7] النوروز : فارسيّ معرّب ، وهو عيد رأس السنة عند الفرس . الجواليقي : **المعرّب** ، ص 617 . ينظر : **الديوان** ، ص 222 .

- **الألفاظ المسيحية والمجوسيّة والفلسفية**

بدت أشعار أبي نواس مختلفة الملامح تبعًا لهويّة الألفاظ التي نسجتها ، والمعجم اللغوي الذي اتكأ عليه في بنائها ، فالشّاعر كان ولعًا بالتغيير الذي يَخْلُص به إلى التّحليق في فضاء الحرّية بشتّى أشكالها .

أ- الألفاظ المسيحية

لا يخفى على القارئ ما دأب عليه أبو نواس من استباحة المحرمات ، وخرق المسلّمات التي تحول دونه ودون لذّته . وقد وجد في المسيحيّة والمجوسيّة ما يحقّقها دون قيود ، ويسمح لها بالتّمادي دون حدود ، فما هو محرّمٌ مرفوضٌ عند المسلمين ، مرخّصٌ محببٌ عند غيرهم ، بل قد يغدو من طقوس عبادتهم ، وجزءًا لا يتجزّء من عاداتهم . وهذا ما يفسّر لجوء أبي نواس إلى الأديرة يغبُّ من خمرها ، ويمتّع نفسه بالنّظر إلى نسّاكها من الرّهبان والرّاهبات ، ويستظلّ بفيء كرومها ، ويطربُ على وقع معاصر مدامها ، متقن الصّنع محكم التّعتيق . يقول الشاعر :

{ الكامل }

خُــذْهَا علــى دِيــنِ المَســيحِ إذا نَهَــى   عَــنْ شُــرْبِها دِيــنُ النَّبــيِّ مُحَمَــدِ[1]

ولذا التقطت عدسة الشّاعر أديرة النّصارى ومتعلّقاتها ، وأخرجتها إلى المجتمع في صورةٍ تهزُّ المألوف ، وتجتاح التّقليد ، وترفد الحياة بمادة جديدة ، وتصبغ الفنّ بلونٍ جديد [2] ، فلم تعد لفظة (الدّير) في عرف أبي نواس تشير إلى مكان انقطاع الرّهبان للصلاة والتّأمل منصرفين عن متاع الدّنيا وطيّباتها ، متأبّدين للعبادة بأجسادهم وأرواحهم [3] ، وإنّما هو مرتعٌ للمتع ، وملعبٌ للفجور ، يقصده وعصابته سعيًا وراء اللّذة التي لا تتحقق إلّا فيه ، فيقول :

{ السريع }

بـــدَيْر بِهْـــرَاذَانَ لِـــي مَجْلِـــسٌ   وَمَلْعَـــــبٌ وَسْـــــطَ بَســـــاتينِهِ
رحْـــتُ إليـــهِ ومعِـــي فتْيَـــةٌ   نـــــزورُهُ يـــــوْمَ ســـــعانينِهِ
بِكُـــلِّ طَـــلَّابِ الهَـــوى فاتـــكٍ   قـــد آثَـــرَ الـــدُّنيا عَلـــى دِينِـــهِ

---

[1] نقلًا عن : صدقي ، عبد الرحمن: **ألحان ألحان** ، ص 45 .
[2] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 48 .
[3] ينظر : صدقي ، عبد الرحمن : **ألحان الحان** ، ص 43 .

فَلَــمْ نَـــزَلْ نُسْــقَى ، ونَلْهُــو بــه   ونَأْخُــــذُ القَصْــــفَ بآيينِـــــهِ[1]

وقد وظّف الشاعر في الأبيات السّابقة لفظ (السّعانين) ، وهو يومٌ من أعياد النّصارى ، يحتفلون فيه بقصفٍ وشربٍ ولهوٍ وطرب ، لم يعهده المسلمون في أعيادهم أو حتّى في أيامهم المباركة [2] .

ولم تكنْ أعياد النّصارى وحدها كافيةً لإثارة التّجربة لدى الشّاعر ؛ فأصوات النّواقيس والزّيرات[3] ، وما يرافقها من تراتيل يتلوها الرّهبان ؛ وما يعقبها من دراسة الإنجيل أمورٌ حرّكت مشاعر أبي نواس ، وهيّجت فيه الحنين إلى الخمر المقدّسة التي يصرُّ على تحليلها وفق تعاليم النّصارى ، فيقول :

{ الهزج }

أنـــــــا – واللهِ – مُشْـــــــتاقٌ   إلــــى الحِيـــــرَةِ ، والخَمْـــــرِ
وأصْـــــــواتِ النَّـــــــواقيسِ   علــــى الزّيـــــرات بــــــالفَجْرِ
ومشـــــتاقٌ إلــــى الحانــــــا   تِ يــــــومَ الــــــذَّبْحِ والنَّحْـــــرِ
ومُغْـــــنٍ فــــي طِــــلابِ المُـــرْ   دِ والخَمْـــــرِ مَعًـــــا وَفْــــرِي
أَمَــــــا واللهِ تسْـــــــــمَ   ع مـــا قُلْـــتُ مـــن الشِّـــعرِ
لآيِسْـــــتَ مــــن افْلاحِـــــي   يقينًـــــا آخـــــرَ العُمْـــــرِ[4]

ولعلك تدرك ما تحمله الأبيات السّابقة من إصرار الشّاعر على المواجهة بمبدئه المخالف ؛ إذ يمزجُ بين أعياد النّصارى ، وأعياد المسلمين ، لِيسْتَبدل العكوف على الخمر في الكنائس ، وطلب الغلمان المرد بما دعت إليه تعاليم الإسلام من عُكوفٍ على الذّكر والعبادة في يوم النّحر[5].

وفي قوله :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 83 .

[2] صدقي ، عبد الرحمن : **ألحان ألحان** ، ص 66 .

[3] الزّيرات : الأوتار الدقيقة في آلات الطرب والملاهي ، **الديوان** : ص 199 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 199 .

[5] يوم النّحر : العاشر من ذي الحجّة . قال تعالى : " **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** " . الحج ، الآية 27 ، 28 .

{ البسيط }

دَعِ البَســـــاتينَ مِـــــنْ وَرْدٍ ، وتُفَّـــــاحِ واعْـــدِلْ – هُـــدِيتَ – إلـــى ذاتِ الأُكَيْـــرَاحِ
اعْـــدِلْ إلـــى نَفَـــرٍ ، دَقَّـــتْ شُخوصُـــهمُ مـــــنَ العِبـــادةِ ، إلَّا نِضْـــوَ أَشْـــباحِ
يكـــــــرِّرُونَ نَواقِيسًـــــا مُرَجَّعــــــةً علـــى الزَّبُـــورِ ، بإمْسَـــاءٍ ، وإصْـــباحِ
تنْـــأَى بســـمْعِكَ عـــن صَـــوْتٍ تكَرَّهُـــهُ فلســـتَ تسْـــمَعُ فيـــه صـــوتَ فـــلَّاحِ
إلّا الدّراســــةَ للإنجيـــلِ مـــــن كُتُـــبٍ ذِكْـــرَ المســـيحِ بـــإبْلاجٍ وإفْصَـــاحِ
يـــا طِيـــبَهُمْ ، وعَتيـــقُ الـــرّاحِ تُحْفَـــتُهم بكـــلِّ نَـــوعٍ مِـــنَ الطَّاســـاتِ رَحْـــرَاحِ
يسْـــقِيكَهَا مُـــدْمجُ الخَصْـــرَيْنِ ، ذو هَيَـــفٍ أخـــو مـــدارعِ صـــوفٍ فـــوق أَمْســـاحِ[1]

فيرسم الشّاعر لوحةً منقلبة يستمدّ ألوانها من ألفاظٍ مسيحيّة ؛ ليشعر القارئ بأنّه غدا زاهدًا في متاع اللّذة الدنيوية بعد أن سلبه زهد أولئك الرّهبان الذين أجهدوا أنفسهم في العبادة حتّى انبرت أجسادهم ونحلت أعوادهم فأضحت كالأشباح ، واهتزّت أسماعه بأصوات نواقيسهم تدعوهم إلى الصّلاة ، وتدارس الإنجيل كلّ صباحٍ ومساء[2] . ولكن القارئ يفاجأ بأنّ النشوة الدينية التي اعترت أبا نواس كانت نشوةً طارئة عبّر من خلالها عن افتتانه بطقوس العبادة النّصرانية ، وطربه لسماع تراتيلها ، في مقابل بغضه لسماع صوت المؤذّن ينادي بـ " حيّ على الفلاح " ؛ وذلك لأنّه يقطع عليه تأمّله بالرهبان أولي الأمساح ، وينهاه عن منكرٍ يدور في خَلَده، ومعصيةٍ تدعوه نفسه إلى اقترافها .

تلك المعصية التي أجهد أبو نواس نفسه في تحقيقها ، وبدا مستعدًا لخدمة طاقاته الفنيّة وكل ما تختزن ذاكرته من ألفاظٍ تتعلّق بالنّصرانية لاستجداء وصل غلامٍ مسيحيّ فاتك النّظرات ، ساحر الجمال ، فيقول :

{ الوافر }

بِمَعموديَّـــــةِ الـــــدِّينِ العَتيـــــقِ بِمـــــاري بُطْـــــرِسَ بالجَـــــاثليقِ
بشَـــــمعونَ بِيوحنّـــــا بِمَتّـــــى بِمـــاري سَـــرْجِسَ القـــسِّ الشَّـــفيقِ
بمـــــارة مَـــــريمَ وبيـــــومِ فِصْـــــحٍ وبالقُرْبـــــانِ والخَمْـــــرِ العَتيـــــقِ
بمـــيلادِ المَســـيحِ بيـــومِ ذَبْـــحٍ وبـــــاعوث لتأديـــــةِ الحُقـــــوقِ
وأيـــــامِ الشّـــــعانينِ المُبَـــــدّى وَشَـــمْعَلَةِ النَّصـــارى فـــي الطَّريـــقِ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 121 .

[2] ينظر : النّويهي : **نفسية أبي نواس** ، ص 120 ، 121 .

أمـــا والقُـــرْبِ مِـــنْ بُعْـــدِ التَّنـــائي يمـــــين فتـــىً لقائِلِـــــهِ عَشـــــيقِ
لقــد أَصْــبَحتَ زينَـــةَ كِــلِّ عيـــدٍ وديــــنَ مـــع جفائِـــكَ بـــالعُقوقُ[1]

ولم يغفل أبو نواس لفظًا يتّصل بالرّسالة المسيحيّة من قريبٍ أو بعيد إلّا ووظّفه ، دون أن تعيقه قدسيّة تلك الألفاظ عن التّغزل بمحبوبه واستعطاء قربه ورضاه ، بل لعلّه استطاع أن يحيل تلك المفردات إلى ترانيم صلاةٍ عشقيّة تفضي به إلى نيل محبوبٍ نصرانيٍ أعياه في تتبعه ، وأرهقه في جَوْره [2] .

فإذا تمّ له الوصال فإنّه سيجعل من كنيسة ذاك الغلام قبلةً يحجّ إليها ، ويمارس شعائر دينيّة اختصت بالبيت الحرام ، معلنًا تحديه السّافر لحرمة المشاعر المقدّسة ، والرّكن الخامس من أركان الدين ، فيقول :

{ الوافر }

غَـــزَالُ العُمْـــرِ فـــي خَلَـــلِ الـــدِّيارِ فَـــداكَ مَـــع اللِّحـــى شَـــكْلُ الجَـــواري
إذا مـــــا راحَ مِـــــنْ قـــــلا يَتيـــــهُ لِهَيْكَلِـــــــــــهِ وأَذَّنَ بابْتِكـــــــــــارِ
يُقلّـــــدُ فـــــي تَرائِبِـــــهِ صَـــــليبًا ومُسْـــــتلب الـــــذَّوائِبِ بالشّـــــعارِ
فَـــذاكَ وإنْ عَصَـــبْتُ لَـــهُ بِرأَســـي عصـــابَةَ شُـــهرةٍ مـــن قـــولِ زَارِ
أَحَـــبُّ إلـــيَّ مِـــنْ نَعْـــتِ المَطايَـــا إلـــى البَيْـــتِ المُحَـــرَّمِ ذي السِّـــتارِ
وطَـــــوْفي بالصَّـــــفاءِ ومَرْوَتَيْـــــهِ وَمَسْـــحِ الـــرُّكْنِ مَـــعْ رَمْـــيِ الجِمـــارِ
سَـــأَجْعَلُ حِجَّتـــي ماسرجَســـايا رَضـــيتُ بِـــذاكَ حِجّـــي واعْتِمـــارِي
وَدَومـــــةَ شَـــــفرا والـــــدّير رُكْنـــــي وأَخْلـــــق لِمتَّـــــى بالنّوبَهـــــارِ[3]

وقد يلحّ أبو نواس في استعطاف ذاك الغلام إلحاحًا يجعله لا يرى نفسه سوى قسٍ أو مطرانٍ، أو إنجيلٍ مقدّس ، أو حتّى قربان يقرّبه محبوبه [4] ، في إشارة إلى الارتباط الوثيق بين تلك المفاهيم ورغبات أبي نواس المنقلبة التي تدفعه إلى توظيف ما اكتسبه من ثقافة تتعلّق بالمسيحيّة للإيقاع برهبانها ، وخادمي أديرتها .

---

[1] أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 80 ، 81 .
[2] ينظر : **الديوان** ، ص 366 ، 370 . **والفكاهة والإتناس** ، ص 80 – 84 .
[3] أبو نواس ، **الفكاهة والإتناس** ، ص 84 ، 85 .
[4] ينظر : **المصدر السابق** ، ص 85 .

ب– الألفاظ المجوسية

انتهج أبو نواس في توظيف الألفاظ المجوسيّة أسلوبه في استخدام الألفاظ المسيحية ، فيقول في غلامٍ يدعى " بَهْروز " :

{ الوافر }

حَمــــانِي وَصْـــلُ أَبْنَـــاءِ القُســـوسِ ... بِحُـــبِّ الفُـــرْسِ بَهْـــروزَ المَجوسِـــي

تَقِـــيُّ الــــنَّفْسِ أَزْهَــــرُ قُرْطِقِــــيٌّ ... رَشــــيقُ القَـــدِّ كـــالظَّبْيِ النَّعــوسِ

شَـــكَوْتُ إلِيْـــهِ كُرِبَـــةَ مُسْـــتهامٍ ... وكــــان لقاؤُنــــا يــــومَ الخَمـــيسِ

فَقُلْـــتُ ونَحْـــنُ فـــي وَجَـــلٍ شَـــديدٍ ... رَضـــينا مِـــنْ وِصـــالِكَ بالخَســـيسِ

بأَسْـــــفَهر ويانيــــــدَ ونَهْــــــرٍ ... وَحَــــقِّ المَـــــاهِ والمِهــــراربيسِ

بمـــا يَتلـــونَ فــي البيســـاقِ زُمَـــرًا ... كتـــابَ زرود داعيَـــةَ المَجـــوسِ

بِحــــقِّ المِهركــــانِ ونــــوكروزٍ ... ومرحَـــــف أَمســــاه الكبــــيسِ

ومــا يتلــونَ فــي شــروينَ دســتي ... ومــــن حــــرداب رامــــينِ ووبـــسِ

لمَــــا كلَّمْتَنَــــي وَرَددتَ نَفســــي ... فــإنِّي مِــنْ جَفائِــكَ فـــي رَســـيسِ[1]

فقد حشد أبو نواس ألفاظًا فارسيّة مجوسيّة بعيدة كلّ البعد عن الثّقافة العربيّة الإسلاميّة ؛ لخدمة غرضه في استمالة محبوبٍ استعصى عليه نواله ، ولم يورثه إلّا الجروح والقُروح بتمنّعه ودلاله .

لقد أثبتتْ لُغَةُ النُّواسي مرونتها وتجدّدها ، وقدرتها على احتواء روح الشاعر ، والتّكيّف مع متطلباته الذّهنيّة والنّفسية والجسدية ، فتفوّقت على ذاتها ، واستعارت من ثقافة العصر ما يمكّنها من التّماشي مع مآرب الشاعر .

جـ – الألفاظ الفلسفية

اتكأت لغة أبي نواس على ألفاظٍ فلسفيّة تبرر مجونَ الشَّاعر بحُجَّة إيمانِه بِفَلسفة المُرجئة التي تنادي بالعفو المُطْلَق عن كلِّ مُسْلمٍ نَطَقَ الشَّهادَة [2] ، فيقول :

[1] أبو نواس ، **الفكاهة والإئتناس** ، ص 78 ، 79 . و ينظر : ص 77 ، 79 ، 99 ، 100 .

[2] ينظر : خليف ، يوسف : **في الشّعر العباسي نحو منهج جديد** ، ص 63 .

{ البسيط }

فَقُــلْ لِمَــن يَــدَّعي فــي العِلْــمِ فَلْسَــفةً حَفِظْـتَ شَـيئًا وغابَـتْ عنْـكَ أَشْـياءُ
لا تَحْظُــرِ العَفْــوَ إنْ كُنْــتَ امــرَأً حَرِجًــا فــإنَّ حَظْرَكَــهُ فــي الــدِّينِ إزْراءُ[1]

وجاءت ألفاظه في زهديّاته مشفوعةً بقوالب من الحكمة والتّجربة ، خلافًا لما كانت عليه لغته في خمرياته ومجونه ، فيقول :

{ الخفيف }

انْقَضَــتْ شِــرَّتِي فَعِفْــتُ المَلاهِــي إذْ رَمَــى الشَّــيْبُ مَفْرِقِــي بالــدَّواهِي
وَنَـهَتْنــي النُّهــى فَمِلْـتُ إلــى العــدْ لِ وأَشْــفَقْتُ مِــنْ مَقالَــةِ نَــاهِ
أيُّهــا الغافِــلُ المُقــيمُ علــى السَّــهْ وِ ، ولا عُــذْرَ فــي المُقــامِ لِســاهِ
لا بَأَعمالِنــا نُطيــقُ خَلاصًــا يــومَ تَبْــدو السَّــماءُ فــوقَ الجِبــاهِ
غَيْــرَ أَنّــي علــى الإســاءَةِ والتَّــفْ ريــطِ راجٍ لِحسْــنِ عَفْــوِ اللهِ[2]

كما استجابت لغة أبي نواس لأذواق من عاصره من النّقاد ، وعلماء اللّغة ممن ارتبط ذوقهم بالأساليب العربية القديمة ، فكانت لغةً رصينةً متماسكةً ذات طابعٍ ارستقراطيّ مقيّد بقيود لفظيّة ومعنويّة وعروضيّة ترفعها عن متناول العامة ، وتجعلها تتفوّق حتّى على نظم القدماء في أغراض المدح والفخر والرّثاء والوصف [3] .

لقد حققت لغة أبي نواس نوعًا من التّوافق بين ذات الشّاعر ولذّاته ورؤيته للحياة ، ومواقفه المتمرّدة المخالفة ، فكانت محطّة إعجاب لم يسلم من النّقد ، ولا سيّما حين خرج فيها الشّاعر عن صحّة الكلمة من ناحية النحو والإعراب ، أو المعنى والوصف [4] .

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 7 . وينظر : ص 126 ، 182 ، 620 .

[2] **المصدر السابق:** ، ص 621 .

[3] ينظر : حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ج 2 ، ص 120 ، 121 . و لحميداني ، حميد : **في قراءة شعر أبي نواس** ، ص 32 .

[4] ينظر : الواسطي ، محمد : **المنهج اللغوي وتطبيقه في شعر أبي نواس** ، ص 10 .

ثانيًا : الأسلوب الشعري

خضع إبداع أبي نواس لرؤيته المتمرّدة، ومنطقه المعكوس ، فَبدا أسلوبه الشّعري مختلفًا حافلًا بما ورثه من ثقافةٍ وعلوم ومعارف قد صاغها الشّاعر صِياغَة تخدم طريقته في المواجهة والتغير .

وبثَّ أبو نواس في أسلوبه روحه المُتجدّدة وما طبعت عليه قريحته المُوّلدة من حبّ الثّورة والانقلاب . وقد تمثل هذا الأسلوب بما يأتي :

1- التناص :

" ظهر التناص في الدّراسات الأدبية والنقدية كَمصطلحٍ يختزل تلك العلاقات الدّاخلية التي تحدث بين النّصوص الإبداعية كنتيجة من نتائج امتزاجها وتحاورها وتراكمها " [1] . فهو شيء عامٌ ومتوقع ؛ إذ لا بدَّ لأيٍّ شاعرٍ من الاطّلاع على ما سلف من التّراث ، ولا بدّ له من الاستفادة ممّا جادت به قرائح سابقيه حتى يستقل بطريقته [2] ، كما لا بدَّ للقارئ من أن يكون على معرفة بالنّصوصِ التي تتعالق وتتداخل ؛ ليتمكنَ من التّفاعل مع النّص الجديد [3].

وقد وظّف أبو نواس التّناص بأنواعه المختلفة في أشعاره ، ولكنّ توظيفه كان معانقًا للنّص الأصلي تارةً ، ومنافرًا له تارةً أخرى ؛ حيث وجد في المعنى المعكوس ما يخدم مذهبه الفني المُتمرّد . ويسلّط هذا القسم الضّوء على ما اقتبسه الشّاعر من ألفاظ ، ونصوص دينية ، أو أدبية، أو تاريخية ، أو علمية ، عمد إلى توظيفها بما يوافق انقلابه ويمكّنه من مواجهة متحديه وعذّاله . وفيما يلي نماذج من هذا التّناص :

أ- التناص الديني

ساهمت نشأة أبي نواس في إثراء مخزونِه الدّيني من القرآن الكريم ، والحديثِ الشّريف والأخبار الدّينية ، ولكن هذا المخزون بات عرضة للتّحويل والتّغيير بما يوافق غرض الشّاعر

---

[1] نصير ، فاطمة : **تجلّيات التناص في أشعر أبي نواس** ، مجلّة مقاليد ، جامعة قاصدي مرباح ، الجزائر ، ع 5 ، 2013 م ، ص 191 .

[2] ينظر : سنجلاوي ، إبراهيم : **دلالة التّضمين في خواتم قصيدة أبي نواس** ، مجلة جامعة دمشق ، سوريا ، م 3 ، ع 11 ، 1987 م ، ص 52 .

[3] ينظر : ربابعة ، موسى : **جماليات الأسلوب والتّلقي دراسة تطبيقية** ، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2008 م ، ص 109 .

وهدفه ، وما يمازج سلوكه العابث الماجن [1]. ومن ذلك اقتباسه قوله تعالى : " **وَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْن** "[2]، في قوله :

{ البسيط }

مـــا قــالَ رَبُّــكَ وَيــل للآئـــي سَـكِروا   بَـــلْ قـــالَ ربُّـــكَ ويـــلٌ لِلْمُصَـــلّينَا[3]

حيث يرى أبو نواس في توعّد الله تعالى المصلّين حُجّة يتصدى بها للائمية الذين يحاولون النّيل من معبودته ، فينفي استحقاق السّكارى للعذاب فيما يثبته للمصلّين ، على أنّ الحكم الوارد في الآية القرانية لم يكن حكمًا مطلقًا ؛ إذ إنّ الله تعالى يتوعّد المصلّينَ السّاهين في صلاتهم [4] .

وإذا كان القرآن الكريم نهى الرّسول، صلى الله عليه وسلم، عن نَهرِ السّائل المِسكين فقال : " **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** " [5] فقد وظّف أبو نواس معنى هذه الآية توظيفًا معكوسًا في قوله :

{ الكامل }

يَــــا نَـــــاهِرَ المسْـــكينِ عنْـــدَ سُـــؤالِهِ   اللهُ عاتَـــبَ فـــي انتهـــارِ السَّـــائِلِ[6]

فصوّر نفسه واقفًا بباب مجبوبته ، محتاجًا إلى الوصل والحبّ ، بصورة سائلٍ مسكين يطلب الصّدقة التي تقيمُ أَوَدَه ، فيقابل بالصّد ، فلا يملك سوى عتاب المحبوبة بما نهت عنه الآية الكريمة على الرّغم من أنّه يطلب منها وصلًا محرمًا [7] .

ويحوّر أبو نواس المقصود من قوله تعالى : " **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** " [8] بما يوافق هواه ، ويحقق بغيته من محبوبه ، فيقول :

---

[1] ينظر : الزّهيري ، محمود : **تأثير القرآن الكريم في شعر أبي نواس** ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، م 9 ، ع 1 ، 2013 م ، ص 85 ، 65 .

[2] **سورة الماعون** : (الآية 4) .

[3] نقلًا عن : عبود ، مارون : الرؤوس ، ص 120 .

[4] ينظر في تفسير هذه الآية : قطب ، سيّد : **في ظلال القرآن** ، ط 25 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1996 م ، م 6 ، ص 3985 ، 3986 .

[5] **سورة الضّحى** : (الآية 10) .

[6] أبو نواس : **الديوان** ، ص 253 .

[7] ينظر : الزّهيري ، محمود : **تأثير القرآن الكريم في شعر أبي نواس** ، ص 94 .

[8] **سورة الرحمن** : (الآية 60) .

{ السريع }

لــو كنْــتَ فــي حبِّيــكَ لِــي منْصِــفًا جازَيْـــــتَ بالإحْســـــانِ إحْسَـــــانَا[1]

كما نَثَرَ أبو نواس قوله تعالى : " **سُبْحَانَ الّذِي سَخّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ** " [2] في جزئيّة شعريّةٍ غاية في العبث والمجون ، فقال :

{السريع }

سُـــبحانَ مـــن سَـــخَّر هـــذا لَنـــا يومًـــا ومـــا كنّـــا لـــه مُقـــرنينْ[3]

فهو يسبّح الله على ما سُخِّرَ له من معصية مع ذاك الخدين ، على النقيض من حال المؤمنين الذين يستشعرون نعمة الله تعالى عند ركوبهم المطايا ، وفي هذا مخالفة لما أمر الله به في الآية ، وإباحة لكبيرة تستوجب العذاب الشّديد .

ولا يرعوي أبو نواس عن استخدام آيات القرآن الكريم لتبرير مجونه وقلّة ورعه ، فتراه يوظّف الحُكْمَ الوارد في قوله تعالى : " **يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**" [4] ، في تسويغ تسويغ إصراره على عشق الغلمان ، وإيثاره إيّاهم على النّساء ، فيقول :

{ الوافر }

وعاذلـــــةٍ تلـــــومُ علـــــى اصْـــطِفائِي غلامًـــــا واضِـــحًا مثــــل المَهـــاةِ

وقالـــت : " قـــد حرمْـــتَ ، ولـــم تُوفَّـــقْ لطيـــبِ هَـــوى وِصـــالِ الغَانِيـــاتِ

دَعينِـــــي لا تلُـــــومينِي ؛ فــــإنّي علـــى مـــا تَكْـــرهينَ إلـــى الممـــاتِ

بـــــذَا أوْصَـــــى كتـــــابُ اللهِ فينـــــا بتَفْضـــيلِ البنـــينَ علـــى البنـــاتِ[5]

على أنّ اصطفاء البنين على البنات من أخلاق الجاهلية التي أنكرها الإسلام ، فقال تعالى : " **أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ** " [6]، إلا أنّ أبا نواس قلب هذا الحكم لما يتفق مع سلوكه الماجن في وصال الغلمان ، والنفور من الجواري [7] .

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 345 .

[2] **سورة الزخرف** : (الآية 13) .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 373 .

[4] **سورة النّساء** : (الآية 11) .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 715 .

[6] **سورة الزّخرف** : (الآية 16) .

[7] ينظر : الزهيري ، محمود : **تأثير القرآن الكريم في شعر أبي نواس** ، ص 104 .

وإذا كانت الآية الكريمة في قوله تعالى : " **إلا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** " [1] ، قد أبرزت " صورة الأمّة الخيّرة .... القيّمة في الأرض على الحقّ والعدل والخير .... متواصيةً بالحقّ والصبر في مودّة وتناصحٍ وتآخٍ " [2] ، فإنّ أبا نواس أحالها بمفهومها، وما ترمي إليه حقيقتها إلى صورة مغايرة تعكس أخلاق ندمائه ، فيقول :

{ البسيط }

قـــومٌ تَواصَـــوْا بتـــرْكِ البِـــرِّ بيْـــنَهُمُ تقـــول: ذا شـــرُّهمْ ، بـــل ذاكَ ، بـــلْ هـــذَا
لَيْســـوا كقـــومٍ إذا حاذيـــتَ مجلســـهم أنْفِـــذْتَ بـــالتَّرْكِ والإزْكَـــانِ إنْفَـــاذَا
هنـــاكَ لا تَتَخَطَّـــى الأُذْنَ لائمـــةٌ ولا تـــرى قـــائلًا مـــن ذا ، ولا مـــاذا.. [3]

فصفوة الشّاعر وأحبابه من شرار النّاس ، يجمعه بهم الفعل الحرّ ، والإرداة التي لا تخضع لعبوديّة الأعراف والتّقاليد ، فيعيش بينهم بكامل حريّته ، فلا لوم ولا تقريع ولا عتاب ، فهم بخلاف الآية الكريمة السّابقة متفّقون على الشرّ ، متواصون بترك البّر ، إلّا أنهم كما يرى الشّاعر نخبةً تستحقّ الاحترام والتّقدير [4] .

واجترأ أبو نواس على أحكام الحلال والحرام ، فحلّل ما حرّم الله ، وجاهر بفسوقه وتهتّكه ؛ ليثبت أنّه لا يخضع إلا لعبثه وما تنطوي عليه لذته ، وأنّه لا يبالي بعظم العقوبة التي تحول دونه ودون رغباته وشهواته . فتراه منقلبًا على قوله تعالى : " **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ** " [5] فيقول :

{ الوافر }

كـــم لَيْلَـــةٍ قـــد بـــتُّ أَلْهُـــو بِهـــا لـــــوْ دامَ ذاك اللَّهْـــــوُ للّاهِـــــي
حرَّمَهــــــــا اللهُ ، وحلَّلْتُهَــــــــا فكيــــــف بــــــالعفْوِ مــــــنَ اللهِ [6]

على الرغم من اعترافه بأنّها حرمات يستوجب اقترافها إقامة الحدّ ، فيقول في تحليل الخمر مثلاً:

---

[1] **سورة العصر** : (الآية 3)
[2] قطب ، سيّد : **في ظلال القرآن** ، م 6 ، ص 3968 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 27 .
[4] ينظر : الزعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد** ، ص 124 .
[5] **سورة النحل** : (الآية 116)
[6] أبو نواس : **الديوان** ، ص 623 .

{ الكامل }

فأشـــربها صِـــرْفًا ، وأَعْلَـــمُ أنّنـــي أُعَـــزَّزُ فيهـــا بالثّمـــانين فـــي ظهـــرِي[1]

كما استحضر أبو نواس أسماء وفواتح بعض السّور القرآنية ؛ لا ليعظم من شأنها ، وإنّما ليعظم شأن محبوبته ، وليؤكد على أنه لن يهجرها وإن بادلته العشق بالسّلوان ، فيقول :

{ المجتث }

والله مُنْـــــــــــزِلُ طـــــــــــهَ والطُّـــــــــورِ والـــــــــذَّارِياتِ

آلـــــــــــــــر صٍ وقٍ والحشْـــــــرِ والمرْسَـــــــلاتِ

وَرَبِّ هُـــــــودٍ ونُـــــــونٍ والنُّـــــــورِ والنَّازِعَـــــــاتِ

لَا رمْـــــتُ هجْـــــرَكِ حِبِّـــــي حَتَّـــــى وإنْ لـــــمْ تُـــــواتِي[2]

ولا بدّ أنْ يلحظ المتأمل في شعر أبي نواس توظيفًا لأسماء بعض الأنبياء ، وبعض الشّخصيات الدّينية . ولم يكن ذاك التّوظيف من باب آخذ العبرة والعظة وإنّما أراد الشّاعر من خلاله إثبات تفوّق خمرته وتميزها ، فهي منسوبة إلى الأزل ، رافقت نوحًا وآدم قبله ، يقول :

{ الكامل }

ذُخِـــــرَتْ لآدمَ قبْـــــلَ خِلْقَتِـــــهِ فتقدَّمَتْـــــهُ بخَطـــــوَةِ القَبْـــــلِ[3]

ويقول :

{ الوافر }

رأتْ نُوحًـــا ، وقـــد شَـــمِطَتْ وشـــابَتْ وقـــد شـــهدتْ قُرُونًـــا قبـــل نـــوحِ[4]

وسمعت بذي القرنين ، بل أدركت موسى عليه السّلام ، وصاحبه الخضر ، فيقول :

{ الطويل }

سَـــمِعَت بـــذي القَـــرْنَيْنِ قبـــل خُرُوجِـــه وأدركْـــتُ موسَـــى قبـــل صـــاحبِه الخِضْـــرِ

ولـــو أنّنـــي خُلِّـــدْتُ فيـــه ســـكَنْتُهُ إلـــى أن ينـــادِي هـــاتف اللهِ بالحشْـــرِ[5]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ص 36 ، وينظر : ص 679 ، 691 . و أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 114 .

[2] **المصدر السابق** : ، ص 227 . وينظر : أبو نواس : **الفكاهة والإتناس** ، ص 68 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 42 .

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 164 . وينظر : ص 684 .

[5] **المصدر السابق** : ص 690 .

واختمرت في الخوابي ، وحجّبت في الدّنان من عهد طالوت ، وفي هذا يقول :

{ البسيط }

قلنــا لهــا : كــم لهــا فــي الــدَّنْ مــذْ حُجِبَــتْ   قالــت : قــد اتُّخِــذْتُ مــن عَهْــدِ طَــالوتِ[1]

ويغالي أبو نواس في عبثه وتماجنه ، إذ يتأثّر بقصص الأنبياء تأثرًا معكوسًا، ويستحضرها في موضعٍ غير موضعها ؛ ليثبت صحة موقفه المنقلب ، فيقول :

{ المنسرح }

حُـــبُّ الغَـــوانِي مِـــنَ الرَّشَـــادِ ولَـــوْ   يكـــادَ يُـــدنِي المُحِـــبَّ مِـــنْ أَجَلِـــهْ
فَـــتنَّ بالحُسْـــن يوســـفًا وكـــذا   داودَ حتّـــى بَغَـــى علـــى رَجُلِـــهْ
فاغتالَـــهُ كَـــي يحـــوزَ نَعْجَتَـــهُ   ولانَ لِلحــــبّ عِنْــــدَ مُقْتَبلـــهْ
وزَينبًـــا تَيّمَـــتْ مُحمّـــدَنا   فبـــانَ زيـــد ووصـــارَ مـــنْ بَدَلِـــهْ
وَصـــوَّر اللهُ آدمًـــا قَصـــبًا   إلـــى الغَـــوانِي وكُـــنَّ مِـــنْ أَمَلْـــهْ[2]

حيث يرى الشّاعر الرّشاد في اتّباع الغواني والإذعان لحبّهم ، ألم يتبعهم الأنبياء المعصومون ؟ فكيف للإنسان غير المعصوم أن يمنع نفسه من عشقهم ؟! ولا يخفى على القارئ ما قصده أبو نواس من استهزاء بالأنبياء ، وعبثٍ بأخبارهم .

وفي قوله :

{ البسيط }

صـــلّى الإلـــه علـــى لـــوطٍ وشـــيعته   أبَـــا عبيْـــدَةَ قُـــلْ بـــالله آمينَـــا
فأنـــت عنـــدي بـــلا شـــكٍّ بقيّـــتُهمْ   منـــذ احتْلمْـــتَ ، وقـــد جـــاوزْتَ سَـــبعِينَا[3]

يورد الشّعر الصلاة على لوطٍ عليه السّلام ، ويثني على شيعته وقومه تماجنًا ؛ فليس قوم لوطٍ ممن يستحقون الصلاة عليهم ولا الدّعاء لهم ، لأنّهم ملعونون في القرآن ، ونبيّهم بريء منهم ، ولكنّ أبا نواس ذكرهم لما رأى من شيوع خُلُقهم في مجتمعه ، فاتخذَ من قُبْح أفعالهم وصفًا يهجو به

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص 39 .
[2] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 66 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 531 .

خصومه[1] . وفي بيتٍ آخر يتفاخر الشّاعر بانتمائه إلى قوم لوط ، مستخفًا بما ألحقه الله بهم من عذاب ، فيقول :

{ الوافر }

أَرى تَــــرْكَ اللّــــواطِ علـــــيَّ عَـــارًا لأنِّـــي واحـــدٌ مِـــنْ قَـــوْمِ لُـــوطِ[2]

ويخالف الشّاعر وصايا لقمان الحكيم ، ويجعل من وصاياه المنقلبة قواعد خُلُقيّة يدعو إلى تطبيقها ، عوضًا عنها ، مستهينًا بالحساب يوم القيامة ، فيقول :

{ مجزوء الكامل }

أوصــــي أُخـــيّ إلـــى النَّـــديم بِخــــلافِ لُقْمــــانَ الحَكـــــيمْ

لا تَبْكــــــــينَّ لِهالــــــــكٍ لا تحنـــــونَّ علــــــى يَتــــــيمْ

وتَحسَّـــــــــها زَيْتيَّــــــــةً صَــــفراءَ فايحــــــةَ النَّســــــيمْ

وغَـــدًا مَصـــيرك فـــي الحِســـا ب إذا وفدْت علـــــى الكَـــــريمْ[3]

ويحيل أبو نواس ألفاظًا التصقت بمعانٍ دينية محددة إلى معانٍ أخرى ، تخالف المألوف ، فيما تطابق منطقه وتؤيّد انقلابه ، ومثال ذلك ألفاظ الطّواف ، والسّعي ، والتّلبية ، والعبادة ، في قوله :

{ الوافر }

فأطيـــبُ منـــه صَـــافيةٌ شَــمُولٌ يَطـــوفُ بكأسِـــهَا سَـــاقٍ أَديـــبُ[4]

حيث يساوي خمر الآخرة التي وعد الله بها عباده المتقين ، بخمر الدّنيا المحرّمة ، ويخلع على الغلمان الخلعاء الذين يقدمون كؤوس الشّراب صفاتٍ اختُصّ بها ولدان الجنّة ، منقلبًا على قوله تعالى : " **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ** " [5] . ويقول في صورةٍ أخرى :

{ الوافر }

أطُـــوفُ بِقَصْـــرِكُمْ فـــي كـــلِّ يـــومٍ كـــأنَّ لِقَصْـــرِكُمْ خُلِـــقَ الطَّـــوافُ

---

[1] ينظر : الزهيري ، محمود : **تأثير القرآن الكريم في شعر أبي نواس** ، ص 104 ، 105 .

[2] ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ص 137 . وقد ورد ذكر هذا البيت سابقًا ، ينظر : الرّسالة ، ص

[3] أبو نواس : **الفكاهة والإئتناس** ، ص 103 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 11 .

[5] **سورة الواقعة** : (الآية 17)

أنَـــا العَبْـــدُ المُقـــرُّ بِطـــولِ رِقٍّ   ولـــيسَ عَليــكِ مِــنْ عَبْــدٍ خِــلافُ[1]

فيختصُّ الشّاعر قصر محبوبته بالطّواف ، ويجعله دليلًا يقرُّ به عبوديتَه وإذعانَه لها ، دون أن يعبأ بقدسيّة الطّواف حول الكعبة المشرّفة ، بوصفه ركنًا من أركان الحجّ .

وتراه مستهترًا بالتّلبية التي ينادي بها الحَجيجُ في المشاعر المقدّسة ، ويجعلها نداءً يستعطف به المحبوب ، فيقول :

{ البسيط }

العبـــدُ عبْـــدُكَ ، وابْـــنُ عَبْـــدَيْكَ   فكيــف يعصــيكَ عبــدٌ طــوْعُ كَفيْــكَ

إنْ قــالَ لَبيْــك لــم تَقْنَــع بواحــدةٍ   حتّــى يُضــيفَ إلــى لبَّيْــكَ ســعْدَيْكَ[2]

ويرى أنّ للخمر أسماءً حسنى الأوْلى أن تُدعى بها ، فيقول متماجنًا على قوله تعالى : "**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** " [3] :

{ السريع }

أَثْــــنِ علــــى الخَمْــــرِ بآلائِهـــا   وسَــــمِّها أَحْسَــــنَ أَســــمائِهَا[4]

كما يجعل من السّجود عبادةً لا يتقرب بها إلى الله ، وإنّما إلى الخمر المقدّسة ، فيبدو في قمّة الخضوع والضّراعة لها ، فيقول :

{ المنسرح }

قلــتَ شــعاعٌ ؛ فكيــف أشــربها   لــو كــان خمــرًا لأبــرزت كــدَرَا

حتّــى إذا ذُقْتُهــا خَــرَرْتُ لَهــا   بعــد مجــالِ الظّنــون منْعَفِــرَا[5]

ويشبه الشّاعر خمرته بماء الكوثر ، شرابُ المؤمنين العذب في الجنّة ، فيقول :

{ المتقارب }

عقيلـــةُ شـــيْخٍ مـــن المشْـــركينَ   أتَتنَـــا تَهـــادى مـــن الكـــوْثَرِ[6]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 269 . وينظر : ص 375 .

[2] **المصدر السابق** : ص 383 .

[3] **سورة الأعراف** : (الآية 180)

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 13 .

[5] أبو نواس: **الديوان**، ص 190 . وينظر : ص 61 ، 344 ، 683 .

[6] **المصدر السابق** : ص 682 .

وكأنّ خمرته تُلخّص نعيم الدنّيا والآخرة ، ولذا لا عجب أنْ يصرّ عليها ؛ وقد منحته من اللّذة ما لا يعوّض ، وأسبغت عليه من النّعيم ما يجعله أسيرَ قيودها .

واقتبس أبو نواس أحاديث نبويّة ، ووظّفها لغير مرادها ، فيقول :

{ البسيط }

اللهُ يَعْلَـــمُ مـــا تَرْكِـــي زِيـــارَتَكُم إلّا مخافَـــــــةَ أعـــــــدائِي وحُرّاسِـــــــي

ولـــو قـــدرْنَا علـــى الإتيـــانِ جئْـــتُكُمُ سَـــعْيًا علـــى الوجْـــهِ أو مَشْـــيًا علـــى الـــراسِ

وَقَـــدْ قَـــرَأْتُ كِتابًـــا فـــي صـــحائفكمْ لا يـــــــرحمُ اللهُ إلّا راحـــــــمَ النّـــــــاسِ[1]

حيث ضمّن الشّاعر قول الرّسول صلى الله عليه وسلم : " **مَنْ لا يَرْحَمِ النّاس لا يَرحمْه اللهُ** " [2]، ليستجدي عطفَ محبوبه ، ويستميحه عذرًا على ما بدر منه من تأخّرٍ عن زيارته . وفي موضعٍ آخر ، ينثر أبو نواس قول الرّسول صلى الله عليه وسلم : " **الأَرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ ، ما تعارَفَ منه ائتلَفْ ، وما تَنافرَ مِنْها اخْتَلَف** " [3] ، في قوله مخاطبًا أحد الغلمان :

{ البسيط }

قُـــلْ لِلمَلـــيحِ ، أمَـــا تَـــرْوِي " الحَـــديث " بمـــا خَالفْـــتَ فيـــهِ وَقَـــدْ جَـــاءتْ بـــه الصُّـــحفُ

.. إنَّ القُلـــــــوبَ لأجْنـــــــادٌ مُجنَّـــــــدَةٌ للهِ فـــــي الأرْضِ بـــــالأهْواء تخْتَلِـــــفُ

فمــــا تَعـــــارَفَ منْهـــــا فَهْـــــوَ مُؤْتَلِــــفٌ ومَـــا تَنَـــاكَرَ منْهَـــا فَهـــوْ مُخْتلِـــفُ[4]

إذ يدّعي الشّاعر أنّ ذاك الغلام خالف ما جاء في الحديث الشريف بتنكّره لهواه ، وإصراره على جفائه .

ويعمد أبو نواس إلى توظيف أحاديث ضعيفة ، استهزاءً برواة الحديث ، وعبثًا بمجالس العلم،ومن ذلك قوله :

{ مجزوء الرمل }

وَلَقَـــــــــد كُنّـــــــــا رَوَيْنَـــــــــا عَـــــن سَـــــعيدٍ عَـــــنْ قَتَـــــادَهْ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 265 .

[2] النووي ، محيي الدين بن يحيى بن شرف : **منهل الواردين شرح رياض الصّالحين** ، ضبطه ووضع شرحه وصنع فهارسه : صبحي الصّالح ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1977 م ، ص 205 .

[3] **المصدر السابق** : ص 276 .

[4] **المصدر السابق** : ص 277 .

عـــــن زُرارَةَ بـــــنِ أَوْفَـــــى — **أنّ سَـــــعْدَ بـــــنَ عُبـــــادَهْ**

قـــال مـــــن ...... حبيبًـــــا — **فـــاز منـــــه بالسَّـــــعادهْ**

وإذا مـــــــــات مُحبًّـــــــا — **فلـــــه أَجْـــــرُ الشَّـــــهادهْ**

والّـــــذي يجمـــــع إِلْفَيْـــــ — **ـنِ علـــــى حُسْـــــنِ الإرادهْ**

هـــــو فـــــي ذاك حَكـــــيمٌ — **زَعَمَـــــتْ ذاك جَـــــرَادَهْ**[1]

حيث يبتذل الحديث الذي ينص على : " **من عَشِقَ ، وَكَتَمَ ، وعَفَّ ، وماتَ ؛ فهو شهيدٌ** " [2] ، ويبدو متهتّكًا إذ يزعم أنّ (سَعْدَ بن عبادة) هو من روى الحديث ، وحاشا لمن شهد العَقَبة مع السّبعين من الأنصار ، وشهد أُحدًا والخندق وغيرها أن يفعل ذلك [3] .

ب- التناص التّاريخي

سار أبو نواس في استلهامه شخصياتٍ تاريخيّة على نهجه في استحضار بعض الشّخصيات الدّينيّة ، حيث وجد في تلك الشّخصيات ، وما يحملهُ موقفها التّاريخيّ من دلالات فرصةً تتيح له التّأكيد على أمجاد خمرته ، وأصالة جذورها ، فتراه يُكثر من توظيف شخصيتي كسرى وقيصر ؛ ليدلّل على عراقة راحه المعتّقة ، فيقول :

{ المتقارب }

ذَخـــــائرُ كسْـــــرَى لأوْلادِهِ — **وغـــرْسُ كـــرامِ بنـــي الأَصْـــفرِ**

خيـــولًا لكـــم قـــد أَتَـــتْ فُرَّهًـــا — **فمـــنْ بـــين أحْـــوَى إلـــى أحـــوَرِ**

فقـــالوا لهـــمْ : .... إنّمـــا خيْلُنَـــا — **ســـلافةُ كـــرْمِ بنـــي قَيْصـــرِ**[4]

واستدعى أبو نواس أقوامًا تقادم عهدهم ، وأوّل حضورهم بما يضيف أبعادًا جديدةً لتجربته الشّعرية ، فيقول :

{ الطويل }

شـــهدتُ ثمـــودًا حـــين حـــلَّ بهـــا البِلَـــى — **وأدركـــت أيَّامًـــا لعمْـــروِ بـــن عـــامرِ**[5]

---

[1] ابن منظور : **ملحق الأغاني** ، ص 107 . وجراده : امرأةٌ فاسقة كانت بالبصرة ، ينتابها الفسّاق .

[2] الألباني ، محمد ناصر الدّين : **سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمّة** ، ط 2 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2000 م ، م 2 ، ص 587 .

[3] ينظر : الزركلي : **الأعلام** ، ص 85 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 682 . وينظر : ص 14 ، 37 ، 73 ، 100 ، 101 ، 102 ، 104 ، 269 ، 690 .

[5] **المصدر السابق** : ص 208 .

ويقول :

{ الكامل }

لمّــــا وردْنَاهـــــا نُلِـــــمُّ بشـــــيْخِهَا ... عِلْــجٍ ، يحــدّثُ عــنْ مَصــانِعِ عــادِ[1]

فقد غدت عاد ، وثمود معادلًا زمانيًا تتحقق به جودة الخمر ، وتتحقق معه لذّة الشّاعر المفتون بالحضارة الخالدة العظيمة [2] ، على الرّغم من أنّها لم تخلّد إلّا لأخذ العبرة والعظة ، فقد أفسد أولئك الأقوام في بلادهم ، فأهلكهم الله بعذابه ، وجعلهم آيةً لعظمة الله وجبروته في البطش بكلّ من أنكر الرّسل ، وعصى أوامر الحقّ . ولكنّ أبا نواس يتغنّى بأمجادهم ، ويشيد بحضارتهم ، لأنّها تناسب موقفه الخمري ، وتتّحد مع انقلابه المعرفيّ .

وفي موضعٍ آخر يستحضر أبو نواس شخصيّة السّامريّ ؛ ويستعين بها على وصف معشوقه من الغلمان ، فيقول :

{ الوافر }

خَلِعْـــتُ ولـــيس يمْلِـــكُ ردَّ راسِـــي ... ولا يُـــــدْني بأطْمـــــاعٍ ويَـــــاسِ

بليـــــتُ مـــــن الشَّـــــقَاءِ بسَـــــامِريٍّ ... يعـــــاملُنِي الغـــــداةَ بـــــلا مِسَـــــاسِ

يَـــرى حَرَجًـــا عليـــه مـــسَّ ثَـــوْبِي ... وأن أُسْـــــقَى وإيَّـــــاه بكـــــاسِ

وأَقْسَـــــــمَ لا يكلّمنُـــــــي ثلاثًـــــــا ... بعـــــــدَّتِهِنَّ إلّا وهـــــــو نـــــــاسِ

فمـــــن ذا يُبْلِـــغ الخـــلّافَ عنّـــي ... يقـــول لـــه : فِـــداكَ أبـــو نُـــواسِ[3]

حيث يجعل نفسَه فداءً لغلامٍ يرفض أنْ يمسّه ، وأن يقترب منه ، كما كان السّامريُّ الّذي عاقبه الله بالوحدة ؛ لتصييره عجلًا من ذهب إلهًا لقوم موسى ، فلم يمسّه أحدٌ ، ولم يلمس أحدًا حتّى مات [4]. على أنّ غلامَ أبي نواس لا يرفض أنْ يمسّه أحدٌ لمرض أصابه ، وإنّما تيهًا ودلالًا ، وإسرافًا في تعذيب عاشقه وإشقائه ، فحوّر الشّاعر صورة مرض السّامريّ من صورةٍ سلبيّة مقيتة ، إلى صورة إيجابيّة تظهر إعجابه بالغلام المتمنّع الرافض .

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 78 .

[2] ينظر : الحجاجرة ، سعاد يوسف محمد : **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد** ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، الخليل ، 2012 ، ص 146 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 706 .

[4] ينظر : **حاشية الديوان** ، 706 .

جـ- التّناص الأدبي

برع النّواسيّ في تضمين أشعاره أبياتًا من قصائد سابقيه ، أو أجزاءً من تلك الأبيات ،أو أمثالًا مستندًا على ما حفظه ، وفهمه ، واستوعبه من التّراث القديم ، متحدّيًا قدرته الفنيّة في اختيار ما يلائم انقلابه ، وينسجم مع مواقفه الرّافضة من أشعار سابقيه ، وحرص في تضمينه على إظهار شخصيته المستقلّة ، وأسلوبه الخاص ؛ فلم يأت تأثره بغيره من الشّعراء تأثّرًا موافقًا لمعانٍ قصدوها في أشعارهم ، وإنّما كان تأثرًا مغايرًا نسف من خلاله القيود ، وتهكّم على التقاليد الفنيّة[1] . فلا يعني تضمين أبي نواس للشطر الأول من مطلع قصيدة زهير بن أبي سلمى :

{ الوافر }

لِمَــــن طَلَـــــلٌ بِرامَـــــة لا يَـــــرِيمُ عَفَـــا وخَـــلا لَـــهُ عهـــدٌ قَـــديمُ[2]

في قوله :

{ الوافر }

ولمّــــا لاحَ ضَـــــوْءُ الصُّـــــبْحِ عنّـــــا وحرَّ كَ عَـــــودَهُ بَـــــدْرٌ وســـــيمُ

بصــوْتِ أخـــي الحجـــازِ ؛ فهـــاجَ شـــوقي " لمَـــن طلــــلٌ برامــــةَ لا يَـــرِيمُ"[3]

أنّ الشّاعر وقف على أطلال محبوبةٍ ظعنت ، فأخذ يتأمّل آثارها التي عفت واندثرت ، أو أنّه بات منتظرًا أن يلوح خيالها ، فبكاها في شعره ؛ لأنّ الخمر التي شغفت قلبه تأبى أن تحمّله همًا ، فهي دواءٌ للكليم ، وشفاءٌ للعليل ، وعروسٌ تبعث الفرح بالطّرب والغناء [4] .

ويختتم أبو نواس قصيدته التي مطلعها :

{ البسيط }

بـــادرْ صَـــبُوحَكَ ، وانْعَـــمْ أيّهـــا الرّجُـــلُ واعْـــصِ الـــذين بجهْـــلٍ فـــي الهَـــوى عـــذَلُوا[5]

---

[1] ينظر : سنجلاوي ، إبراهيم : **دلالة التّضمين في خواتم قصائد أبي نواس** ، ص 52 ، 60 ، 75 .

[2] زهير بن أبي سلمى : **الديوان** ، الدار القوميّة للطباعة ، القاهرة ، ص 206 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 158 .

[4] ينظر : سنجلاوي ، إبراهيم : **دلالة التّضمين في خواتم قصائد أبي نواس** ، ص 60 ، 61 . وينظر : أبو نواس ، **الديوان** ، ص 158 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 84 .

بتضمينه مطلع معلّقة الأعشى " **ودِّعْ هريرةَ إنَّ الرّكْبَ مُرْتَحِلُ** " [1] حيث يقول :

{ البسيط }

هيْفـــاءُ تُسْـــمِعُنا ، والعُـــودُ يطْرِبنَـــا   " ودِّعْ هريـــرةَ إنَّ الرّكْـــبَ مُرْتَحِـــلُ" [2]

ولم يكن لشاعر دأب على المخافة كأبي نواس أن يستوحي ذاك المطلع عبثًا ، ولا سيما أنه كرره في موضع آخر فقال :

{ البسيط }

فقـــال : هـــاتِ وأسْـــمِعْنَا علـــى طَـــرَبٍ   " ودِّعْ هريـــرةَ إنَّ الرّكْـــبَ مُرْتَحِـــلُ" [3]

فإذا كانت (هريرة) محبوبة الأعشى التي لم يطق وداعها ، وطفق يسترجع لحظة ارتحالها بحزن وأسى ، فهي في نظر أبي نواس ماض ذهب بلا عودة ، وحلت محلّه الخمر ، بما تحمله من سعادة وطرب وانتشاء ، فلماذا الوقوف على أطلال محبوبة ابتعدت وهجرت ، إذا كانت الخمر محبوبة لا ترحل ، بل وتمنح شاربها من اللّذة ، ودعة العيش ما يجعله في سرور لا ينقطع .

وقد عبث أبو نواس بقول الحطيئة :

{ البسيط }

مَـــنْ يَفْعَـــلِ الخيْـــرَ لا يَعْـــدَمْ جَوازِيَـــهُ   لا يَـــذْهَبُ العُـــرْفُ بـــينَ اللهِ والنَّـــاسِ [4]

وإخراجه من سياقه الحكميّ إلى سياقٍ هزليٍّ ؛ فضربه مثلًا لوصف غلامٍ ساقٍ يحثُّ كؤوس الخمر على النّدماء ، ويطربهم بعذب الغناء ، فيقول :

{ البسيط }

يـــديرُها هاشـــميّ الطَّـــرْفِ، معتـــدلٌ،   أَبْهـــى إذا مـــا مشَـــى مـــن طاقَـــةِ الآسِ

حَـــثَّ المُـــدامَ ، وغنَّانـــا علـــى طـــرَبٍ   " الآن طـــاب الهـــوى يـــا معشَـــرَ النّـــاسِ

فقلـــتُ أضـــربُ فـــي معرْوفِـــه مَـــثلًا   لعـــادةٍ قـــد مضـــتْ منّـــي إلـــى الآسِ

---

[1] يقول الأعشى :

{ البسيط }

ودِّعْ هريرة إنَّ الرّكْبَ مُرْتَحِلُ   وهل تطيق وداعًا أيّها الرجلُ

الأعشى : **الديوان** ، تح : فوزي عطوي ، الشركة اللّبنانيّة للكتاب ، بيروت – لبنان ، ص 17 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 84 .

[3] **المصدر السابق** : ص 116 .

[4] الحطيئة ، جرول بن أوس : **الديوان** ، شرح : أبي سعد السّكري ، دار صادر ، بيروت ، 1967 م ، ص 109 .

" **مَــنْ يَفْعَــلِ الخَيْــرَ لا يَعْـدَمْ جَوازِيَــهُ   لا يَــذْهَبِ العُــرْفُ بــينَ اللهِ والنَّـــاسِ** "[1]

وفي ذات السياق السّاخر ، اختتم أبو نواس قصيدته التي مطلعها :

{ الوافر }

تعـــاتِبُنِي علـــى شُـــرْبِ اصْـــطِبَاحِ   ووصْــلِ اللَّيْــلِ مــن فَلَــقِ الصَّــباحِ[2]

يقول جرير :

{ الوافر }

أَلَسْـــتُمْ خَيْــرَ مَـــنْ رَكِـــبَ المَطايَـــا   وأَنْـــدَى العـــالَمينَ بُطـــونَ راحِ[3]

حيث أوهم القارئ بأنه سار على نهج القصيدة السابقة بوزنها وقافيتها ، ومضمونها ولا سيما أنه وظف بيتًا آخر منها في وسط قصيدته ، فيقول :

{ الوافر }

" **أتَصْـــحُو أم فـــؤادك غيـــر صـــاحٍ   عشِـــيَّة هَـــمَّ صـــحْبُكَ بـــالرَّوَاحِ** "[4]

ليفاجئه في نهاية قصيدته بنسفه السّياق القديم ، وإخراجه من جديته ، فلم يمتطي الشاعر ناقته وحيدًا وسط حرّ الهجير ليبدأ رحلة تخلص به إلى الخليفة الممدوح ، وإنما رافقه ندماؤه الأشراف وقصدوا جميعًا حانات الخمر ، وما يحيط بها من كروم معرشة ، وسقاة كرام ، وتمكّنوا من بلوغ غايتهم واصطباح خمرتهم ، وما كان البيت الأخير إلا تأكيدا على تماجن الشّاعر وصحبه وتهكمهم ، وتبيانًا لموقفٍ سخر فيه من التّقليد ، ومن السّلطة المتمثّلة بالخليفة الذي استبدله بغلام رشأ رخيم [5] .

ولا يمكن تفسير تناص أبي نواس مع مطلع قصيدة ذي الرّمة الذي يقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 75 .

[2] **المصدر السابق** : ص 169 .

[3] الخطفي ، جرير بن عطية : **الديوان** ، دار صادر ، بيروت ، 1964 م ، ص 77 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، 169 . و جرير : **الديوان** ، ص 76 .

[5] أبو نواس : **الديوان** : ص 170 .

{ الطويل }

خليلـــيَّ عُوجَـــا مـــن صُـــدورِ الرّواحِـــل   بجُمْهُـورِ حُـزْوَى فابكيـا فـي المنـــازِلِ[1]

أو توظيفه لمطلع قصيدة أخرى يقول :

{ الطويل }

ألا يَـا اسْـلَمِي يـا دارَ مَـيَّ علـى البلـى   ولا زال مـنهلًا بجرعاتـك القَطْـرُ[2]

بمعزلٍ عن ذات الشّاعر الثائرة على التّراث والأعراف الجاهليّة التي سار عليها سابقوه من الشّعراء؛ فما استحضاره لتلك الأبيات في إطار حديثه عن الخمر وريحانها ، وتلطّف لونها ، وفعلها في شاربها ، ووصف ندمائها ؛ إلّا دعمًا لموقفه الرّافض للحرمان ، اللّاهث وراء متع الحضارة الجديدة التي تمهّد سبل الغواية ، وتفتح آفاق السّرور . فهو بذلك يرفض أبيات ذي الرّمة ، وينفي سياقها القديم ، ويقلب تجربة الشّاعر القائمة على الحزن والبكاء ، والانتظار والأمل ، إلى تجربة أخرى زاخرةٍ بالإشباع والاستمتاع الّذي توفّره مجالس الخمر [3] .

ويقف المتأمل في ديوان أبي نواس على أشعارٍ تناصّ فيها الشّاعر مع نفسه ، متحدّيًا سلطة المنع والحرمان ، مواجهًا ثوابت التّحريم التي فرضتها المؤسسات الدينية ، والمجتمعيّة ، ومثال ذلك تمرّده على لوم اللّائمين ، وزجر العاذلين ؛ لأنّه لن يزيد الشّاعر إلّا إصرارًا على معاقرة معشوقته[4]، فيقول :

{ البسيط }

" دعْ عنـكَ لـوْمِي ؛ فـإنّ اللّـوْمَ إغـراءُ   كـم قـد تغنّـت ، ولا لـومٌ يلـمُّ بنـا[5]**"**

مستحضرًا نصًّا غائبًا يقول فيه :

{ البسيط }

دَعْ عَنْـكَ لـوْمِي ، فـإنّ اللّـومَ إغـراءُ   وداوِنـي بـالّتي كانـتْ هِـيَ الـدَّاءُ[6]

---

[1] ذو الرمة ، غيلان بن عقبة : **الديوان** ، قدمه وعلّق على حواشيه : سيف الدين الكاتب ، وأحمد عصام الكاتب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ص 78 ، وأبو نواس : **الديوان** ، ص 186 .

[2] ذو الرّمة : **الديوان** ،ص 36 . وأبو نواس : **الديوان** ، ص 101 .

[3] ينظر : سنجلاوي ، إبراهيم : **دلالة التّضمين في خواتم قصائد أبي نواس** ، ص 62 ، 63 ، 66 .

[4] ينظر : الشارني ، بسّام : **التناص الدّاخلي في شعر أبي نواس** ، حوليات الجامعة التونسيّة ، ع 56 ، تونس ، 2011 م ، ص 216 .

[5] أبو نواس : **الديوان** ، ص 700 .

[6] **المصدر السابق** : ص 6 .

وتراه يضمّن جزءًا من بيتٍ يقول فيه :

{ البسيط }

لا تَبْـكِ ليلـى ، ولا تَطْـرَبْ إلـى هنـدِ　　　واشْـرَبْ علـى الـورْدِ مِـن حَمْـراء كـالورْدِ[1]

في قوله :

{ البسيط }

لا تَحْفَلَـنَّ بِقَـولِ الزَّاجِـرِ اللَّاحـي　　　" واشْـرَبْ علـى الـورْدِ " مِـن مَشْـمولَةِ الـرَّاحِ

مبديًا رفضه الزجّر الذي يدعوه إلى التّقليد بالبكاء على المحبوبة أو التّغني بذكرها ، مؤكدًا مذهبه الفنيّ الجديد الذي يتغنّى بالخمر ؛ بوصفها معشوقةٌ تتفوّق بصفاتها ، وأفعالها على المرأة التي أرهق الشّعراء أنفسهم في التّغزّل بها ، والاجتهاد في وصلها وإرضائها .

وإذا كان الشّاعر قد بدا معجبًا " بدير حنّة " متغنّيًا برهبانه في قصيدةٍ مطلعها :

{ البسيط }

يـا دَيْـرَ حَنَّـةَ مِـنْ ذاتِ الأُكَيْـراحِ　　　مَـنْ يَصْـحُ عنْـكَ فـإنِّي لَسْـتُ بالصَّـاحِي[2]

فإنّه بات منقلبًا على حياتهم ، موظّفًا التناص الذّاتي ليظهر رفضه خوفهم ، ومعاناتهم وتقشّفهم [3]، فيقول :

{ البسيط }

حتّـى تَغَنّـى وَقَـدْ مالَـت سَـوالِفُهُ　　　" يـا دَيْـرَ حَنَّـةَ يـا ذاتَ الأُكَيْـرَاحِ"[4]

الأُكَيْـــــــــــــرَاحِ"[4]

حيث أورد الشّاعر بيته السّابق في سياقٍ خمريٍّ غزلي ماجن ، مناقضٍ لزهد الرّهبان وتعففهم [5].

فهو لا يطيق القيود ، ولا يرى نفسه إلّا حرًا يعيش على هواه ، ولذا فهو يأبى ما فرضه الرّهبان على حياتهم من اعتزالٍ للمتع ، وكبحٍ لشهواتٍ أباحها لنفسه ، وأحلّها لذاته .

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 27 .

[2] **المصدر السابق** : ص 297 .

[3] ينظر : سنجلاوي ، إبراهيم : **دلالة التّضمين في خواتم قصائد أبي نواس** ، ص 75 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 108 .

[5] ينظر : **المصدر السّابق** : ص 108 .

وقد ألفى أبو نواس في توظيف بعض الأمثال الفارسيّة ما يوافق رؤيته التّجديدية ، ويعكس افتتانه بالحضارة الأعجميّة ، فيقول :

{ المنسرح }

أمْشِـــي إلـــى جَنْبِهـــا أُزاحِمُهَـــا عَمْــدًا ومــا فــي الطَّريــقِ مِــنْ ضِــيقِ
كَقَـــوْلِ كِسْـــرى فيمـــا تَمَثَّلَـــهُ مِــنْ فُرْصَــةِ اللِّــصِ ضَــجَّةُ السّــوقِ[1]

د- التناص العلمي

ولم يقتصر تناص أبي نواس على اقتباس لفظٍ أو آية قرآنية كريمة ، أو حديثٍ نبويٍ شريف، أو تضمين شعريٍّ أو مثلي ، أو استحضار شخصية تاريخيّة ، بل تعدّاه ليشمل توظيف مصطلحاتٍ علميّة وفلكيّة اكتسبها عن الهند والروم ؛ ليؤكد من خلالها تفرّد خمرته ، وتميّزها ، فهو يقول مستندًا على معرفته بالنّظريّة التي تقول : " إنّ الله خلق النّجوم أولًا ، ثمّ خلق الحركة حينما دفع النّجوم في مداراتها " [2] :

{ مخلع البسيط }

تُخُيِّـــرَتْ ، والنُّجـــومُ وَقْـــفٌ لَـــمْ يَـــتَمَكَّنْ بهـــا المـــدارُ[3]

فالخمر كانت قبل الحركة كما يزعم أبو نواس ، ولذا فهي أزليّة القدم . وهي شمسٌ تربّعت في منازلها مؤذنةً بقدوم الرّبيع ، وبولادةٍ جديدة للزّمان ، فيقول :

{ السريع }

كأنّهـــا الشّـــمس إذا صُـــفِّقَتْ مَنْزِلُهَـــا الكَـــبْشُ أو الحـــوتُ
أو دارَةُ البَـــدْرِ إذا مـــا اسْـــتَوى وتَـــــمَّ لِلْعَـــــدِّ المَواقِيـــــتُ[4]

ويقول :

{ المنسرح }

أمَــا تَــرى الشَّــمْسَ حَلَّــتْ الحَمَــلا وقـــامَ وَزْنُ الزَّمـــانِ فاعْتَـــدَلَا

---

[1] المرزباني : **الموشّح** ، ص 321 ، وينظر : **أبو نواس** : الديوان ، ص 274 .
[2] ينظر : حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، ص 56 .
[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 73 .
[4] **المصدر السابق** : ص 74 .

فاشْــرَبْ علـــى جِـــدَّةِ الزَّمـــانِ فَقَـــدْ		أَصْـــبَحَ وَجْـــهُ الزَّمـــانِ مُقْتَـــبلَا[1]

ويصفها في موضعٍ آخر موظّفًا مسائل حسابيّة ظريفةٍ ، فيقول :

{ الوافر }

هِـــلالٌ مُشْـــرِقٌ ، بَـــدْرٌ لِتِسْـــعٍ		وثالَثـــــــةٌ خَلـــــــتْ ولِلَيْلتـــــــينِ

يُـــديرُ مِـــنْ المدامـــة بِنْـــتَ تِسْـــعٍ		وَواحِـــدةٍ مَضَـــتْ بَعْـــدَ اثْنَتَـــيْنِ

أَقُـــولُ لَـــهُ ، وقَـــد طَـــردتْ كَرانَـــا		أَدِرْهَـــــا واسْـــــقِنَا بِـــــالرَّاحَتَيْنِ[2]

وتألّقت خمرة أبي نواس فلا يكاد يحصيها نورٌ ؛ لشدة اختفائها ولطافتها [3] ، فيقول :

{ السّريع }

طَـــوى عَلَيْهَـــا الـــدَّهْرُ أَيَّامَـــهُ		وعُمِّيَـــــتْ عَنْهَـــا المَقـــــادِيرُ

جِـــاءَتْ كَـــروحٍ لَـــمْ يَقُـــمْ جَـــوْهَرٌ		لُطْفًـــا بِـــهِ أَوْ يُحْصِـــهِ نُـــورُ[4]

" فالخَمْر لِقداستها لا تعدّ عرضًا ماديًّا زائلًا بل هي جوهرٌ وروح ، ولذلك تتعالى على الماء لأنّها لا تلائمه لطافةً ، وهي تجفوه لأنّ طبيعتها ليست من طبيعته ، فهي أكثر من المّادة رقّة وشفافية" [5].يقول :

{ البسيط }

رقَّـتْ عَـن المَـاءِ حَتّـى مـا يلائِمُهَـا		لَطَافَـةً ، وَجَفَـا عَـنْ شَـكْلِهَا المَـاءُ

فَلَـــوْ مَزَجْـــتَ بِهَـــا نـــورًا لمازَجَهَـــا		حَتَّـــى تَوَلَّـــدَ أَنْـــوارٌ وأَضْـــواءُ[6]

فالخمر مسؤولة عن النّور ، وتتولّد منها الأضواء ، ولعلّ أبا نواس استمدّ هذا المعنى من قوله تعالى : " **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ** " [7] ، فتغدو الخمر معادلًا موضوعيًا للزّيت الّذي يكاد وهجه

---

[1] **المصدر السابق** : ص 63 . وينظر : ص 111 ، 209 ، 210 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 44 .

[3] ينظر : مجموعة من المؤلّفين : **المفيد في الأدب العربي** ، ص 515 .

[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 14 . وينظر : ص 73 .

[5] العشماوي ، أيمن محمد زكي : **خمريات أبي نواس** ، دار المعرفة الجامعيّة ، 1988 م ، ص 104 .

[6] أبو نواس : **الديوان** ، ص 6 . وينظر : ص 696 .

[7] **سورة النّور** : (الآية 35) .

يشعّ بالنّور ، وينشر الضوء ، وهذا التوظيف ليس بريئًا ؛ إذ إنّ الشّاعر غلّب خمره على الزّيت المبارك ليضفي عليها قدسيّة تهدي الشّاربين إليها ، فتتعلّق أرواحهم بها ، ويبدون عاجزين عن إقصاء نفوسهم عنها .

2- الحوار والأسلوب القصصي

اتكأ أبو نواس في إبداع قصائده على أساليب شعريّة متنوعة ، وكان لأسلوب القصّ والحوار حضورٌ بارز في أشعاره وتحديدًا في قصائد الخمرية التي بدت حكايا تروي قصّة الخمر كاملة من بدايتها إلى نهايتها بطريقةٍ فنيّة في غاية الإثارة والتّشويق [1] . ولا يخفى على الباحث ما حققه الشاعر في توظيف الحوار والأسلوب القصصي من رفض لتقاليد فنيّة سار عليها الشعراء ردحًا غير قليلٍ من الزّمن ، حيث تحلّل من وحدة البيت واتّجه إلى وحدة القصيدة [2] ، فقد وجد متّسعًا للتعبير عن أفكاره الانقلابية ، ومجالًا لجذب المتقلي وإقناعه بمذهبه المجاهر بالخطيئة ، والعبث بالنّدماء ، والغلمان السّقاة ، والجواري الغانيات في أجواء تعبق باللّذة ورحيق الخمر .

ولم يغفل الشّاعر في قصّته الخمريّة أيّ عنصر من عناصر القصّ الذي يضفي على النصّ حركة وحيويّة تحيله إلى لوحةٍ نابضةٍ بالحياة ، ففي قوله :

{ الكامل }

باكِرْ صَبوحَكَ فَهْو خَيرُ عَتادِ … واخْلَعْ قِيادَكَ ، قد خلعتُ قِيادِي

لا تنْسَ لي يوْمَ العُروبَةِ وقْعةً … تُودِي بصاحبِهَا بغيرِ فسَادِ

يومًا شربْتُ ، وأنْتَ في قُطْربُّلٍ … خمرًا ، تفوقُ إرادةَ المُرْتَادِ

لَمّا ورِدْنَاها نُلِمُّ بشيخِها … عِلْجٌ ، يحدِّثُ عنْ مَصانِعِ عَادِ

قُلْنَا " السَّلام عليكَ " قال : " عليكمُ … منّي سلامُ تحيّةٍ ، ووِدادِ

" ما رُمْتُمُ ؟ " قلنا " المُدامَ " فقال " قد … وفِّقْتُمُ – يا إخوتي لرشادِ "

عندي مُدامٌ قد تقادمَ عَهْدُهَا … عُصِرَتْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا أَجْدادِي

فَأدارَها عَدَدًا ثلاثًا ؛ فانْثَنَتْ … مِنّا النفوسُ ، وليس منها صادِ

حتّى إذا أخذت بوجنةِ صاحبي … وفؤادِهِ ، وبوجنتي وفؤادِي

[1] ينظر : خليف ، يوسف : **في الشّعر العبّاسي نحو منهجٍ جديد** ، ص 51 .

[2] ينظر : **المرجع السابق** : ص 52 .

لم يرضَ إبليس الظَّريف فعالنا حتّى أعان فسادنا بفسادِ![1]

يراوح أبو نواس بين أسلوبي الحوار والسرد ؛ ليوضح بأنّ المدام التي رامها وندماءه مدامٌ عتقت من عهد عاد ، وفيها من الإشراق والبهاء ما يزيل سواد اللّيل المظلم .

ولا يتوانى أبو نواس عن إظهار فساده ، والمجاهرة بفسوقه ؛ فيثبت على لسان صاحب الخمّارة أنّ الخمر هي طريق الرّشاد ، وأنّ إبليس شخصٌ ظريفٌ يسعى جاهدًا لإسعاد ندماء الخمر بإعانتهم على الفساد .

ويستند الشّاعر على الأسلوب القصصيّ في أكثر من موضعٍ ليصف الخمر المعتّقة ، وليضفي على ندمائه من الشّمائل ما يميزهم ، ويثبت اختلافهم عن غيرهم [2] .

ويظهر أبو نواس في مواضع أخرى معرّضًا بالسلطة التي كانت تلاحق الخمّارين وطرّاقهم، وهذا يبدو جليًّا في وصفه لأصحاب الحوانيت مذعورين من أصحاب الشّرطة، ومباغتاتهم [3] ، فيقول :

{ الطويل }

وليْلةِ دَجْنٍ قد سَريْتُ بفتْيةٍ تنازِعُها نحو المُدامِ قلوبُ
إلى بيْتِ خَمَّارٍ ، ودون مَحلِّهِ قصورٌ منِيفَاتٌ لنا ، ودروبُ
ففُزِّعَ من إدْلاجِنَا بعد هَجْعَةٍ وليس سوَى ذِي الكبْرياءِ رقيبُ
تناومَ خوفًا أنْ تكونَ سِعايَةً وعاوَدهُ بعد الرُّقادِ وَجِيبُ
ولمَّا دعوْنا باسْمِهِ طار ذُعْرهُ وأيْقَنَ أنَّ الرَّحْلَ منه خصِيبُ
وبادرَ نحو الباب سعْيًا مُلَبِّيًا لَهُ طَرَبٌ بالزَّائرين عجِيبُ
فأطْلَقَ عن نابيْهِ ، وانْكَبَّ ساجدًا لنا ، وهْو فيما قد يظنُّ مُصِيبُ
وقال : " ادخلوا حُيِّيتُمُ من عصابةٍ فمنزلكُمْ سهْلٌ لديَّ ، رحيبُ "
فقلنا : " أرَحْنَا... هاتِ إن كنتَ بائعًا فإنَّ الدُّجَى عن مُلْكِهِ سيغِيبُ"[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 78 .
[2] ينظر : **المصدر السابق:** ص 38 ، 39 ، 70 ، 100 ، 101 ، 124 ، 125 ، 131 ، 132 .
[3] ينظر : خليف ، يوسف : **في الشعر العباسي نحو منهجٍ جديد** ، ص 51 .
[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 110 ، 111 .

وتظهر المفارقة في قول الشّاعر في رسم صورتين متناقضتين للخمّار ؛ فيجعله في قمّة الخوف والفزع عندَ سماع الطّراق ليلًا خوفًا من الشّرطة ، فيما ينقله إلى صورةٍ مغايرةٍ تمامًا ، يبدو من خلالها في قمّة السّعادة ، لدى معرفته بهويّة زائريه ، فلم يملك إلّا أن يسرع مستبشرًا لفتح الباب، وأن ينكبّ ساجدًا لأبي نواس ورفقائه ، فهم خير عصابة ، ومطلبهم خير مطلب [1] .

وإذا كان الشّعراء السّابقون قد أشادوا ببطولاتهم وشجاعاتهم ، وصوّروا أنفسهم في ميادين الوغى يديرون رحى المعارك ، فإنّ ميدان الشّاعر يتلخص في قصصه الخمريّة ، حيث يظهر نفسه ورفقاءه مغامرين ، يتحدون مخاوف اللّيل ، ويجتازون الصّعاب للوصول إلى معشوقتهم ، مستعدين لإنفاق أموالهم في سبيلها ، وإن اضطروا إلى رهن أنفسهم [2] .

ولعلّ في تلك البطولة المضادة ما يظهر سخرية الشّاعر ممن شغلوا أنفسهم عن الخمر ، والحياة الحضاريّة المترفة ، ولهثوا وراء سراب الماضي ممجدين بطولات الحروب والمعارك .

ولم تخلُ حوارات أبي نواس من ظرافةٍ ودعابة ممتزجة بالعبث والمجون ، فيقول محاورًا إبليس إذ استعصى عليه إخضاع غلامٍ ثملٍ في مجلس خمر :

{ المنسرح }

أَحْسَنُ من وقْفَةٍ على طلَلِ	**كأسُ عُقارٍ ، تَجْرِي على ثَمِلِ**
يديرُها أحْوَرٌ ، به هَيَفٌ	**معتدلُ الخَلْقِ ، راجح الكفَلِ**
فإنْ تَرُمْ عنده مداعبةً	**قال لكَ " احْذَرْ من ذلك العَمَلِ**
دعوتُ إبليسَ ثمّ قلتُ لَه :	**قد أعْجَزتْني مذاهبُ الحِيَلِ**
حَبْلِي ، وحبْلُ الذي كَلِفْتُ به	**على تَدانِيهِ غيْرُ متَّصلِ**
فردَّهُ الشَّيْخُ عن صُعُوبَتهِ	**وصار قوَّادَنَا ، ولم يَزَلِ**[3]

فأحال أمر ذاك الغلام لإبليس الذي أخضعه وردّه عن تمنّعه .

---

[1] ينظر : **المصدر السابق** : ص 48 . خليف ، يوسف : **في الشعر العباسي نحو منهجٍ جديد** ، ص 51 .

[2] ينظر : التطاوي ، عبد الله : **القصيدة العبّاسيّة قضايا واتجاهات** ، ص 171 .

[3] أبو نواس : **الديوان** ، ص 147 .

كما استقى أبو نواس قواعد تمرّده على الأعراف ، والتّقاليد الدينية والمجتمعيّة من إبليس الذي غدا في نظره فقيهًا متبصِّرًا بالأخبار والأحوال ، فيقول في قصيدةٍ حواريّة – قد أتى ذكر بعض أبياتها في أكثر من موضعٍ من مواضع هذا البحث – :

{ الكامل }

قـــل للعـــذولِ بحانــــة الخَمّـــارِ والشّــرْبُ عنـــد فصـــاحةِ الأوْتـــارِ
إنّــــي قصـــدْتُ إلـــى فقيـــهٍ عـــالمٍ متنسِّـــكٍ ، حَبْـــرٍ مـــن الأخْبـــارِ
متعمِّـــقٍ فـــي دينـــه ، مُتَفَقِّـــهٍ متبصِّـــرٍ فـــي العلـــمِ والأخبـــارِ
قلــت : النّبيــذ تُحلُّــه ؟ فأجــاب : لا إلّا عُقـــارًا تَرْتَمـــي بشـــرارِ[1]

وقد بسطت الرّوح القَصصية سيطرتها الواضحة على أشعار أبي نواس ، مستندةً على عنصري الحركة والحوار ، وساهمت في تسجيل واقعٍ نفسيٍّ واجتماعيٍّ أراد الشّاعر أن يطلع عليه المتلقي ليشهد له بتميّزه واختلافه [2] ، ويترك أثرًا في نفسه بما فاض به شعره من تعابير سهلةٍ ، موسيقى متناغمة ، وألفاظٍ وأوزانٍ رَشيقة ، وقافيةٍ عذبةٍ [3] .

3– التكرار

برز التكرار في شعر أبي نواس بأشكالٍ مختلفة ، ظهر من خلالها الشّاعر ممعنًا في التّمرد ، مصرًّا على موقفه الرّافض ، والمتجاهل لخطاب اللّائمين ، عازفًا على إيقاع الذّات الفردية وصوت الأنا المتعالية على الذّات الجماعية المناهضة لأقوله وتصرّفاته [4]

فقد مزج أبو نواس بين التّكرار اللّفظي والمعنوي ؛ لتأكيد المعنى ، وإثارة القارئ [5] ، وقد رأى في اعتنائه بهذا الأسلوب ما يؤيّد مواجهته لمجتمعٍ طالما أوجعه بالعذل والاتهامات . وحشد من ألفاظ اللّوم والعذل ما يدلّل على رفضه المطلق لأيّ أمرٍ أو نصيحة . فيقول :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 200 ، وللاستزادة : ينظر ص 200 ، 201 .

[2] ينظر : التطاوي ، عبد الله : **القصيدة العبّاسيّة قضايا واتجاهات** ، ص 174 ، 175 .

[3] ينظر : الفاخوري ، حنّا : **تاريخ الأدب العربي** ، ص 409 .

[4] ينظر : الشارني ، بسّام : **التناص الدّاخلي في شعر أبي نواس** ، ص 226 .

[5] ينظر : عبيدات ، عدنان : **أسلوبيّة التّرجيع في شعر أبي نواس** ، أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب و اللّغويات " ، الأردن، م 24 ، ع 1 ، 2006 م ، ص 73 .

{ الوافر }

أعـــاذلُ مـــا علـــى مثْلِـــي سَـــبيلُ　　وعـــذْلُكَ فـــي المدامِـــة مســـتحيلُ
أعـــاذلُ لا تلُمْنِـــي فـــي هواهَـــا　　فـــإنَّ عتابنَـــا فيهـــا يطـــولُ[1]

ويقول في موضعٍ آخر :

{ الوافر }

أعـــاذلَ قـــد كبـــرتُ عـــن العتـــابِ　　وبـــانَ الأطْيَبـــانِ مـــع الشَّـــبابِ
أعـــاذلَ عنْـــكِ معْتَبَتـــي ولَـــوْمِي　　فمثلـــي لا يقـــرَّعُ بالعِتَـــابِ
أعـــاذلَ لـــيس إطْراقِـــي لِعـــيٍّ　　وهـــلْ مثْلِـــي يكِـــلُّ عَـــن الجَـــوابِ[2]

" فالعاذل هنا معادلٌ رمزيٌ لصوت الجماعة ، وسلطة المؤسسة الدينية والاجتماعية الدّاعية إلى ترك سلوك البطالة ، والمجون والسّكر " [3] .

وما كان لسياسة تلك السّلطة أن تروق لأبي نواس يومًا ، ولذا سعى لمرآتها مضمرًا في سرّه خلاف ما يظهر ، فيقول :

{ الوافر }

أعـــاذلَ لا أمـــوتُ بكـــفِّ سَـــاقِ　　ولا آبَـــى عَلَـــى ملِـــكِ العـــراقِ
هجـــرْتُ لـــه التـــي عنهـــا نَهـــانِي　　وكانـــت لـــي كمُمْسِـــكَةِ الرِّمَـــاقِ
وقـــد يغـــدُو إلـــى الحـــانوتِ زِقِّـــي　　فيأخـــذُ عَفْـــوَهُ قبـــل الزّقـــاقِ
وكُـــنَّ إذا نَـــزَعْنَ إلـــى مـــداهُ　　حـــوَى قـــدَّامها قَصَـــبَ السّـــبَاقِ
فأصـــبحْتُ اعْتَجَـــرْتُ علـــى مشـــيبٍ　　ووقَّرَنِـــي الخليفـــة عـــن نِزَاقِـــي[4]

فلم يشأ أبو نواس أن يلبس العمامة بعد مشيبه ، ولكنّه فعل ذلك إرضاءً للخليفة ونزولًا عند أمره.

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 184 .
[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 708 . و ينظر : ص 7 ، 22 ، 24 ، 55 .
[3] الشارني ، بسّام : **التّناص الدّاخلي في شعر أبي نواس** ، ص 225 ، 226 .
[4] أبو نواس : **الديوان** ، ص 56 . وينظر في ذات السّياق ، ص 22 ، قوله :
{ الكامل }

أعَاذِلَ أعتبْتُ الإمامَ ، وأعْتَبَا　　وأعْرَبْتُ عمَّا في الضَّمير ، وأعْرَبَا
وقلتُ لسَاقينا أَجْزِهَا فلم يكُنْ　　ليأْبَى أميرُ المؤمنين وأشْرَبَا

وتحدّى الشّاعر أولئك العذّال تحديًا سافرًا ، فخلع كلّ الأقنعة ، وأشهر سلاح المجون في وجه كلّ من بغى توبته ، فيقول مخاطبًا عاذلته :

{ الكامل }

ومُلحَّــةٍ فـــي العـــذْلِ ذاتِ نصـــيحةٍ ترجـــو إنابـــةَ ذِي مجُـــونٍ مـــارقِ
بكَـــرتْ تبصـّــرُنِي الرّشَـــادَ وشـــيمتِي غيـــرُ الرّشَـــادِ ، ومَـــذْهبِي وخلائقِـــي[1]

وتراه يدعوها إلى اليأس المطلق في قوله :

{ الوافر }

أعَـــاذِلتِي أقْصُـــرِي عـــن بعـــضِ لـــوْمِي فَراجِـــي تَـــوْبتِي عنْـــدِي يخيـــبُ
تَعيبِـــــــينَ الـــــــذّنُوبَ وأيُّ حُـــــــرٍّ مـــن الفتيَـــانِ لَـــيْسَ لَـــهُ ذُنـــوبُ
غُـــــرِرْتِ بتـــــوْبَتِي وَلججْـــــتِ فيهـــــا فشُـــقِّي اليـــومَ جيْبَـــكِ لا أتُـــوبُ[2]

ولا يخفى على القارئ تكرار أبي نواس للفظتي الذّنوب والتّوبة ، وهما لفظتان متناقضتان ، فالذّنوب معصية تستوجب التّوبة ، والتّوبة طريقٌ لن يسلكه شاعرٌ انغمس في عشق الخمر ، واستعذب الحرام ، واثقًا باستحقاقه الغفران ، فيقول :

{ مجزوء الرمل }

خُلِـــــــــقَ الغفـــــــــران إلَّا لِامْـــرِئٍ فـــي النّـــاس خـــاطِي[3]

ويعرضُ أبو نواس من خلال تكراره صيغًا لغوية مركّبة حشدها في مقدمات قصائده مفاضلة بين القيم التراثيّة التي رفضها ، والقيم البديلة التي طرحتها " أنا " الشّاعر ؛ لتلفت المجتمع إليها في إطار حثّه على اغتنام اللّذات ، واستبدال النّمط الحضاريّ المنصوح به بالنّمط البدويّ التقليديّ المنهيّ عنه ، الأمر الذي حمّل خطابه الشّعري سمات التّجديد ، وجعله تأسيسًا لبنية نصيّة حديثة شعارها نقض القديم ، والتّفوق عليه . فيراوح الشّاعر في تكرار صيغ الأمر والنّهي ، وصيغ التّركيب النّحوي المتمثل في (أفعل التفضيل) [4] ، فيقول مكررًا صيغ الأمر :

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 218 ، 219 . وينظر : المرزباني ، **الموشّح** : ص 318 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ،ص12.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 181 . وينظر : ص 126 ، 620 ، 730 .

[4] ينظر : محمود ، عبد النّاصر حسن : **شعر أبي نواس قراءة أسلوبية** ، ط 1 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2009 م ، ص 233– 238 . و الشارني ، بسّام : **التناص الدّاخلي في شعر أبي نواس** ، ص 216 – 218 .

{ البسيط }

دع الوُقـــوفَ علــــى رسْـــمٍ وأطْــــلالِ ودِمْنَـــةٍ كسَـــحيقِ اليمْنَـــةَش البــالِي
وعُـــجْ بنـــا نصْـــطَبِحْ صـــفْراءَ ، واقـــدةً فـــي حُمْـــرَةِ النَّـــارِ ، أو فـــي رقَّـــةِ الآلِ[1]

ويقول في سياقٍ آخر :

{ السريع }

اتْـــرُكِ الرّبـــع ، وســـلمى جانبًـــا واصـــطبح كَرَخِيَّـــةً مثـــل القـــبسْ[2]

ويقول مكررًا صيغ النهي :

{ الخفيف }

لا تعـــــرِّجْ بـــــدَارسِ الأَطْـــــلالِ واسْـــــقِنِيهَا رقيقـــــةَ السّـــــرْبَالِ[3]

ويقول :

{ المنسرح }

لا تبْـــكِ رَسْـــمًا بجانـــب السَّـــندِ ولا تجُـــــدْ بالـــــدموعِ للْجَـــــرَدِ
ولا تُعَـــــرِّجْ علـــــى مُعَطَّلَـــــةٍ ولا أثـــــافٍ خلَـــــتْ ، ولا وتـــــدِ
ومِـــلْ إلَـــى مَجْلِـــسٍ عَلَـــى شَـــرَفٍ بـــالكَرْخِ بَـــيْنَ الحَـــديقِ مُعْتَمَـــدِ[4]

وفي تكرار صيغة (أفعل التفضيل) يقول :

{ المنسرح }

أَحْسَـــنُ مِـــنْ وَقْفَـــةٍ علـــى طلَـــلِ كـــأسُ عُقـــارٍ ، تَجْـــرِي علـــى ثَمَـــلِ[5]

ويقول :

{ الوافر }

أحَـــبُّ إلـــيَّ مـــن وخْـــدِ المطايـــا بموْمَـــاةٍ يتيـــهُ بهـــا الظَّلِـــيمُ

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 680 . وينظر : ص 6 ، 11 ، 31 ، 110 .
[2] أبو نواس : **الديوان**، ص 134 . وينظر : ص 119 ، 168 ، 637 ، 687 ، 670 .
[3] **المصدر السابق** : ص 97 .
[4] أبو نواس: **الديوان**، ص 172 . وينظر ص 27 ، 113 ، 133 ، 189 ، 520 .
[5] **المصدر السابق** : ص 147 .

ومـــن نعْـــتِ الـــدّيار ، ووصْـــفِ رَبْـــعٍ   تلـــوحُ بـــه علـــى القِـــدَمِ الرّســـومُ
ريـــــــاضٌ بالشَّـــــــقائِقِ مُونِقـــــــاتٍ   تكـــنَّفض نَبْتَهـــا نَـــوْرٌ عمـــيمُ[1]

4- السخرية

بحث أبو نواس عن الأساليب والطرق الفنية التي تصور الحقيقة وتقدمها إلى المتلقي بصورة مغايرة للصّورة التّقليدية ، وعمد إلى انشاء علاقات لغوية جديدة بتطرقه إلى مواضيع اختلف بها عن غيره من الشعراء [2] ، انطلاقًا من قناعته بحرّية الفنان في التعبير عما يمليه عليه الفن ، وما تفرضه عليه ذاته الرّافضة [3] .

فقد فاضت شخصية أبي نواس عن الهامش الذي خطّته السّلطة السّياسيّة ، والدّينية والمجتمعية ووجدت في السّخرية والرّمز ما يعينها على تعرية الواقع من كل ما يتخفى فيه ويتحصن وراءه، ومهاجمته بقصد سلب أسلحته التي يضيق بها الخناق على الأصوات الثائرة في وجهه والتي ترمي إلى إظهار حقيقته [4] .

فغدت الخطيئة رمزا للحرية والخلاص ، والمجون رمزا للخروج عن السائد المألوف ، والدعابة والظرف أسلوب لمواجهة المجتمع ، وكشف ما يخفيه تحت أستاره [5] .

وإذا كانت البطولة لا تتحقق في عرف أبي نواس إلا من خلال المخالفة والمواجهة ، فلا بدّ من امتلاك الجرأة التي ترفض الحياد ، وتتحدى النفاق ، وتأبى الخضوع ، وإن طالت تلك الجرأة رؤوس السلطة ، وفي هذا يقول :

{ مخلع البسيط }

هـــذَا زَمـــانُ القُـــرودِ فاخْضَـــعْ   وكـــن لهـــمْ ســـامِعًا مُطيعَـــا[6]

---

[1] **المصدر السابق** : ص 187 . وينظر : ص 160 ، 162 ، 196 .

[2] ينظر : الوحيشي ، ناصر : **الرمز في الشّعر العربي** ، ط 1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2011 م ، ص 15.

[3] ينظر : نوره ، حادي : **شعريّة النصّ الخمري عند أبي نواس** ، مجلّة أصوات الشّمال ، www. Aswat – elchamal . com

[4] ينظر : بزيغ ، شوقي : **البطولة المضّادة في شعر أبي نواس** ، ص 100 . وشبانة ، ناصر : المفارقة في الشّعر العربي الحديث ، ط 1 ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر ، 2002 م ، ص 60 .

[5] ينظر : الدّهمان ، أحمد : **التّفاعل بين الحياة والفن وتأثيره في الشّعر العبّاسي** ، ص 111 . والزعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد** ، ص 186 .

[6] أبو نواس : **الديوان** ، ص 519 .

حيث يغلف الشّاعر رفضه للسلّطة الحاكمة بلغة الرّمز ، ويجترأ على جعلها سلطة دكتاتورية تجبر رعيتها على السّمع والطّاعة فيما تستأثر بالنّعيم ، وتتمادى في الانحلال مسبلة على نفسها ستار العفة والطهارة [1] ، وإلا فبماذا يفسر وصفه لولي العهد (الأمين) في قوله :

{ السريع }

يـــا فرحـــةً جائـــت مـــع العيـــد　　　وفَـــي الـــذي أهْـــوَى بموْعـــودِ

جـــاءَ مـــنَ الأعـــيُنِ مسْـــتَخْفِيًا　　　مـــنْ بعـــد إخْـــلافٍ وتَنْكيـــدِ

حتـــى إذا الـــرَّاحُ جَـــرَت بينَنَـــا　　　أمِنْـــتُ مـــن خُلْـــفٍ وتَرْديـــدِ

ظـــلّ ولـــيّ العهْـــدِ فـــي خُطْبَـــةٍ　　　وظلْـــتُ بـــين الـــرَّاحِ والعُـــودِ

صَـــارَ مُصـــلاّنَا أباريقَنَـــا　　　ونحْرُنـــا بنْـــتَ العنَاقيـــدِ

للنّـــاسِ عيـــدٌ عمَّهـــم واحـــدٌ　　　وصـــار لـــي عيـــدانِ فـــي عِيـــدِ[2]

فقد جاء الأمين إلى مجلس الخمر ناشدا لذته مستخفيا عن أعين الناس فيما كان ينهى الشاعر عنها ويهدّده بالسجن . فالأمير يخضع تحريم الخمر لأهوائه ، فتارةً يمنعها فيعاقب على شربها ، وتارة يبيحها ، يقول أبو نواس :

{ الطويل }

أعـــاذلَ بعـــتُ الجهـــل حيـــث يبـــاعُ　　　وأبـــرزْتُ رأســـي مـــا عليـــهِ قنـــاعُ

نَهـــانِي أميـــرُ المـــؤمنين عـــن الصِّـبا　　　وأمـــر أميـــر المـــؤمنين مطـــاعُ

ولهـــوٍ لتأنيـــبِ الإمـــامِ تركتُـــهُ　　　وفيـــه لِـــلاَهٍ منظـــرٌ وسَـــمَاعُ

قصـــرْتُ عليـــه الـــنَّفْسَ دون مدامـــةٍ　　　هـــي اليـــوْمَ حـــربٌ ، وهْـــي أمـــسِ شِـــياعُ[3]

ولذلك تراه يوظّف صورًا هزلية يهاجم بها الواقع بطريقة غير مباشرة ، ويعرض لموجة النّفاق العام في مجتمعه ، ويسخر من الخليفة وحاشيته إذ أودعوه السّجن لمجاهرته في شرب الخمر فيما كانوا يشربونها في الخفاء [4] ، يقول :

---

[1] ينظر : الزّعيم ، **أحلام** : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتّمرد** ، ص 194 .

[2] أبو نواس ، **الديوان** ، ص 344 .

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص 12 . وينظر : ص 22 .

[4] ينظر : خريس ، حسين : **حركة الشعر العباسي في مجال التّقليد** ، ج 1 ، ص 162 ، و الزعيم ، أحلام : **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد** ، ص 184 .

{ الخفيف }

أنْتَ يا ابْنَ الرَّبيع ألْزَمْتَنِي النُّسْكَ وعوَّدْتنِيه و الخيْرُ عادَهْ

فــارْعَوَى بــاطلي و اقْصــرَ حبْلــي وتبــدَّلْتُ عفَّـــةً و زَهَـــادَهْ

لو تراني ذكرتَ للحسنِ البَصْريّ في حُسْنِ سَمْتِه أو قتادَهْ

المسابيحُ في ذراعيَّ والمصْحَفُ في لبَّتِي مكانَ القِلَادَهْ

وإذا شِـــئْتَ أنْ تـــرىَ طُرْفَـــةً تعْجَــبُ منهــا مليحــةً مسْــتفادَهْ

فــادْعُ بــي لا عــدمتَ تقــويمَ مثْلــي وتفطَّـــنْ لموضـــعِ السّـــجّادَهْ

تــر أثْــرًا مــن الصَّــلاة بــوجْهي تُــوقن الــنَّفْسُ أنّهــا مــن عِبــادَهْ

لــو رآهــا بعــضُ المــرائينَ يومًــا لاشْـــتَرَاهَا يُعِـــدّهَا للشّـــهَادَهْ

ولقــدْ طــالَ مــا شــقِيتُ ولكــنْ أدركتْنِـــي علـــى يـــديكَ السّـــعادَهْ[1]

ولك أن تتخيل أبا نواس الماجن العابث الخليع يختال في رداء النّساك الواعظين ، وتعلو جبينه سمات التوبة والإنابة ، يمسك المسابيح في ذراعه ويتقلّد المصاحف ، ويسير بين النّاس كأحد الصالحين محاولًا إرضاء الحكّام المتوقرين ، والتّخلص من الرّقباء المارقين بتهافت النّاس عليه ليستفيدوا من وعظه على أنّه الحسن البصري أو قتادة الفقيه [2] .

ويبدو عنصر السخرية جليًا في معرض حديث أبي نواس عن الدّين والعباداتِ والأخلاق ، فيتهكّم ممن يلومه على شرب الخمر الصّافية قائلًا :

{ البسيط }

يــامَنْ يَلــومُ عَلــى حَمــراءَ صــافيةٍ صِــرْ فــي الجِنَــانِ ، ودعْنِــي أسْـكن النَّــارَا[3]

ويقول مستخفًا بحكم تحريمها :

{ مجزوء الرمل }

هــــذه الممنـــوعُ منهـــا وأنـــا المحـــتجُّ عنْهـــا

مالهـــا تَحْـــرُمُ فـــي الـــدّنْ يَـــا ، وفـــي الجنـــة منهـــا[4]

---

[1] أبو نواس : **الديوان** ، ص 459 .

[2] شلق ، علي : **أبو نواس بين التخطي والالتزام** ، ص 349 .

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص111 .

[4] **المصدر السابق** : ص 170

ويستهزء بشهر الصوم لأنه يمنع العقار ، ويشبهه في السجن ، فيقول :

{ مجزوء الرمل }

وبَقينَـــــــا فـــــــي سُـــــجونِ الْ   صَّـــــــومِ لِلْهَـــــــمِّ أُســـــــارَى[1]

وينكر أبو نواس مسلمات تثبتها الرسالات السماوية قائلًا :

{ السريع }

مــا صَــحَّ عِنْــدِي مــن جَميــعِ الّــذي   يُـــــــذْكَرُ إلا المـــــوتُ والقَبْـــــرُ[2]

وتعدّ سخرية أبي نواس من عادات العرب وتقاليدهم الاجتماعية والفنيه فضاء أطلق منه الشاعر سهامه على القديم بسلطانه وجبروته ، مزدريًا محقرًا لكل ما لم ينسجم مع نفسيته الخمرية الماجنة فيحول دونه ودون لذته ، معاديًا لكلِّ ما يمنع نزوعه نحو الحريَّة والتَّجديد ، وقد وقف هذا البحث على مواطن كثيرة توضِّح موقف الشّاعر في هذا المِضْمار [3] .

---

[1] **المصدر السابق** : ص 204 .

[2] أبو نواس : **الديوان** ، ص 218 .

[3] ينظر : الرسالة ، ص 92، 93، 95 ،105، 106 ، 107 ،108 ، 117 ، 118 ،119، 120، 122.

الخاتمة

نزع أبو نواس نحو الحريّة المطلقة ، فكان علمًا للثورة ، ومنبرًا للتمرّد ، وفي خاتمة هذه الدّراسة كان لا بدّ من الوقوف على أبرز النتائج التي توصَّلت إليها ، وأهمّها :

1. كان لنشأة أبي نواس دورٌ في صقل موهبته ، وبلورة أفكاره ، فقد استقى العلم على يد أبرز علماء عصره ، وخالط طوائف المتكلّمين ، وأبدع في فنون القول ، إلّا أنّه خطّ لنفسه منهجًا خاصًا رفض فيه القيم ، والثوابت .
2. كشفت الدراسة عن بواعث الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس ، حيث كان لطفولته أثرٌ في شذوذه ، فقد عانى من فراغ الأمومة ، وافتقد حماية الأسرة ورعايتها ، فاتّجه نحو الشّذوذ ، ورافق المجّان الخلعاء فتفوّق عليهم ، وغلبهم بمجونه وفنّه ، فرفضته محبوبته جنان ، على الرّغم من أنّه أحبها حبًّا صادقًا إلّا أنّه آثر الانحراف على أن يقيّد بحب امرأة .
3. وضّحت الدّراسة واقع الحياة الدينيّة في العصر العبّاسيّ الأول ، فقد قُسّم النّاس إلى فريقين أحدهما لاهٍ عابث ، يلهث وراء المجون ، متَّبعًا الفرق الخارجة عن جادّة الحقّ والصّواب ، وآخرهما فريقٌ زاهد نأى بنفسه عن متاع الدّنيا الزائل في سبيل إرضاء الله .
4. تأرجحت شخصية أبي نواس بين تيّارات الظّرف والمجون ، والزّندقة والإلحاد ، والزّهد والتّصوف ، فجمعت بين التّناقضات ، وكوّنت رؤية دينيّة خارجةً عن المألوف ، فللخمر قداسة تحيلها إلى معبودة متفرّدة ، فيصلي لها ، ويسبّح بأسمائها ، ويعادي الصّوم لئلّا يحرم منها ، ويحجُّ إلى خمّاراتها ، وحوانيت بيعها .
5. بيّنت الدّراسة موقف أبي نواس من الخطيئة ، فقد مدحها وزيّنها ، وانغمس بالملذّات ، واستباح الحرمات واثقًا بعفو الله ، على يقينٍ بالمغفرة وقبول التوبة ، ووقفت على أشعارٍ انقلب الشّاعر فيها على ذاته ، فدعاها إلى الإنابة وطلب الصفح من الله بعد إغراقٍ بالمعاصي والذّنوب .

6. طغى صوت الشّاعر على أصوات السلطة السّياسيّة والمجتمعيّة ، وتحدّى قوانينها ، واجترأ على تعرية زيفها ، وكشف ريائها ، حيث إنّها ضيقت الخناق على الشّاعر فيما كانت لاهيةً بالمسرّات ، عابثةً بالمحرّمات ، فاضطر إلى مراءاتها ؛ لينجو من عذابها .

7. رفض أبو نواس التّقليد الخاضع لسطوة القديم بأشكاله وصوره ، وقدّس أفانين الحضارة الفارسيّة ، وحقّر العادات العربيّة ، وحمل نظرةً جديدة لبعض المفاهيم الاجتماعية والحضاريّة ، فثار على الأنساب العربية ، وسخر من الأطلال والواقفين عليها ، في مقابل إكباره للمدنيّة ، ودعوته إلى التّحضر والانفتاح .

8. رفض أبو نواس المرأة ، فلم تكن في عرفه سوى صورة للخيانة والعبث ، واستبدل الغلمان بها ، ورأى في عشقهم ، وتتبّعهم ، بل والتّذلل لهم لذّة لا يمكن أن تعوّضه بها امرأة ذات حسنٍ وجمال ، ولم يكن غزله بالغلاميّات إلّا لأنّهنّ يقلدن الغلمان ، ففاضت أشعاره بغزلٍ رقيق ، عرض فيه لحسن غلمانه وغلاميّاته ، ووصف دلالهم وتمنّعهم .

9. ألقت ثورة أبي نواس بظلالها على لغته ، وأسلوبه الشعري ، فجاءت لغته موافقة لتمرّده مطواعة لانقلابه ، منسجمةً بشكلها وموسيقاها مع هدفه ومبتغاه الفني .

10. ظهر التّناص جليًّا في أسلوب أبي نواس الشّعري ، وبخاصّة التّناص الديني ، والتّناص الأدبيّ ، والتّاريخي ، إلّا أنّه لم يكن تناصًا موافقًا للنصوص المقتبسة أو المضمّنة، وإنّما تناص منقلبٌ يخضع فيه النّص الغائب إلى رؤية الشّاعر المخالفة ، ونزعته التّجديدية.

11. واجه أبو نواس المجتمع ، وتحدّى ساسته ، وانقلب على أعرافه ، فاعتمد أسلوبي السّخرية والتّكرار ، ووظّف أسلوبي القصّ والحوار ، ليقنع المتلقي بنظرته الرافضة ، و يثبت أسلوبه الشّعري المختلف .

12. خلص البحث إلى أنّ أبا نواس شاعرٌ رفع لواء الثّورة على المسلّمات الدّينية والسّياسيّة والمجتمعيّة ، وأرسى قواعد مذهبٍ فنيٍّ حرّ ، لا يعبأ بسخطٍ أو قبولٍ من أحد .

وفي الختام ، لا يمكن لهذا الجهد المتواضع أن يلمّ بكلّ ما قيل ودرس في هذا الموضوع ، ولكنّي أرجو أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله الكريم ، وأسأله سبحانه الرّضا والتوفيق .

المصادر والمراجع

المصادر

- **القرآن الكريم**
- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي : **الكامل في التاريخ** ،(د. ط) ، دار صادر ، بيروت، 1982
- الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين : **الأغاني** ، (د . ط) ، دار مكتبة الحياة ، دار الفكر ، بيروت ، 1956 .
- **الأغاني** ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 .
- الأعشى ، مأمون بن قيس : **الديوان** ، تح : فوزي عطوي ، الشركة اللّبنانيّة للكتاب ، بيروت – لبنان .
- الألباني ، محمد ناصر الدّين : **سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمّة**، ط 2 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2000 م .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر : **خزانة الأدب** ، تحقيق عبد السّلام هارون ، (د. ط) الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، 1979 م .
- ابن جعفر ، قدامة : **نقد الشعر** ، تح : كمال مصطفى ، ط 3 ، مكتبة الخاجي بالقاهرة ، 1978 م .
- الجهيشاري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس : **الوزراء والكتّاب** ، تح : مصطفى السقط، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، ط1 ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، 1938 م .
- الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد : **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم،** تح : ف . عبد الرّحيم ، ط1 ، دار القلم ، دمشق ، 1990 م .
- الحطيئة ، جرول بن أوس : **الديوان** ، شرح : أبي سعد السّكري ، (د. ط) ، دار صادر، بيروت، 1967 م .
- الحنبلي ، عبد الحي بن العماد : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، (د . ط) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1970 م .

- الخطفي ، جرير بن عطية : **الديوان** ،(د . ط) ، دار صادر ، بيروت ، 1964 .
- الخطيب البغدادي ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي : **تاريخ بغداد** ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
- ابن خلّكان ، شمس الدين بن محمد : **وفيات الأعيان** ، تح : إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : **جمهرة اللغة** ، ط 1 ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتّوزيع ، القاهرة ، (د . ت) .
- ذو الرمة ، غيلان بن عقبة : **الديوان** : قدمه وعلّق على حواشيه : سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
- الزبيدي، محمد مرتضى :تاج العروس ،(د.ط)، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت–لبنان،(د.ت)
- الزركلي ، خير الدين : **الأعلام** ، (د . ط) ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، (د.ت).
- الطبري ، ابن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، (د . ط) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت) .
- الطرطوشي ، محمد بن الوليد الفهري : **سراج الملوك** ، تح : محمد فتحي أبو بكر ، تق: شوقي ضيف ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1994 م .
- ابن عبد ربّه ، أبو عمر أحمد بن محمد : **العقد الفريد** ، ط 2 ، القاهرة ، 1952 م.
- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : **الصّناعتين** ، تح : علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1952 م .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : **الشعر والشعراء** ، تح : أحمد محمد شاكر،(د،ط) ، دار التراث العربي للطباعة ، (د،ت)
- القيرواني ، ابن رشيق أبو علي الحسن : **العمدة** ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 1 ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، 1934 .
- الكتبي ، محمد بن شاكر : **فوات الوفيات** ، تح : إحسان عباس ، دار الصادق ، بيروت (د. ت).

- اللّجمي ، أديب ، وآخرون ، المحيط : **معجم اللغة العربية** ، ط 2 ، المحيط ، بيروت، (د. ت)
المرزباني ، محمد بن عمران : **الموشّح** ، تح : محمد حسين شمس الدّين ، (د.ط) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1995م
- المزني : زهير بن أبي سلمى : **الديوان** ، (د . ط) الدار القوميّة للطباعة ، القاهرة ، (د.ت)
- المسعودي : **مروج الذّهب ومعادن الجوهر** ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان، 1982 م .
- ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله بن محمد : **طبقات الشعراء** ، تح : عبد السّتار فراج ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) .
- المعرّي ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله التّنوخيّ : **رسالة الغفران** ، تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن ، ط 6 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1977 م .
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل : **لسان العرب** ، (د . ط)، دار صادر، بيروت (د. ت).
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل: **ملحق الأغاني**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1992 م **أبو نواس في تاريخه وشعره وعبثه ومجونه**، ط2، من التراث العربي، 1969 م.
- أبو نواس ، الحسن بن هانئ : **ديوان أبي نواس** ، حققه وضبطه وشرحه : أحمد عبد المجيد الغزالي ، (د . ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، 1982 .
الفكاهة والإتناس في مجون أبي نواس ، ط1،القاهرة،1361هـ.
- النووي ، محي الدين بن يحيى بن شرف : **منهل الواردين شرح رياض الصّالحين** ، ضبطه ووضع شرحه وصنع فهارسه : صبحي الصّالح ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1977 م
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري : **صحيح مسلم** ، (د . ط) ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (د . ت) .
- أبو هفان ، عبد الله بن أحمد المهزمي : **أخبار أبي نواس** ، (د . ط) ، تح : عبد السّتار فراج ، مكتبة مصر ، (د . ت)

- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : **مشاكلة النّاس لزمانهم وما يغلب عليهم في كلّ عصر** ، تح : محمد كمال الدين عز الدين ، (د . ط) ،عالم الكتب ، القاهرة ، (د.ت) .

المراجع

- إبراهيم ، طه أحمد : **تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري** ، (د . ط) ، دار الحكمة ، بيروت – لبنان ، (د. ت) .
- أدونيس ، **مقدمة للشعر العربي** ، ط 3 ، دار العودة ، بيروت ، (د ، ت) .
زمن الشعر ، (د . ط) ، دار العودة ، بيروت ، 1983 .
- إسماعيل ، عز الدين : **في الأدب العباسي الرؤية والفن** ، (د . ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1975 .
- أمين ، أحمد : **ضحى الإسلام** ، ط 2 ، مطبعة الاعتماد ، 1934 .
- بكّار ، يوسف : **بناء القصيدة العربيّة** ، (د. ط) ، دار الثقافة للطباعة والنّشر ، القاهرة، 1979 .
اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، ط 2 ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1981 .
- البطل ، علي : **الصورة في الشّعر العربي** ، ط 3 ، دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، 1983 .
- بهجت ، مجاهد مصطفى : **التيّار الإسلامي في العصر العباسي الأول** ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون المالية ، بغداد ، 1982 .
- التطاوي ، عبد الله : **القصيدة العربية قضايا واتجاهات ، (د . ط) ، مكتبة غريب ، القاهرة ، (د . ت)** .
- حاوي ، إيليا : **فن الشعر الخمري** ، (د . ط) ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، 1960.
- حجاب ، محمد نبيه : **معالم الشعر في العصر العباسي الأول** ، (د . ط) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1972 .
- حسين ، طه : **حديث الأربعاء** ، ط 12 ، دار المعارف بمصر ، (د . ت) .

- **خصام ونقد** ، ط 9 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979 .
- الحنفي ، عبد المنعم : **موسوعة الطّب النّفسي** ، ط 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999.

موسوعة الفرق والجماعت والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، ط 2 ، مكتبة مدبولي ، 1999 .

- الحوفي ، أحمد محمد : **تيّارات ثقافية بين العرب والفرس** ، ط 3 ، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر ، القاهرة ، (د . ت) .
- خريس ، حسين : **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 .

حركة الشعر العباسي في مجال التقليد ، ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 .

- خفاجي ، محمد : **الحياة الأدبية في العصر العباسي** ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، 2004 .
- خليف ، يوسف : **تاريخ الشعر في العصر العباسي** ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.

في الشعر العباسي نحو منهج جديد، (د ، ط)، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د.ت).

- الخواجة، إبراهيم شحادة: **شعر الصّراع السياسي في القرن الثاني الهجري** ، ط 1 ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1984 .
- الخوسيكي ، زين كامل : في الأدب العباسي والأندلسي ،(د . ط)،دار المعرفة الجامعية، 2006
- خليل ، ياسين عايش : **قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة** ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ،2011 .
- داود ، جرجس داود : **الزندقة والزنادقة في الأدب العربي** ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 2004 .
- دكاش ، نضال الأميوني : **ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم** ، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2009 .

- ربابعة ، موسى : **جماليات الأسلوب والتّلقي دراسة تطبيقية** ، (د . ط) ، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2008 .
- رشيد ، مؤيّد فاضل : **شبهات حول العصر العباسي الأول** ، ط1 ، دار و الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، 1986 .
- رفاعي ، أحمد فريد : **عصر المأمون** ، ط 4 ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1928 .
- الزبيدي ، علي أحمد : **زهد أبي نواس** ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة ، 1959.
- زكي ، أحمد كمال : **الحياة الأدبية في البصرة** ، (د . ط) ، دار المعارف بمصر ، (د.ت).
- الساريسي ، عمر عبد الرحمن : **الشعر العربي في العصر العباسي** ، (د . ط) ، دار حنين للنشر والتوزيع ، عمان ، 2008 .
- سالم ، السيد عبد العزيز : العصر رالعباسي الأول ، (د.ط) مؤسسة شباب للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1978 .
- سعيد ، فوزي : **في الأدب العبّاسي**، (د . ط)، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندرية ، 2003.
- سلام ، محمد زغلول : الأدب في عصر العباسين ، (د ،ط) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1995 .
- شبانة ، ناصر : المفارقة في الشّعر العربي الحديث ، ط 1 ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، 2002 .
- شرف الدين، خليل: **أبو نواس** ،(د . ط) ، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1984.
- الشكعة، مصطفى: **الشعر والشعراء في العصر العباسي الأول** ،(د . ط) ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1975 .
- شلق ، علي : **أبو نواس بين التخطي والالتزام** ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 1982 .
- صدقي ، عبد الرّحمن : **ألحان ألحان** ،(د . ط) ، دار المعارف بمصر ، 1957 .

أبو نواس قصة حياته في جدّه وهزله، (د . ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د . ت).

- ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، ط 6 ، دار المعارف بمصر ، (د . ت) .

- الطّيار ، عبد الله بن محمد : **خلاصة الكلام في أركان الإسلام** ، ط 4 ، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض ، 2008 .
- عباس ، عبد الحليم : أبو نواس ، (د . ط) ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت)
- عبد العال ، محمد جابر : **حركات الشيعة المتطرفين** ،(د . ط) ، مطبعة السّنة المحمدية ، 1954 .
- عبود ، مارون : **الرؤوس** ، ط5 ، دار مارون عبود ودار الثقافة ، 1972 .
- عساف ، سيمون ساسين ، **الصورة الشعرية ونماذجها في شعر أبي نواس** ، (د ،ط)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1982 .
- العشماوي ، أيمن محمد زكي : **خمريات أبي نواس** ،(د . ط) ، دار المعرفة الجامعيّة ، 1988.
- العشماوي ، محمد زكي : **موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي** ،(د .ط)، دار المعرفة الجامعية ، 1999 .
- عطوان، حسين: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- عيد ، يوسف : **دفاتر عبّاسية** ، (د . ط) ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان، 2008 .
- الفاخوري ، حنّا : **تاريخ الأدب العربي** ،(د . ط) ، المكتبة البوليسية، بيروت ، 1953 .
- فروخ ، عمر : **أبو نواس شاعر هارون الرّشيد ومحمد الأمين** ، ط 3 ، مكتبة الكشّاف ، بيروت، 1946 .
- فوزي، عمر فاروق : **العباسيون الأوائل** ، ط1 ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن، 2003 .
- قدورة، زاهية: **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1972 .
- قطب، سيّد : **في ظلال القرآن**، ط 25، دار الشروق، القاهرة، 1996 .

- محمود ، عبد النّاصر حسن : **شعر أبي نواس قراءة أسلوبية** ، ط 1 ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2009.
- مجموعة من المؤلفين : **المفيد في الأدب العربي،** ج2، المكتب التّجاري للطباعة والتّوزيع والنّشر ، بيروت ، 1964.
- مزروعة، محمود محمد: **تاريخ الفرق الإسلامية،** ط 1، دار المنار، 1991 .
- مغنيّة، محمد جواد: **فلسفة الأخلاق في الإسلام،** ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1997.
- مندور، محمد: **النقد المنهجي عند العرب،** (د . ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1948 .
- مهنّا، علي جميل: **الأدب في ظل الخلافة العباسية** ، ط 1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1981 .
- نافع، عبد الفتّاح: **الشعر العباسي قضايا وظواهر،** ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ، 2008 .
- أبو النصر، عمر: **هارون الرشيد،** (د . ط)، المكتبة الأهلية، بيروت، 1934. **أبو نواس في مباذله،** ط1، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت ، 1955.
- أبو النصر، عمر: **الهوى والشباب والحضارة في عهد الرشيد** ، ط2 ، منشورات مكتب عمر أبو النصر، بيروت ، 1970 .
- النّويهي ، محمد : **نفسيّة أبي نواس** ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ، (د . ت)
- هاشم ، علي محمد : **الأندية الأدبية في العصر العباسي حتى القرن الثالث الهجري** ، ط1 ، دار الآفاق ، بيروت ، 1982 .
- هدّارة ، محمد مصطفى : **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني** ،(د . ط) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963 .
- الوحيشي ، ناصر : **الرمز في الشّعر العربي** ، ط 1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2011 .

الدوريات

- إسماعيل ، عبده حسين : **المرأة في شعر القرن الثاني الهجري** ، **مجلة عالم الكتب**،السعودية، م 3 ،ع 3 ، 1982 / (377 – 378) .
- الباجوري ، محمد عبد الدايم : **عرضيّة الزهد واتجاهاته في شعر أبي نواس** ، **فكر وإبداع** ، مصر ، ج 52 / (229 – 288) .
- بزيغ ، شوقي : **البطولة المضادة في شعر أبي نواس** ، **مجلة العربي** ، الكويت ، ع 472، 1998 / (99 – 101) .
- تقتق بن يحيى ، لمياء : **القبيح الجميل في خمريات أبي نواس** ، **حوليات الجامعة التونسيّة** ، تونس ،ع 43 ، 1999 / (215 – 238) .
- حسن ، عبد الكريم : **إنتاج المعرفة بين الأصالة والحداثة** ، **العلوم الإنسانية**،البحرين ، ع 5 ، 2002 / (20 – 91) .
- حسين ، حسني محمود : **الشّعوبية في شعر أبي نواس** ، **مجلّة المورد** ، بغداد ، م9 ، ع1، دار الحرية للطباعة ، 1980 / (61 – 85) .
- خليف ، يوسف : **الشعر والحياة الاجتماعية في القرن الثاني الهجري** ، **الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر**، مصر ، ع 11 ، 1957 / (81 – 94) .

الشعر والحياة اللغوية في القرنين الأول والثاني للهجرة ، **الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنشر** ، مصر ، ع 6 ، 1957 / (36 – 44) .

- خليل ، ياسين عايش ، **هارون الرشيد في أنظار شعراء عصره** ، دراسات ، **العلوم الإنسانية والاجتماعية** ، الجامعة الأردنية ،الأردن ، م 32 ، ع 1 ، 2005 / (140 – 161) .
- دهمان ، أحمد : **التفاعل بين الفن والحياة** ، **وتأثيره في الشعر العباسي (رؤية نقدية)** ، **مجلة التراث العربي** ، سوريا / (101 – 112) .
- الزعيم ، أحلام : **المرأة ودورها في حركة الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والثّقافيّة في العصر العباسي** ، **مجلة الموقف الأدبي** ، سوريا ، م 16 ، ع 184 ، 1986 / (93 – 127) .

- الزّهيري ، محمود : **تأثير القرآن الكريم في شعر أبي نواس ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**،الأردن ، م 9 ، ع 1 ، 2013 / (83 – 110) .
- الساريسي ، عبد الرحمن : **توبة أبي نواس ، مجلة هدي الإسلام** ،الأردن ،م 54 ، ع 3 ، 2010 / (100 – 104) .
- سليمان ، فريد حمد : **التوظيف الدّلالي للألفاظ الأعجميّة في شعر أبي نواس ، مجلة آداب ذي قار** ، كلية آداب جامعة ذي قار ،العراق ، ع 5 ، م 2 ، 2012 / (2 – 10).
- سنجلاوي ، إبراهيم : **دلالة التّضمين في خواتم قصيدة أبي نواس ، مجلة جامعة دمشق**، سوريا ، م 3 ، ع 11 ، 1987 / (49 – 77) .
- الشارني ، بسّام : **التناص الدّاخلي في شعر أبي نواس ، حوليات الجامعة التونسيّة** ، تونس ، ع 56 ، 2011 / (213 – 245) .
- الشتيوي ، صالح علي : **صورة هارون الرّشيد الجادة في شعر العصر العباسي الأول ، مجلّة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية** ،الجامعة الأردنية ،الأردن ، م 29 ، ع 3، 2002 ، (745 – 759) .

ثنائيّة النار والنور في شعر أبي نواس ، المنارة ، م 9 ، ع 1 ، 2003 / (95 – 122) .
- عباس ، عبد الحليم : **مراجعة لكتاب البرامكة في التاريخ ، المجلة الثقافية** ، عمان – الأردن ، ع 12، 13 ، 1987 / (268 – 297) .
- عبيدات ، عدنان : **أسلوبيّة التّرجيع في شعر أبي نواس ، أبحاث اليرموك** " سلسلة الآداب و اللّغويات " ، الأردن ، م 24 ، ع 1 ، 2006 / (69 – 97) .
- عيد ، رجاء : **أبو نواس شاعر ظلمه قومه ، مجلة العربي،الكويت** ، ع 269 ، 1981 / (129 – 134) .
- عيسى، حكمت : **شعر المجون في القرن الثّاني الهجري بين الإبداع والزندقة والشّعوبية، مجلّة تشرين للبحوث والدّراسات العلمية**، (سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية)، سوريا، م32، ع1، 2010 / (207 – 227) .

- فاضل ، جهاد : **قراءة جديدة لأبي نواس ، الفكر العربي** ، (معهد الإنماء العربي) ، م 4 ، ع 26 ، 1982 / (257 – 262) .
- لحميداني ، حميد : **قراءة في شعر أبي نواس ، مجلة جذور** ، (النادي الثقافي لجدة) ، السعودية، م 5 ، ج 9 ، 2002 / (270 – 450) .
- المرازيق ، أحمد جمال : **رائية أبي نواس قراءة في تأويل الأنساق الثقافية ، مجلة المنارة**، الأردن، م 17 ، ع 7 ، 2011 / (237 – 207) .
- الموافي ، محمد عبد العزيز : **أبو نواس الزّاهد ، مجلة جذور** ،(النادي الثقافي لجدة)، السعودية ،م 8 ، ج 5 ، 2003 / (169 – 174) .
- نافع ، عبد الفتاح : **أضرب الرفض في خمريات أبي نواس ، مجلة إربد للبحوث والدّراسات**، الأردن ، م 1 ، ع 1 ، 1998 / (44 – 68) .
- نصير ، فاطمة : **تجلّيات التناص في أشعر أبي نواس ، مجلّة مقاليد** ، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر ، ع 5 ، 2013 / (191 – 195) .
- هلال، ريم: **الدرس النّفسي لأبي نواس بين العقاد والنويهي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية**، (سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية)، سوريا، م 28، ع 1، 2006/ (4 – 55).
- الواسطي، محمد: **المنهج اللغوي وتطبيقه في شعر أبي نواس، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بفاس،** جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس – المغرب، ع 13، 2004 / (9 – 20).
- يونس ، محمد عبد الرحمن : **ملامح شخصية الخليفة هارون الرّشيد في حكايات ألف ليلة وليلة ، دورية كان التّاريخية** ، دار ناشري للنشر الإلكتروني ، الكويت ، س 1 ، ع 2 ، 2008.

رسائل الماجستير

- الحجاجرة ، سعاد يوسف محمد : **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد** ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل، الخليل، 2012 .
- حمدان، ساهرة عبد الحفيظ محمد: **الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين**، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، 2010.
- المصري، عباس: **تجربة السجن عند شعراء العصر العباسي**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2007.

المواقع الإلكترونية

- كرزازي ، علي : **استراتيجية الموقف السخري عند أبي نواس** ، مدوّنة إلكترونية ،

atjabrxabed . net www .

- نوره ، حادي : **شعريّة النصّ الخمري عند أبي نواس** ، مجلّة أصوات الشّمال ،

www. Aswat – elchamal . com

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Cognitive Inversion and Cultural Confrontation In Abu Nawwas's Poetry

By

Alaa Azzam Abdul-Wahab Odeh

Supervisor

Dr. Abdul-khaliq Iesa

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University Nablus, Palestine.

2014

Cognitive Inversion and Cultural Confrontation In Abu Nawwas's Poetry

By
Alaa Azzam Abdul-Wahab Odeh
Supervisor
Dr. Abdul-khaliq Iesa

Abstract

This study sheds light on the locales of cognitive inversion and cultural confrontation in Abu Nawwas's poetry wherein the study takes a critical, analytical approach. Abu Nawwas excelled in inverting facts and concepts, he revolted against costumes and traditions that his society had abided by, and also interpreted them in a way that concurs with his inverted logic and harmonizes with the rebellious self of his, which all made his art of a novel, unfamiliar color.

This paper consists of three chapters where the first covers the manifestations of cognitive inversion and cultural confrontation in Abu Nawwas's poetry particularly in the subject of religion. The second chapter deals with the manifestations of cognitive inversion and cultural confrontation in political and social subjects. Chapter three is specified to discuss the implications of cognitive inversion and cultural confrontation in Abu Nawwas's language and his poetic color.

The study finally came out as an introduction, a preface, three chapters and a conclusion.